

مركز حماد الليبيين للدراسات التاريخية

سلسلة الدراسات التاريخية رقم (41)

دولة زنجبار الحديثة

في عهد

السُّلطان سعيد بن سلطان

(1806 م - 1856 م)

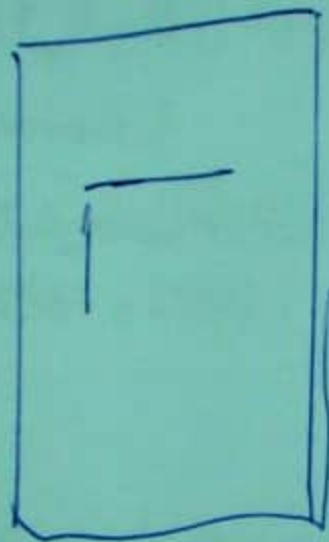


سميحه إبراهيم محمد



الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

2000 ف



دولة زنجبار الحديثة
في عهد
السلطان سعيد بن سلطان
(1806 م - 1856 م)

مركز جماد اللببيين للدراسات التاريخية
مجلد الدراسات التاريخية (41)

دولة زنجبار الحديثة في عهد السُّلطان سعيد بن سلطان (1806 م. - 1856 م.)

سميحه إبراهيم محمد



الجامعة العربية
الإسكندرية
2000 ف

الإهداء

إلى أسرتي الغالية
التي وهبتي كل أمل ودافع لإتمام وإنهاء هذه
الدراسة، إلى زوجي العزيز الصديق وابني طارق، وابنتي
سحر، وحفيدي إسلام.
أهدي إليهم هذا العمل، ثمرة عمل وكفاح
مشترك.

سميحة إبراهيم محمد

رقم الإيداع 2000/4868

دار الكتب الوطنية - بنغازي - ليبيا

الوكالة الليبية لترقيم الدولي للكتاب

دار الكتب الوطنية - بنغازي - ليبيا

ردمك 8-022-23-9959 ISBN (رقم السلسلة)

ردمك 9-027-23-9959 ISBN (رقم الكتاب)

جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة والاقتباس محفوظة للناشر

مركز جهاد الليبيين للدراسات

الطبعة الأولى 2000

لا يجوز طبع أو إستنساخ أو تصوير أو تسجيل أي جزء من هذا الكتاب
بأي وسيلة كانت لا بعد الحصول على الموافقة الكتابية من الناشر

مركز جهاد الليبيين
للدراسات التاريخية



شكر وتقدير

يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير، والعرفان بالفضل والجميل، لجميع الأخوة الذين ساهموا معي بعلمهم وخبرتهم ورأيهم السديد في إكمال هذا البحث وإخراجه في مستوى علمي لائق.

وفي هذا الصدد، أنشرف بأن أخص بعميق شكري وتقديري أستاذي المشرف الدكتور قمر الدين محمد فضل الله، الذي لم يبخل عليّ بعلمه وخبرته وملاحظاته العلمية القيمة، في مسار البحث وتصويبه ومراجعته، حرصاً منه على إنجازه بالصورة المرجوة.

ولا يفوتني - هنا - أن أشيد وأثني على ما تفضل به السيد الأستاذ علي بريك الملحق الثقافي بسفارة دولة عمان بالقاهرة من إتاحة الفرصة لي للاطلاع على المصادر والمراجع العمانية المتعلقة بموضوع البحث والتي كانت عوناً كبيراً في الحصول على معلومات قيمة، قلما توفرت في كتابات أو أماكن أخرى.

كما أود أن أنتهز هذه الفرصة لأتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير لكل من مد لي يد العون والمساعدة بإسداء المشورة والملاحظات والنصح أو تقديم ما توفر لديهم من معلومات، خاصة الأساتذة الأفاضل بمركز الدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة ومركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية وكذلك أساتذة معهد الدراسات الدبلوماسية بالجمهورية العظمى، الذين سهلوا عليّ مهمة الاطلاع على المصادر والمراجع المتوفرة لديهم.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الشكر والتقدير	7
الفهرس	9
المقدمة	13
الفصل الأول: ساحل شرق إفريقيا حتى قيام دولة زنجبار الحديثة	23
أولاً: لمحة جغرافية عن ساحل شرق إفريقيا	27
- ساحل شرق إفريقيا عند الجغرافيين والمؤرخين العرب	27
- التحديد الجغرافي لساحل شرق إفريقيا وجزيرة زنجبار	33
ثانياً: لمحة تاريخية عن ساحل شرق إفريقيا	35
- العلاقات التاريخية بين العرب وشرق إفريقيا	35
- أبعاد الصراع بين العرب العمانيين والبرتغاليين في شرق إفريقيا ..	42
- العمانيون في شرق إفريقيا	45
ثالثاً: العوامل التي ساعدت على قيام دولة زنجبار الحديثة	49
- البوسعيديون في عمان	49
- السلطان سعيد بن سلطان	51
- توطيد السلطان سعيد بن سلطان حكمه ونفوذه في شرق إفريقيا ..	53
- دوافع نقل سعيد بن سلطان عاصمة حكمه من مسقط إلى زنجبار	
وقيام دولة زنجبار الحديثة	56
- إقامة السلطان سعيد بن سلطان في زنجبار	58

109	- تجارة الرق في ساحل شرق إفريقيا أثناء الوجود العماني
115	الفصل الرابع: العلاقات الثقافية والاجتماعية في دولة زنجبار الحديثة
119	أولاً: العلاقات الثقافية
119	- الأثر الديني
122	- المذاهب السنية والطرق الصوفية
123	- مراكز الدعوة الإسلامية
127	- اللغة والأدب
127	- اللغة السواحلية
132	- التأثير العربي في الأدب السواحلي
135	- التعليم
	- العلماء ودورهم في إثراء الحياة العلمية والثقافية في ساحل شرق إفريقيا
138	ثانياً: العلاقات الاجتماعية
140	- المسكن
144	- الملابس والزينة
148	- الطعام والشراب وآدابهما
150	- مظاهر الحياة الاجتماعية
157	- الخاتمة
167	- المصادر
170	- المراجع العربية
175	- المراجع الأجنبية
177	- الملاحق
189	الفهارس العامة
191	1- فهرس الأعلام
198	2- الفرق والجماعات والقبائل والدول
202	3- الأماكن والمواقع

61	الفصل الثاني: العلاقات السياسية لدولة زنجبار الحديثة
64	أولاً: السياسة الداخلية لدولة زنجبار الحديثة
64	- النظام الإداري والقضائي
67	- اتساع رقعة دولة زنجبار الحديثة
70	- موقف بعض الوطنيين الأفارقة من التوسع العربي العماني
72	- القوة البحرية لدولة زنجبار الحديثة
74	- عناصر السكان بدولة زنجبار الحديثة
77	ثانياً: السياسة الخارجية لدولة زنجبار الحديثة
77	- البعثات الأوروبية الاستكشافية والنشاط التبشيري
78	- السلطان سعيد بن سلطان والأطماع الأجنبية
80	- العلاقات مع بريطانيا
83	- العلاقات مع فرنسا
85	- العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية
89	الفصل الثالث: العلاقات الاقتصادية في دولة زنجبار الحديثة
92	أولاً: القطاع الزراعي
92	- زراعة القرنفل
94	- زراعة جوز الهند
94	- زراعة الحبوب والمحاصيل الأخرى
96	ثانياً: القطاع التجاري
96	- نشأة قطاع التجارة في زنجبار
98	- التجارة الداخلية مع الأسواق الإفريقية
100	- التجارة الخارجية مع الأسواق العالمية
	- دور السفينة «سلطنة» في ربط العلاقات التجارية بدولة زنجبار الحديثة
103	ثالثاً: السرق
107	- تجارة الرق في ساحل شرق إفريقيا قبل الوجود العماني
108	

المقدمة

مقدمة

بالرغم من أن العلاقات العربية بساحل شرق إفريقيا قد حظيت باهتمام كثير من الباحثين الذين تناولت دراساتهم بالبحث والتحليل الجوانب المتعددة والجدور التاريخية للصلات القديمة التي ربطت بين المشرق العربي وبين شرق إفريقيا، فإن الباحثة تعتقد أن ما نشر - حتى الآن - حول دور دولة زنجبار الحديثة التي أسسها السلطان سعيد بن سلطان (1806 - 1856 م)، في دعم المؤثرات العربية الإسلامية على هذه المنطقة يحتاج إلى مزيد من الدراسات الجادة التي تعنى بالجوانب التاريخية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

ولذا، فقد آثرت الباحثة أن تختار موضوع «دولة زنجبار الحديثة في عهد السلطان سعيد بن سلطان (1806 - 1856 م)» ليكون موضوعاً لأطروحتها لنيل درجة الإجازة العالية (الماجستير) وذلك مساهمة منها ورغبة في إثراء مكتبة تاريخ العلاقات العربية الإفريقية المهتمة بالمؤثرات العربية الإسلامية على ساحل شرق إفريقيا.

والمعروف، أنه عندما كانت دولة زنجبار الحديثة في عصفوان شبابها وفتوتها في عهد مؤسسها السلطان سعيد بن سلطان بذلت جهوداً كبيرة ساعدت في توسيع رقعة انتشار الإسلام والثقافة العربية على طول ساحل شرق إفريقيا وما ورائه من المناطق الداخلية. فقد كان هذا التأثير العربي الإسلامي كبيراً على حياة شعوب المنطقة في كافة المجالات السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

ويرجع الفضل في ذلك، إلى السياسة المرنة التي اتبعها السلطان سعيد بن سلطان حرصاً منه على المحافظة على الموروث الحضاري الذي تلاحمت في إطاره «العروبة والإفريقية» تلاحماً مادياً وروحياً وبشراً ملحوظاً.

وقد ساهمت سياسة السلطان سعيد بن سلطان الرشيدة على مزيد من الانصهار بين العناصر العربية الوافدة وبين الوطنيين الأفارقة، الأمر الذي خلق في هذه المنطقة الإفريقية درجة كبيرة من التلاحم والانسجام، وذلك لأن كلاً من العروبة والإفريقية قد تم انصهارهما في بوتقة حضارية ليست عنصرية أو عرقية.

والجدير بالذكر، أنه ليس في الإمكان الإسهاب في هذه المقدمة لسرد التفاصيل التاريخية للتجربة الحضارية التي مرت بها العلاقات العربية الإفريقية في ساحل شرق إفريقيا وتطورها عبر السنين، وصولاً إلى قيام دولة زنجبار الحديثة، موضوع هذه الدراسة، وذلك لأن هذه التجربة الحضارية قد تأثرت بعوامل جغرافية وتاريخية متنوعة جعلت أمر التعاون العربي الإفريقي في تلك النواحي ضرورياً وحتمياً. ولذا فقد رأيت ضرورة أن يكون الفصل الأول تمهيداً لإعطاء خلفية وصورة تاريخية واضحة للروابط الحضارية والإنسانية المنبثقة عن التداخل الجغرافي والتاريخي، لا سيما بين عرب جنوب شبه الجزيرة العربية وعمان والخليج العربي وبين الوطنيين الأفارقة في ساحل شرق إفريقيا.

وقد حرص البحث على تحديد العوامل التي أدت إلى نقل السلطان سعيد ابن سلطان عاصمة ملكه من عمان إلى جزيرة زنجبار معلناً بذلك قيام دولة زنجبار الحديثة في عام 1832 م وكانت من بين هذه العوامل، عوامل سياسية واستراتيجية واقتصادية اهتمت الدراسة بإبرازها.

والمعروف، أن دولة البوسعيد، قد واجهت أخطاراً جسيمة إبان تولي السلطان سعيد بن سلطان مقاليد الأمور في عمان عام 1806 م. غير أنه، قد استطاع التغلب على هذه الصعاب بفضل حنكته السياسية، وعندما لمس حرص

بريطانيا على صداقته من أجل التصدي لتغلغل النفوذ الفرنسي في ساحل شرق إفريقيا والخليج العربي والبحر الأحمر، لم يحجم عن إبرام معاهدة هورسي مع بريطانيا عام 1822 م، ما دامت هذه المعاهدة ستتيح له الفرصة لفرض نفوذه على ساحل شرق إفريقيا وإقصاء منافسيه المزارة، حكام ممبة.

وبعدما استتب له الأمور على الساحل الإفريقي الشرقي بعد إنهاء نفوذ المزارة ومباشرة سلطانه فعلياً في عاصمته بجزيرة زنجبار عام 1840 م، شرع السلطان سعيد بن سلطان في تحقيق إنجازات طموحة في دولة زنجبار الحديثة وملحقاتها في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية كما يتضح في فصول هذه الدراسة الأربعة.

وقد ظهر جلياً أن دولة زنجبار الحديثة عملت بخطى ثابتة على تحقيق أمن سياسي وتنمية اقتصادية وإثراء ثقافي وعدالة اجتماعية في المناطق التي بسطت عليها نفوذها. كما أقامت جسراً من العلاقات الحميمة في المجالين السياسي والاقتصادي امتدت مؤثراته إلى دواخل القارة حتى حوض الكنفو. ولعل من أوضح الأمثلة لذلك، الأثر الذي تركته هذه الدولة على الشعوب الناطقة بالسواحلية في شرق القارة الإفريقية، خاصة تلك التي انصهرت فيها العناصر العربية انصهاراً عرقياً ولغوياً تاماً. وما زالت معالم التأثير الثقافي والاجتماعي ظاهرة حتى وقتنا هذا في كل من تنزانيا وكينيا وأوغندا ورواندا وبروندي ويمكن أن يقال إنه لولا أن الاستعمار الأوروبي قد بدأ يسيطر نفوذه على شرق إفريقيا بداية من النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ويعمل على تضيق الخناق على المؤثرات العربية الإسلامية التي أرست دعائمها دولة زنجبار الحديثة، فإن هذه المنطقة برمتها لصارت جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربي.

أما منهج البحث، فقد اعتمد على المنهج العلمي التاريخي الشمولي الذي يضع في اعتباره كافة العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية متفاعلة جميعها من أجل إعطاء الصورة التاريخية للحدث التاريخي خالياً من الأهواء والتزعات والانتماءات. كما اهتمت الدراسة بتحليل مصادرها ومراجعها وتقييمها بصورة متوازنة.

ولا يخفى على أحد، أن المؤرخين والجغرافيين العرب في العصور الوسطى يرجع إليهم الفضل الأكبر في كشف النقاب عن علاقات العرب بساحل شرق إفريقيا وكذلك ببقية أجزاء القارة التي تعاملوا معها ووصلوا إليها.

وعليه، فقد استقت هذه الدراسة معلوماتها - بالدرجة الأولى - من المصادر الأولية العربية. ومن أمثلة ذلك، «كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر» للمسعودي الذي وصف لنا في القرن العاشر الميلادي الحالة الاجتماعية في بعض المدن العربية على ساحل شرق إفريقيا كمقديشو وبراءه وكلوة ومنبة ولامو وغيرها وكذلك، «كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للإدريسي الذي ألف في القرن الثاني عشر الميلادي والذي تحدث عن العلاقات الثقافية والدينية ومظاهر تأثير الثقافة العربية الإسلامية في مدن الساحل الشرقي الإفريقي. وفي الوقت ذاته، أكد لنا ابن بطوطة في كتابه «تحفة الأنظار في غرائب الأمصار» في القرن الرابع عشر الميلادي وجود جاليات إسلامية كبيرة في ساحل شرق إفريقيا وأن سكان ممبسة مسلمون يعتقدون المذهب الشافعي.

وكان من الطبيعي أن تعطى هذه الدراسة اهتماماً بالغاً بقيمة للوثائق والمراجع التي أصدرتها وزارة التراث القومي والثقافة في عمان. وفي طليعة هذه الكتب كتاب «مذكرات أميرة» والذي نشر في عام (1985 م) ومؤلفته السيدة سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان أي ابنة السلطان المؤرخ لفترة حكمه، وترجع قيمة هذا الكتاب الوثائقية إلى كشفه لجوانب هامة من الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية في دولة زنجبار الحديثة - بصورة موثوقة بها تاريخياً - اعتماداً على معاصرة المؤلفة للأحداث التي وصفتها بدقة. كما أعطت وصفاً دقيقاً لأساليب الحكم والإدارة في تلك الدولة الحديثة.

وهناك كتاب هام أصدرته وزارة التراث القومي والثقافة في عمان للشيخ عبدالله بن صالح الفارسي في عام 1982 م بعنوان «البوسعيديون حكام زنجبار» وقد استفدت منه في تتبع السيرة الذاتية للسلطان سعيد بن سلطان وفي سد الفجوات التاريخية في المصادر والمراجع الأخرى، لا سيما فيما يتعلق

بنظام الحكم والقضاء والوزارة والنظام الحربي ودور الأسطول التجاري في الازدهار الاقتصادي لهذه الدولة.

ويعد كتاب «عمان وشرق إفريقيا» لمؤلفه أحمد حمود المعمرى الصادر في عام 1975 م من قبل الوزارة العمانية المذكورة مرجعاً هاماً لا غنى عنه. فهو يسلط الضوء على جهود العمانيين في طرد البرتغاليين من مسقط وساحل شرق إفريقيا وعلى سعيهم لتحقيق طفرة زراعية خاصة في عهد السلطان سعيد بن سلطان حينما اهتم بزراعة القرنفل وبعض المحاصيل الزراعية الأخرى ذات القيمة الاقتصادية، كما ركز هذا الكتاب على علاقات دولة زنجبار الحديثة التجارية بالولايات المتحدة، وعلى أنها كانت أول دولة عربية توفد ممثلاً دبلوماسياً إلى تلك الدولة بهدف إيجاد جسر من التعاون معها.

أما عن المراجع العربية المعاصرة، فإن كتابات جمال زكريا قاسم ومنها: «الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية» و«دولة بوسعيد في عمان وشرق إفريقيا (1741 - 1861 م)» و«الدولة العمانية في شرق إفريقيا» تعد من الكتب التي لها قيمتها العلمية في التأريخ لعلاقة العرب بساحل شرق إفريقيا فقد استفدت منها - بدرجة قصوى - في إبراز دور دولة زنجبار الحديثة في بناء حضارة عربية إسلامية في الساحل الشرقي الإفريقي.

وما يمكن أن يقال عن كتابات د. جمال زكريا قاسم، ينطبق بشكل كبير على عدد من المراجع العربية التي كتبت عن دولة زنجبار الحديثة في الفترة المؤرخ لها، وعلى سبيل المثال لا الحصر كتاب صلاح العقاد وجمال زكريا قاسم، زنجبار (القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، 1969 م) وكتاب محمود محمد الحويري «ساحل شرق إفريقيا من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي» (القاهرة: دار المعارف، 1968 م).

ومما لا شك فيه، فإن ساحل شرق إفريقيا ودولة زنجبار الحديثة بالذات قد حظيا باهتمام ودراسات المستشرقين والمستكشفين والمبشرين الأوروبيين توطئة لبسط النفوذ الاستعماري الأوروبي الصليبي على المنطقة. وبالرغم من أنني

أخذت جانب الحيطة والحذر خشية مما احتوت عليه بعض هذه الكتابات الأوروبية من دس وتزوير ومحاولة للنيل من العروبة والإسلام لتشويه صورتها لدى الوطنيين الأفارقة، فإن بعض كتابات هؤلاء الأوروبيين تظل لها قيمتها التاريخية في كشف النقاب عن الأحداث التي مرت بها دولة زنجبار الحديثة.

وفي هذا الصدد، لا يمكن الاستغناء عن كتاب سينر ترمينجهام «الإسلام في شرق إفريقيا»، فبالرغم من النظرة الصليبية الحاكمة التي طفحت في آراء مؤلفه باعتباره من كبار القساوسة فقد تعرض هذا الكتاب لدراسة أسباب قوة المد الإسلامي في ساحل شرق إفريقيا مركزاً على دور العرب المسلمين ودولة زنجبار الحديثة في إثراء الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية في المنطقة. غير أنه يؤخذ على هذا المؤلف محاولته اللجوء إلى الخبث والمكيدة عند التحدث عن تجارة الرقيق محاولاً توريث العمانيين في هذه التجارة البشعة متجاهلاً الدور الإنساني الذي قام به السلطان سعيد بن سلطان في محاربة تجارة الرقيق والحد منها.

ومن الكتب الأجنبية التي استفادت منها الباحثة كتابان:

1 — Ruete, Rudolf Said: Said Bun Sultan Ruler of Oman and East Africa (1791 - 1866) London, 1929.

هذا الكتاب عبارة عن ترجمة لتاريخ حياة السلطان سعيد بن سلطان ودوره في بناء دولة زنجبار الحديثة. ويلاحظ أن المؤلف هو حفيد السلطان نفسه وتوفرت لديه معلومات دقيقة عن أهم معيزات شخصية السلطان سعيد بن سلطان، فضلاً عن علاقاته على الصعيدين المحلي والدولي.

2 — Burton Richard, Zansibar City, Island and Coast, Two Vols, London, 1972.

ويعتبر بيرتون من أهم الرواد المستكشفين خلال القرن 19 الميلادي، وقد عرض لنا في كتابه هذا رحلته إلى زنجبار موفداً من قبل الجمعية الجغرافية الملكية الإنجليزية، وقد أثنى بيرتون على التسهيلات التي منحها له السلطان

سعيد بن سلطان والتي ساعدته على أن تكلل جهوده الاستكشافية لدواخل القارة الإفريقية بالنجاح.

وتقع هذا الدراسة في أربعة فصول وخاتمة مع قائمة بالمصادر والمراجع وعدد من الملاحق. أما الفصل الأول، فيعطي تعريفاً جغرافياً وتاريخياً عن ساحل شرق إفريقيا، وكذلك يتعرض لمراحل توطيد النفوذ العربي العماني في تلك البقاع والتي توجت بإعلان قيام دولة زنجبار الحديثة.

أما الفصل الثاني، فيتناول النظام الإداري والقضائي بدولة زنجبار الحديثة وملحقاتها في ساحل شرق إفريقيا، كما يتعرض - أيضاً - إلى تركيبة السكان والعلاقات السياسية لهذه الدولة في المجالين الداخلي والخارجي.

ويركز الفصل الثالث على العلاقات الاقتصادية لدولة زنجبار الحديثة متناولاً أثرها في التطور الاقتصادي الذي شهده ساحل شرق إفريقيا في عهد السلطان سعيد بن سلطان. وقد اهتم هذا الفصل بتسليط الضوء على الوضع الاقتصادي في هذه الدولة وتبيان ازدهار علاقاتها الاقتصادية وتطورها مع السوق الإفريقي والسوق الدولي. كما أبرز الجهود التي بذلها السلطان سعيد بن سلطان من أجل إلغاء الرق وإنهاء أهميته الاقتصادية التي كانت سائدة في المنطقة، فضلاً عن مساهمته الفعالة في الطفرة الاقتصادية التي شهدتها قطاعا الزراعة والتجارة.

أما الفصل الرابع فقد عنى بدراسة العلاقات الثقافية والاجتماعية في دولة زنجبار الحديثة في عهد السلطان سعيد بن سلطان. وقد أوضح الدور الرائد لهذه الدولة في ترسيخ مفاهيم الحضارة العربية الإسلامية في المناطق التي امتد إليها نفوذها.

وفي هذا الصدد أعطى هذا الفصل صورة واضحة لأبعاد أهمية الأثر الديني والتعليمي ودور العلماء في إثراء الحياة الثقافية. وكذلك ركز على المظاهر الاجتماعية التي خلفها الأثر العماني في ساحل شرق إفريقيا، لا سيما في المسكن والملبس والمآكل وعادات الولادة والتنشئة الاجتماعية.

الفصل الأول

ساحل شرق إفريقيا حتى قيام دولة زنجبار الحديثة

أولاً — لمحة جغرافية عن ساحل شرق إفريقيا:

- ساحل شرق إفريقيا عند الجغرافيين والمؤرخين العرب.
- التحديد الجغرافي لساحل شرق إفريقيا وجزيرة زنجبار.

ثانياً — لمحة تاريخية عن ساحل شرق إفريقيا:

- العلاقات التاريخية بين العرب وشرق إفريقيا.
- أبعاد الصراع بين العرب العمانيين والبرتغاليين في شرق إفريقيا.
- العمانيون في شرق إفريقيا.

ثالثاً — العوامل التي ساعدت على قيام دولة زنجبار:

- البوسعيديون في عمان.
- السلطان سعيد بن سلطان.
- توطيد السلطان سعيد بن سلطان حكمه ونفوذه في شرق إفريقيا.
- دوافع نقل سعيد بن سلطان عاصمة حكمه من مسقط إلى زنجبار وقيام دولة زنجبار الحديثة.
- إقامة السلطان سعيد بن سلطان في زنجبار.

الفصل الأول

ساحل شرق إفريقيا حتى قيام دولة زنجبار الحديثة

تمهيد:

لاكتمال الصورة التاريخية لعلاقات العرب المغرقة في القدم مع ساحل شرق إفريقيا، وهي علاقات وضعت الأساس المتين لقيام دولة زنجبار الحديثة وترسيخ نفوذها في المنطقة في ظل عهد السلطان سعيد بن سلطان (1806 - 1856 م)، رأت هذه الدراسة أن يكون الفصل الأول فصلاً تمهيدياً يتناول جملة من العوامل ذات التأثير الفعال في مسار تاريخ الساحل المعنى حتى انتقال مركز الدولة العمانية ونفوذها إليه عام 1832 م.

ونسبة لأصالة علاقات العرب بساحل شرق إفريقيا وعمقها، فقد كانت الجماعات العربية الوافدة سواء أكانت من اليمن وعمان ومنطقة الخليج العربي، أو من مصر أكثر الجماعات الإنسانية إلحاحاً ومعرفة وتأثيراً على سكان هذا الساحل الإفريقي وتأثر بهم، وتدل شواهد التاريخ المدون أن العلاقات العربية الإفريقية في ساحل شرق إفريقيا تمتد إلى حوالي أربعة آلاف سنة. فقد ساعدت العوامل الجغرافية، ومنها استفادة العرب من انتظام حركة الرياح الموسمية للوصول للمراكز التجارية لساحل شرق إفريقيا، وفضلاً عن القرب الجغرافي كعامل مساعد. ونتج عن ذلك هجرات عربية وإفريقية متبادلة منذ وقت مبكر. وتساعدت الهجرات العربية لساحل شرق إفريقيا - بصورة جماعية - في عهد الدولتين الأموية والعباسية وذلك في الفترات اللاحقة، غير أن إعلان قيام دولة

زنجبار الحديثة كان تنويعاً لازدهار العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بين العرب وبين الأفارقة.

ويرى كثير من المؤرخين أن التمازج العربي الإفريقي وصل ذروته في ساحل شرق إفريقيا في ظل دولة زنجبار الحديثة التي أسسها السلطان سعيد بن سلطان، بدرجة أن هنالك عرباً تأفروا كما أن هناك أفارقة تعربوا، بمعنى أن هذا الانصهار العرقي واللغوي جعل بعض ذوي الأصول العربية الفحة أن يتركوا لغتهم ويتحدثوا لغة إفريقية كالسواحيلية مثلاً بفضل مرور الزمن وينطبق هذا المفهوم نفسه على المجموعة الثانية التي تخلت عن لغتها الإفريقية وتحدثت بالعربية.

ويعد الجغرافيون والمؤرخون العرب أصحاب فضل في كشف النقاب عن تاريخ ساحل شرق إفريقيا وكذلك عن بقية أجزاء القارة السمراء وهذا ما يستوجب ضرورة إعطاء لمحة جغرافية وتاريخية عن المنطقة المؤرخ لها.

وكان من البديهي أن يتعرض ساحل شرق إفريقيا الذي كان تحت نفوذ عربي إسلامي ردياً من الزمن إلى التكاليف الاستعماري الشرس الذي بدأته البرتغال في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي حينما التفت حول رأس الرجاء الصالح بهدف ضرب المصالح العربية الإسلامية واحتكار التجارة الشرقية.

إن نضال العمانيين وجهادهم ضد الصلف البرتغالي وأهدافه الاستعمارية، يعتبر من أنصع وأنقى صفحات تاريخ العلاقات العربية الإفريقية في ساحل شرق إفريقيا.

وقد توج هذا الكفاح بانترزاخ الإمام سلطان بن سيف (1692 - 1711 م) مدينة منبنة من أيدي البرتغاليين في 14 ديسمبر (1698 م) وإقصاء نفوذهم ووجودهم نهائياً عن هذا الساحل.

وقد تضافرت كل العوامل المشار إليها أعلاه في تهيئة المناخ الملائم لقيام دولة زنجبار الحديثة في عهد السلطان سعيد بن سلطان (1806 - 1856 م). لذا، ولضمان تماسك هذا الفصل وتسلسل معلوماته منهجياً حرصت هذه الدراسة على أن يتم عرض موضوعاته حسب ما يلي:

أولاً - لمحة جغرافية عن ساحل شرق إفريقيا:

ساحل شرق إفريقيا عند الجغرافيين والمؤرخين العرب:

ظهرت كثير من المعلومات الخاصة بإفريقيا في المصنفات العربية ابتداء من القرن التاسع الميلادي، حيث سبق جغرافيو العرب ورحالتهم ومؤرخوهم نظراءهم في العالم الغربي في مجال المعرفة الإفريقية، ويعود ذلك إلى الخبرة الواسعة التي اكتسبها العرب منذ القدم نتيجة لرحلاتهم وأسفارهم في المحيط الهندي مما مكنتهم من الإلمام بمعرفة سر الرياح الموسمية التي استفادوا منها في الوصول إلى موانئ ساحل شرق إفريقيا وازدادت معلوماتهم عن تلك البقاع، حينما وقفوا على ترجمة المؤلفات الجغرافية القديمة⁽¹⁾ وقد أصبحت كتب العرب ومؤلفاتهم أساساً لاستقصاء المعلومات الهامة حول أجزاء كبيرة من القارة الإفريقية⁽²⁾. وتعتبر أقدم الكتابات العربية عن شرق إفريقيا ما كتبه سليمان التاجر حيث وصف وصفاً جيداً السواحل الشرقية من إفريقيا والموانئ المختلفة وسكانها والمحاصيل والمنتجات وبلغ التجارة، كما وصف كذلك أخبار الملاحة في المحيط الهندي، كما وصف كذلك بلاد الزنج «زنجبار»⁽³⁾.

وفي أواخر القرن التاسع الميلادي خص ابن خرداذبه ساحل شرق إفريقيا بنصيب كبير من الوصف⁽⁴⁾، وفي أوائل القرن العاشر الميلادي نجد الجغرافي أبو علي بن رسته يضمن كتابه الأعلام النفيسة معلومات مفيدة عن زنجبار

(1) عبد الغني عبد الله خلف الله: مستقبل إفريقيا السياسي (تاريخ شعوب القارة الحديثة وأوجه التطور المحتملة فيه) (القاهرة: مؤسسة المطبوعات الحديثة، 1961 م، ط 2، ص 465).

(2) وفيق الخشاب وإبراهيم المشهاتي: إفريقيا جنوب الصحراء، (بغداد: وزارة التعليم والبحث العلمي، 1978 م)، ص 8.

(3) أغناطوس كراشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب، ترجمة صلاح الدين هاشم، (القاهرة: جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية، 1963 م)، ص 141.

(4) بازال دافيدسون: إفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال أحمد، (بيروت: د. ن.، 1965 م)، ص 218.

واعتبرها أحد حدود العالم المعروف في عهده⁽⁵⁾.

وفي أوائل القرن العاشر الميلادي، ذكر أبو زيد السيرافي عن بلاد الزنج، بأن بها ملوكاً يغزو بعضهم بعضاً وأن أهلها يحترمون العرب ولهم في قلوبهم هبة وعظمة⁽⁶⁾.

وفي نفس القرن كان أبو الحسن المسعودي يتردد على شرق إفريقيا ما بين عامي (916 - 926 م)، بأكثر من رحلة وأفاض كثيراً في حديثه عن شرق إفريقيا وقال ضمن حديثه عن الجزء الغربي من المحيط الهندي: «لم أجد أهول من بحر الزنج فموجه عظيم كالجبال الشواهد، وهو موج أعمى، يرتفع ارتفاع الجبال وينخفض كانهخفاض ما يكون من الأودية لا ينكسر موجه ولا يظهر من ذلك زيد»⁽⁷⁾.

وقد أقام المسعودي في ساحل شرق إفريقيا زمناً ولكنه لم يتخط الساحل إلى الداخل كثيراً ووصف المسعودي الزنوج بأنهم يعيشون في إقليم يمتد مسافة ألفي وخمسمائة فرسخ على الساحل صوب الجنوب في المنطقة المعروفة حالياً بالقرن الإفريقي الذي يمتد شمالاً إلى موزمبيق، وجنوباً إلى سفالة وهي أرض الذهب وكثيرة العجائب⁽⁸⁾.

كما ذكر المسعودي جزيرة قبلو وقال عنها إنها جزيرة حارة فيها قوم من المسلمين بين كفار الزنوج، وكلهم في حكم أمير مسلم إلا أن لغتهم زنجية، وتتردد عليها المراكب العمانية، وقد حدد المسعودي تاريخ استقرار المسلمين

(5) صلاح الدين المنجد: مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين (القاهرة: د. ت)، ص 9.

(6) جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1975 م)، ص 4.

(7) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط 6 (بيروت: دار الأندلس، 1984 م)، ج 1، ص 122.

(8) المصدر نفسه، ص 424. وكذلك جمال زكريا قاسم: «المصادر العربية لتاريخ شرق إفريقيا»، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، (القاهرة 14، 1986 م)، ص 169 - 230.

في قبلو بقرن ونصف قرن من الزمان، وذلك قبل رحلته⁽⁹⁾.

ومن الجغرافيين الذين اهتموا بإفريقيا أبو القاسم محمد بن حوقل والذي ضمن كتابه «صورة الأرض» معلومات تفصيلية عن القسم الشمالي من شرق إفريقيا وأشار إلى أنها بلاد غنية بمعدن الذهب⁽¹⁰⁾.

ويعتبر المقدسي من أعظم الجغرافيين العرب في القرن العاشر الميلادي، وفي كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، تحدث عن الجزء الغربي من المحيط الهندي مبتدئاً بعدن ومنتهاً ببلاد الزنج.

وقد توفرت المعلومات عن ساحل شرق إفريقيا في القرن الثاني عشر الميلادي بفضل ما أورده لنا الجغرافي «الإدريسي» وإن كان الإدريسي لم يرحل إلى الساحل كما فعل المسعودي ولكن من المؤكد أنه استمع كثيراً وقرأ أكثر فأثنى في وصف ساحل الشرق الإفريقي بتفاصيل دقيقة وهامة، وتضمن كتابه المعروف «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» تلك التفاصيل⁽¹¹⁾.

ويمكن أن توصف كتابات الإدريسي فيما يخص شرق إفريقيا بأنها من المصادر الأولية الهامة التي تحدثت عن مدن الساحل وجزره، ومن ذلك كلوة التي ذكر أن لها تجارة هامة مع سفالة وماليندة التي وصفها بالازدهار⁽¹²⁾، وقال عنها إنها مدينة الزنج الذين يمتلكون فيها مناجم الحديد ويستخرجونه ويتاجرون في المطاوع منه.

وتحدثت عن منبسة واشتغال أهلها بتجارة الحديد مما يدل على الصلات

(9) جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، ص 10 - 14.

(10) ابن حوقل: صورة الأرض (بيروت: مكتبة الحياة، د. ت)، ص 16.

(11) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشرة دوزي ودي غوية، (لیدن: 1966 م)، ص 208. وكذلك جمال زكريا قاسم: استقرار العرب في ساحل شرق إفريقيا، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس.

(12) المصدر نفسه ص 209 وكذلك جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، ص 25.

التي كانت قائمة بين شعوب الداخل ومن يفد على الساحل من التجار العرب أو غيرهم.

كما وصف الإدريسي الحياة التجارية في ساحل شرق إفريقيا ورسم خريطة لإفريقيا كانت أكثر دقة بكثير من الخريطة التي وضعها بطليموس في القرن الثاني الميلادي⁽¹³⁾، وسجل في هذه الخريطة عدة مواقع على ساحل شرق إفريقيا منها أربع مواقع لا تزال موجودة على المصادر الجغرافية الحديثة وهي: سوقطرة ومركة وماليندة ومنبسة⁽¹⁴⁾.

ويتبين من وصف الإدريسي للحياة في ساحل شرق إفريقيا أن العرب وصلوا إلى مكانة كبيرة بعد أن آل إليهم حكم معظم الساحل⁽¹⁵⁾.

وفي أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، صنف ياقوت الحموي معجم البلدان وقد أشار فيه إلى كل من مقديشو والجب، وكلوة، ومنبسة، وسفالة، ولعل ياقوت أول من أشار إلى الشعب السواحلي، وسماه «البربر» وقد أسهب في كتابه الحديث عن مدينة مقديشو فذكر أنها أول بلاد الزنج يسكنها البربر، وهم غير البربر الذين يعيشون بالمغرب لا يحكمها ملك وإنما يدير أمور الناس المتقدمون على اصطلاح لهم⁽¹⁶⁾، ويشير ابن بطوطة أنه إذا قصدهم التاجر لا بد من أن ينزل على واحد منهم ويستجير به فيقوم بأمره وذكر أن أهم حاصلاتهم الصندل والأبنوس والعاج⁽¹⁷⁾.

وفي أواخر القرن الثالث عشر الميلادي برز من المصنفين العرب ابن سعيد المؤلف الجغرافي الذي وضع كتاب الجغرافيا أورد فيه معلومات عن

(13) شارل جيان: وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن شرق إفريقيا، عربها ملخصاً الأمير يوسف كمال، (القاهرة: د. ت، 1927 م)، ص 75 - 77.

(14) بازال دافيدسون: المرجع السابق، ص 219.

(15) الإدريسي: المصدر السابق، ص 210.

(16) ياقوت الحموي: معجم البلدان، (بيروت: دار صادر 1979 م)، ج 5، ص 173.

(17) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار، (بيروت: دار صادر، 1964 م)، ص 253.

سواحل شرق إفريقيا⁽¹⁸⁾ ومدنها كماليندة ومنبسة ومقديشو⁽¹⁹⁾.

كما أورد ابن سعيد تفاصيل عن جزيرة القمر، تطابق إلى حد كبير جزيرة مدغشقر من حيث كونها طويلة عريضة، طولها مسيرة أربعة أشهر وعرضها مسيرة عشرين يوماً وأنها تحت حكم المسلمين⁽²⁰⁾.

كما صنف زكريا بن محمد «القزويني» مصنفاً في تخطيط المدن والبلدان باسم عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات وكتاب آخر بعنوان «آثار البلاد وأخبار العباد» نقل فيه عن المسعودي ما هو متعلق بشرق إفريقيا⁽²¹⁾.

أما عبد الرشيد بن صالح الملقب بالبقوي، فله كتاب «عجائب القدوة» ذكر فيه بعض المعلومات عن جزيرة زنجبار والتي أسماها «بنجوية» وقال عنها إنها جزيرة من بلاد الزنج وأن جميع السفن التي تتاجر مع الساحل الشرقي ترسو إليها⁽²²⁾.

وفي الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، وفد الرحالة العربي ابن بطوطة على ساحل شرق إفريقيا وتحدث عن الازدهار الذي بلغه الساحل⁽²³⁾، على أن ابن بطوطة لم يهتم في كتاباته بالناحية الجغرافية ولا بالمكان وإنما يقص ما انطبع في ذهنه وما رسمت له ذاكرته فجاءت كتاباته تخالف الحقائق الجغرافية للمناطق التي زارها⁽²⁴⁾، وقد خص ابن بطوطة شرق إفريقيا برحلته الثانية، حيث وصل إلى الساحل عن طريق البحر الأحمر إلى سواكن ومنها إلى اليمن، ثم عاد إلى الساحل مرة أخرى فوصل زيلع ومنها إلى مقديشو ومنبسة وكلوة

(18) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص 130.

(19) شارل جيان: المرجع السابق، ص 138.

(20) لوثرروب استودارد: حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، تعليق شبيب

أرسلان (القاهرة: د. ن، 1343 هـ) ج 2، ص 371 - 372.

(21) دائرة المعارف الإسلامية: مادة أبو القداء.

(22) لوثرروب استودارد: المرجع السابق، ج 1، ص 281 - 283.

(23) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 255 - 260.

(24) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 307.

ويعتبر أول المصنفين العرب الذين حدثونا بإفاضة عن الإمارات الإسلامية الهامة في شرق إفريقيا، وأورد لنا بتفصيل ثلاثة مراكز على الساحل الشرقي من إفريقيا هي مقديشو وكلوة ومنبسة وذكر عن الأولى أن المسافة بينها وبين زيلع خمسة عشر يوماً⁽²⁵⁾، وهي مدينة متناهية في الكبر، لها نشاط تجاري مع مصر، إذ تصنع فيها الثياب الرفيعة وتصدرها إلى مصر وإلى غيرها من البلدان، كما أظهر ابن بطوطة في حديثه مدى تحضر مقديشو، وأنها على درجة كبيرة من التطور، حيث أصبح لها أنظمة وتقاليد خاصة بها، ومنها جلوس الفقهاء وذوي الرأي للنظر في شكاوى الناس وفقاً لتعاليم الشريعة الإسلامية⁽²⁶⁾، وكذلك اهتم بوصف الحياة الاقتصادية لأماره مقديشو، مع بيان ما وصلت إليه من ازدهار التجارة واتساع نفوذها الاقتصادي.

أما عن منبسة، فقال ابن بطوطة، إنها شافعية المذهب مساجدها مبنية من الخشب⁽²⁷⁾، وبالنسبة لكلوة فقد أفاد بأنها مدينة ساحلية عظيمة أكثر أهلها من الزوج، وهي من أحسن المدن وأتقنها عمارة وكلها مبنية من الخشب وأهلها أهل جهاد لأنهم في بر واحد متصل مع كفار الزوج، كما أشار إلى إسلام كثير الزوج الذين يغلب عليهم الدين والصلاح⁽²⁸⁾، وتعد كتابات ابن بطوطة آخر ما يمكن الوقوف عليه من المصنفات العربية عن حالة العرب في ساحل شرق إفريقيا، إذ ما استثنينا ما أشار إليه المقرئ في القرن الخامس عشر الميلادي عن ساحل شرق إفريقيا وكذلك أبو المحاسن في كتابه «المنهل الصافي والمستوفي بالوافي» حيث أشار إلى وجود مدينة لامو⁽²⁹⁾، وذلك تعتبر المصنفات العربية ذات فضل عظيم على التعريف بتاريخ ساحل شرق إفريقيا، حيث أمدتنا بمعلومات هامة عن تلك المنطقة خاصة ما بين القرنين الثامن

(25) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 252.

(26) المصدر نفسه، ص 254.

(27) المصدر نفسه، ص 257.

(28) المصدر نفسه، ص 258.

(29) Reginald, Coupland: East Africa and It's Invaders (From the Earliest times to the death of Sayyid said in 1856) (Oxford, 1938), P. 38.

والخامس عشر الميلاديين، وهي الفترة التي سبقت مجيء البرتغاليين إلى ساحل شرق إفريقيا، والتي يمكننا أن نطلق عليها العهد الإسلامي، حيث كان المسلمون خلالها على اتصال دون غيرهم بتلك المناطق، وكان لهم فيها النفوذ والسيطرة التجارية.

التحديد الجغرافي لساحل شرق إفريقيا وجزيرة زنجبار:

يطل الساحل الشرقي الإفريقي على البحر الأحمر والمحيط الهندي، وكان البحر الأحمر همزة وصل بين قارتي آسيا وإفريقيا لكن رغم أن الساحل الشرقي لإفريقيا به بعض الموانئ الصالحة، وبعض الجزر القريبة من الساحل مثل جزيرة زنجبار وجزيرة بمبا بالإضافة إلى أنه من الناحية المناخية أكثر ملاءمة من الساحل الغربي، فهو بعيد إلى حد ما عن أوروبا، وكان الطريق إليه مجهولاً للأوروبيين⁽³⁰⁾، كما أن المعاليك في مصر والحجاز كانوا يتحكمون في الطريق الملاحي بين الشرق وأوروبا، ويحرمون دخول السفن الأوروبية مياه البحر الأحمر⁽³¹⁾.

ويشمل شرق إفريقيا حسب المفهوم الحديث دول كينيا وأوغندا وتنزانيا⁽³²⁾، أو ما كان يعرف باسم «شرق إفريقيا البريطاني» بالإضافة إلى رواندا وبيروندى وتتمتع هذه المنطقة بمساحة ضخمة تبلغ حوالي 1.8 مليون كيلومتر مربع وتمتد من خط عرض 4.5 درجة شمالاً حتى خط عرض 10 درجات جنوباً، كما تمتد بين خطي طول 30 درجة، 40 درجة شرقاً⁽³³⁾، وسميت المنطقة بـ«شرق إفريقيا» لأن الطابع الذي يميزها تستمد من موقعها

(30) صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: زنجبار. (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1959)، ص 8.

(31) المرجع نفسه، ص 8.

(32) سمير محمد أبو ياسين: العلاقات العمالية البريطانية 1798 م - 1856 م (المراق: مركز دراسات الخليج العربي جامعة البصرة، 1981 م)، ص 15.

(33) شوقي الجمل: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1960 م)، ص 10.

الجغرافي في شرقي القارة، فالأخدود الغربي يكاد يكون فاصلاً بين هضبة شرق إفريقيا وبين منخفض زائير⁽³⁴⁾، الأمر الذي جعل علاقات السكان وتوجههم منذ القدم نحو الساحل المطل على المحيط الهندي، وهو الذي كانت تندفق إليه التجارة الشرقية الخاضعة للسيطرة العربية ولم يأت القرن الأول الميلادي حتى بدأ استقرار العرب بصورة جماعية على الساحل الشرقي الإفريقي، وبدأت حركة تجارية مزدهرة واختلط في هذا الساحل العرب والفرس والهنود بالسكان الوطنيين، مما أدى إلى ظهور هجين جديد أطلق عليه الشعب السواحيلي⁽³⁵⁾، وتقع جزيرة زنجبار في منطقة المحيط الهندي في الجزء الجنوبي الشرقي لقارة إفريقيا^(*) على خط عرض 6 جنوباً، وتبعد جزيرة زنجبار عن ساحل شرق إفريقيا نحو 46 كيلو متراً، ويبلغ طولها نحو 92 كيلو متراً، وعرضها نحو 44.5 كيلومتر ومساحتها الإجمالية نحو (1183.3) كيلومتر مربع. ويحد جزيرة زنجبار من الشمال جزيرة ممبا ومن الشمال الغربي كينيا ومن الشرق تنجانيقا ومن الغرب والجنوب المحيط الهندي⁽³⁶⁾ ويتضح من موقعها الاستراتيجي أنها كانت على صلات وثيقة وسهلة بمناطق إفريقيا الداخلية المتاخمة للساحل، فضلاً عن صلاتها بشبه الجزيرة العربية والخليج العربي والشرق الأقصى⁽³⁷⁾ وزنجبار جزيرة مسطحة بشكل عام، غير أن التلال المرتفعة تقع في المنطقة الوسطى في الجزء الشمالي الغربي، ويبلغ ارتفاعها نحو مائة وخمسين قدماً.

أما التكوين الجيولوجي لزنجبار، فتتكون تربتها من الرمال الصلصالية المغمورة على امتداد السواحل والمليئة بالطمي مما جعلها أفضل الأراضي

(34) محمد عبد الغني سعودي: إفريقيا دراسة في شخصية القارة وشخصية الأقاليم (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1983 م، ص 205).

(35) R. Coupland: Op. Cit., P. 18.

(36) فاروق عبد الجواد شويقة: الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا، رسالة دبلوم، (القاهرة: كلية الآداب - معهد الدراسات الإفريقية، 1960 م) ص 12 - 19.

(37) شوقي عطا الله الجمل: تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1980 م) ط 2، ص 46.

(*) انظر الملحق رقم (1).

الزراعية للمنتجات الاستوائية⁽³⁸⁾.

أما مناخها، فهو استوائي، حيث تكون الشمس عمودية في شهر مارس وأكتوبر من كل عام، ويبدأ الموسم الحار في شهر ديسمبر وحتى شهر يناير فتبلغ الحرارة نحو 30 درجة مئوية في المتوسط وخلال هذا الموسم تصبح التربة جافة، بسبب هبوب الرياح الجافة عليها.

ويبدأ الموسم الرئيسي لهطول الأمطار في شهر إبريل ومايو ويونيو، وتتراوح كمية الأمطار السنوية من 61 - 76 بوصة، وتسقط على مختلف المناطق في زنجبار بنفس المعدل تقريباً⁽³⁹⁾.

ثانياً - لمحة تاريخية عن ساحل شرق إفريقيا:

العلاقات التاريخية بين العرب وشرق إفريقيا:

عرف ساحل شرق إفريقيا منذ حوالي أربعة آلاف سنة، لوجودها في نطاق الحضارات القديمة، فقد أرسل المصريون القدماء سفنهم وأساطيلهم التجارية إليها من البحر الأحمر⁽⁴⁰⁾، وتؤكد الآثار المصرية أن السفن المصرية قد وصلت إلى ساحل شرق إفريقيا منذ عهد الأسرة الخامسة (2560 - 2420 ق. م.) في عهد ساحورع، وقد أكدت عمق هذه الصلات ما سجل على الآثار المصرية، لرحلة الحملة المصرية التي أرسلتها الملكة حتشبسوت (1490 - 1369 ق. م.) إلى ساحل شرق إفريقيا والتي سجلت على جدران معبدها بالدير البحري⁽⁴¹⁾، ومن المحتمل أن تكون السفن البطلمية أول من أبحرت

(38) حمامة خلفان النيث: التأثيرات العمانية في زنجبار، رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية، (القاهرة: كلية الآداب، معهد الدراسات الإفريقية، 1988 م)، ص 35.

(39) المرجع نفسه، ص 35.

(40) شارل أندريه جوليان: تاريخ إفريقيا، ترجمة طلعت عوض أياطة، مراجعة عبد المنعم ماجد، (القاهرة: دار المعارف، 1968 م)، ص 77.

(41) محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الإفريقية في العصور الوسطى، (القاهرة: د. ن، 1977 م)، ص 45.

جنوباً حول رأس جاردافوي من أجل العاج في عهد بطليموس الثالث (247 - 221 ق. م.)، وفي عام 45 م، لاحظ بحار روماني يدعى هبالوس انتظام الرياح الموسمية، وتأثيرها في الوصول إلى ساحل شرق إفريقيا⁽⁴²⁾، ويعتبر كتاب «دليل الملاحة في البحر الأرتيري» وثيقة هامة قديمة لبحار إغريقي مجهول ذكر فيه مؤلفه رؤيته للتجار والملاحين العرب في مناطق الساحل الشرقي لإفريقيا⁽⁴³⁾، أما القرن الرابع الميلادي، فقد شهد ظهور قوة الفرس الساسانيين البحرية، التي وصلت إلى ساحل شرق إفريقيا، في عهد الملك الساساني نرسي (292 - 302 م) الذي أقام صلات مع «زند أفريك شاه» ملك الصومال، وأصبحت هذه الصلات بادرة لعلاقات متنامية بين الفرس وساحل شرق إفريقيا⁽⁴⁴⁾ لا سيما بعد أن حل الفرس محل الأحباش في اليمن نتيجة لاستئجار الأمير الحميري سيف بن ذي يزن بهم، وقد ظلت بلاد اليمن وثيقة الصلة بساحل شرق إفريقيا منذ عام 575 م حتى الفتح العربي الإسلامي لها وهي في أيدي الفرس⁽⁴⁵⁾، ومما يؤكد عمق هذه الصلات إطلاق اسم «زنجبار» على ساحل شرق إفريقيا، وكلمة «بار» فارسية الأصل ومعناها الساحل، وعلى ذلك تصبح زنجبار معناها ساحل الزنج، وهو المصطلح الذي ساد في الكتابات العربية في العصور الوسطى، وكان السبتيون عرب جنوب شبه الجزيرة العربية أول الشعوب العربية التي أتت إلى الساحل الشرقي الإفريقي وقد كان للموضع الجغرافي لبلاد اليمن وشبه الجزيرة العربية أثره في تنمية الصلات بين تلك البلدان وساحل شرق إفريقيا، وقد تباينت هذه الصلات قوة وضعفاً بتفاوت

(42) محمود محمد الحويري: ساحل شرق إفريقيا من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي، (القاهرة: دار المعارف، 1986 م)، ص 12.

(43) Roland Oliver & Gervase Mothew: History of East Africa (Oxford, 1963), Vol. I, P. 10.

(44) ونيز بولم: الحضارات الإفريقية، ترجمة نسيم نصر (بيروت: دار عويدات، 1978 م)، ط 2، ص 131.

(45) جورج فضل حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مراجعة يحيى الخشاب، (القاهرة: د. ن، 1958 م)، ص 91 وما يليها.

العوامل والظروف السائدة ولم تنقطع هجرة السكان من المناطق العربية إلى مناطق الساحل الإفريقي في العصور المختلفة، كما أن الصلات الدينية والسياسية والتجارية التي كانت تربط بينهما ظلت قائمة لفترة طويلة⁽⁴⁶⁾، ومع قلة عدد هؤلاء التجار إلا أنه بمضي الزمن بدأ اختلاطهم يشتد بالسكان المحليين فتزوجوا بنساء القبائل وأقاموا عدة مراكز تجارية على الساحل للاشتغال بتجارة الذهب والعاج والرقيق⁽⁴⁷⁾، وكونوا إمارات عربية في شرق إفريقيا شهد بعظمتها وبحضرتها كل من زارها، هذا وقد ظلت هذه الصلات باقية لم تنقطع.

ويظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي في شبه الجزيرة العربية أصبح لدى العرب والمسلمين دوافع جديدة غير العامل التجاري لمحاولة الاستقرار الدائم في سواحل إفريقيا الشرقية وإقامة كيانات سياسية وإسلامية وبالتالي ازدادت الروابط بين العرب وشرق إفريقيا ولم يقتصر هذا الأمر على عرب شبه الجزيرة العربية وحدهم بل تعداهم إلى كثير من الشعوب الإسلامية مثل بلاد فارس وشبه القارة الهندية ومعظم الدول الإسلامية⁽⁴⁸⁾.

وأهم ما تميز به هذا الدور الإسلامي هو قيام الإمارات والمدن العربية على السواحل الإفريقية⁽⁴⁹⁾ كما شهد تدفق العرب المهاجرين إلى الساحل بأعداد أكثر واللاحق بإخوانهم الذين سبقوهم واستقروا هناك، وكان استيطان العرب واستقرارهم بشرق إفريقيا نتيجة لدوافع عديدة، أبرزها النزاعات الدينية والسياسية التي كانت تحدث بين المسلمين خاصة في عهد الخلافتين الأموية والعباسية مما دفع بأعداد متزايدة من العرب وغيرهم من المعارضين إلى الهجرة

(46) الحسن بن أحمد الحميمي: سيرة الحبشة حديقة النظر وبهجة الفكر في عجائب السفر، تحقيق مراد كامل (القاهرة: د. ن، 1958 م)، ص 3.

(47) جمال زكريا قاسم: استقرار العرب في شرق إفريقيا (مجلة كلية الآداب جامعة عين شمس، 10، 1967 م)، ص 290.

(48) أحمد سويلم العمري: الإفريقيون والعرب، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1967 م)، ص 80.

(49) محمد مختار أمين: أضواء حول إفريقيا (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت)، ص 56.

خارج شبه الجزيرة العربية فاتجهت جماعات منهم إلى موانئ شرق إفريقيا حيث كانوا قد تعودوا من قبل على التبادل التجاري معها⁽⁵⁰⁾.

وقد بدأت الهجرات الإسلامية إلى شرق إفريقيا منذ بزوغ الإسلام بتلك المجموعات الصغيرة من المسلمين الذين وجههم «الرسول عليه الصلاة والسلام» للهجرة إلى الحبشة مما يؤكد على أن الصلات بين الجزيرة العربية وإفريقيا كانت قائمة ومتصلة ثم زادت الهجرات منذ المواجهة الكبرى التي بدأت في عهد خلافة عثمان بن عفان⁽⁵¹⁾.

وتعتبر أولى الهجرات الجماعية في العصر الإسلامي إلى إفريقيا كانت في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (685 - 705 م)، وذلك إثر اتباع سياسة البطش والتكيل بالحركات المناوئة للدولة الأموية، فخرجت هجرات عربية بأعداد كبيرة إلى السواحل الشرقية لإفريقيا وانضمت إلى من سبقوهم ليدعموا تأسيس المدن والمراكز العربية هناك والتي أصبحت نواتها لأمو والمناطق التي حولها⁽⁵²⁾.

وكان من أهم هذه الجماعات العربية التي هاجرت إلى شرق إفريقيا تلك التي خرجت من عمان خلال الفترة من (694 - 704 م) بقيادة الأخوين سليمان وسعيد أبناء عباد الجلندي من قبيلة الأزد وهما من شيوخ العرب الذين حكموا عمان في أيام الدولة الأموية وثاروا في وجه الخليفة عبد الملك بن مروان إلا أنهم فشلوا وتغلب عليهم قوات الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 694 م فهرب سعيد وسليمان مع أنصارهما إلى الساحل الإفريقي ويحتمل أن يكونا قد نزلا في بات في أرخبيل لامو⁽⁵³⁾، أو في مدينة حدابو التي أسسوها شمالي منبسة⁽⁵⁴⁾.

(50) Zoe March: East Africa Through Contemporary Records, (Cambridge: 1961), P. 3.

(51) جمال زكريا قاسم: المصدر السابق، ص 291.

(52) المرجع نفسه: ص 291.

(53) عبد الرحمن زكي: «الإسلام والحضارة العربية في شرق إفريقيا»، (المجلة التاريخية المصرية، 21، 1974 م)، ص 38 - 40.

(54) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 292.

وتبع هذه الهجرة هجرات إسلامية أخرى استقرت في أماكن متفرقة على الساحل الشرقي الإفريقي، ولقد كان لانتصار بني أمية وتأسيس دولتهم أن حدثت معارك دموية بينهم وبين الهاشميين كانت آخرها تلك المعركة التي قتل فيها زيد بن علي زين العابدين عام 738 م وتفرق أتباعه من بعده في البلاد فاستقر فريق منهم في اليمن مؤسساً طائفة الزيديين⁽⁵⁵⁾، ومن هؤلاء الزيديين من هاجر إلى ساحل شرق إفريقيا، واستقروا عند ساحل بنادر بالقرب من موقع مقديشيو عند شنجابا⁽⁵⁶⁾.

كما أن كثيراً من أهل الحجاز وعلى الأخص من أهل مكة والمدينة قد هاجر إلى ساحل شمال إفريقيا بعد الحملات الحربية التي قام بها الأمويون على المدينتين المقدستين⁽⁵⁷⁾.

وعندما استولى العباسيون على الدولة الإسلامية، وانتشر الأمويون وأتباعهم في شرق إفريقيا والأندلس، وصل عدد منهم إلى الشاطئ الشرقي الإفريقي عن طريق المحيط الهندي والبحر الأحمر⁽⁵⁸⁾.

وكان من أهم الهجرات في القرن العاشر الميلادي هجرة الأخوة السبعة من قبيلة الحارث العربية، فقد هبط هؤلاء على الساحل الشرقي لإفريقيا عند شاطئ بنادر وامتد نفوذهم حتى جنوبي منبسة⁽⁵⁹⁾، ولقد اصطدم المهاجرون الجدد في ساحل بنادر بمن سبقوهم من المجموعات الزيدية، ففضلوا التوغل إلى الداخل حيث اختلطوا بالأهالي الإفريقيين⁽⁶⁰⁾ ويرجع إليهم الفضل في تأسيس مدينتي مقديشيو وبراو⁽⁶¹⁾.

(55) المرجع نفسه، ص 293.

(56) عبد الرحمن زكي: المرجع السابق، ص 38.

(57) المرجع نفسه، ص 39.

(58) المرجع نفسه، ص 40.

(59) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 293.

(60) عبد الرحمن زكي: المرجع السابق، ص 39.

(61) المسعودي: المصدر السابق، ج 1، ص 98.

وفي حوالي عام 957 م وفدت إلى ساحل شرق إفريقيا هجرة فارسية جديدة بزعامة الحسن بن علي الشيرازي وأبنائه الستة، ويقال إن حسن بن علي قد حرم من حقه الشرعي في تولي إمارة شيراز بسبب أنه ابن زنجية، فأغضبه ذلك فهاجر إلى ساحل شرق إفريقيا ونزلوا في مقديشو ولكنهم وجدوا أنفسهم في خلاف مذهبي مع من سبقهم من عرب الإحساء وتفرقوا في الساحل واتخذوا من كلوة عاصمة لهم مؤسسين بذلك دولة الزنج⁽⁶²⁾، التي امتدت إلى عدة موانئ وجزر من بمبا في الشمال إلى سفالة في الجنوب⁽⁶³⁾، وتعتبر أول دولة إسلامية قامت في شرق إفريقيا وربما كانت سلطنة زنجبار الحديثة تستند في أصولها التاريخية على دولة الزنج⁽⁶⁴⁾، هذه والتي يرجع إليها الفضل في قيام عدة مدن إسلامية على الساحل الشرقي لإفريقيا كانت على درجة كبيرة من التحضر والازدهار⁽⁶⁵⁾.

وعلى أثر وصول تلك الجماعات بدأ الأهالي من الإفريقيين يدخلون تدريجياً في الإسلام، كما استوطن العرب إقليم سفالة، وانتشروا في جزيرة مدغشقر، كما شق العرب طريقهم إلى الحبشة وأوغندة وتنجانيقا ونياسلاند، وشيدوا مدن الساحل الشرقي مثل مالندة، ومنبسة، وزنجبار، وكلوة، وسفالة، وغيرها من المستوطنات⁽⁶⁶⁾.

وفي بداية القرن الثالث عشر الميلادي قدمت إلى الساحل الشرقي لإفريقيا هجرة عربية كبيرة من إقليم عمان بقيادة سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني صاحب عمان ونزل بيات وتزوج سليمان من أميرة سواحلية هي ابنة إسحاق «حاكم بات» ثم تنازل له إسحاق عن الحكم وبذلك أصبح أول حكام أسرة بني

(62) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 293.

(63) المرجع نفسه، ص 294.

(64) سليمان مالكي: دور العرب وتأثيرهم في شرق إفريقيا (القاهرة: كلية الآداب، سمنار التاريخ، 1991 م)، ص 130.

(65) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 290.

(66)

نبهان في الساحل الشرقي لإفريقيا⁽⁶⁷⁾.

لقد حرص العرب على توطيد سيطرتهم على مقاطعات الساحل⁽⁶⁸⁾ وأحدث العرب تنظيمات جديدة في المنطقة، وتمكنوا من إنشاء عدة ممالك عربية مستقلة على طول الساحل بفضل تدفق الهجرات العربية، خاصة من البحرين وعمان والإحساء واليمن وحضرموت، وكانت تلك الممالك أو المدن التي أسسوها تمتد من القرن الإفريقي إلى مدار الجدي، وهي المنطقة التي أطلق عليها جغرافيو العرب في العصور الوسطى اسم - بر الزنج⁽⁶⁹⁾ - ولا شك أن تلك المدن حققت نجاحاً وازدهاراً كبيرين، ولكنها من جهة أخرى افتقرت إلى التنظيمات العسكرية، ويرجع ذلك إلى أنها لم تقع نتيجة لفتح أو توسع حربي، وإنما قام بها تجار أو مهاجرون أو مضطهدون سياسيون أو دينيون، وهؤلاء جميعاً كانت مصالحهم تقتضي أن تكون علاقتهم سلمية إلى حد كبير مع الأهالي الذين استقروا في أوطانهم واستمر السواحليون يعترفون بالسيادة العربية حتى قدوم البرتغاليين الذين استغلوا فرصة التفكك في هذه الإمارات التي بدأت كل منها تعمل للتوسع على حساب جيرانها. والجدير بالذكر، أن البرتغاليين عند وصولهم إلى ساحل شرق إفريقيا دهشوا دهشة بالغة لوجود حضارة مزدهرة مما جعل بعض الكتاب يصف تلك البيئة بأنها كانت أرقى من البيئة البرتغالية في سنة 1500 م⁽⁷⁰⁾.

وقد علق كوبلاند على هذا الوصف بقوله: «إننا يجب ألا ندهش لما يذكره هؤلاء من مظاهر الحضارة التي نقلها العرب لشرق إفريقيا، لأن العرب

(67) عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا (القاهرة: معهد الدراسات الإسلامية، 1965 م)، ص 119.

(68) أمين أسبر: إفريقيا والعرب (القاهرة: دار الحقائق، 1980 م)، ص 14.

(69) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى غربي القارة الإفريقية وشرقتها، (القاهرة: معهد الدراسات العربية، 1957 م)، ص 127.

(70) حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ط 2 (بيروت: دار العودة، 1981 م)، ص 63.

كانوا في ذلك الوقت حملة لواء الحضارة فلا شك أن مدارس بغداد والقاهرة وتونس كانت حتى القرن الثالث عشر الميلادي تفوق تلك التي في أكسفورد أو أي مدينة أوروبية أخرى⁽⁷¹⁾.

أبعاد الصراع بين العرب العمانيين والبرتغاليين في شرق إفريقيا:

كان الأوروبيون يجهلون معرفة ساحل شرق إفريقيا بدرجة كبيرة - حتى مجيء البرتغاليين في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، وقد يكون تجار العصور الوسطى من الأوروبيين قد عرفوا بعض مناطق هذا الساحل، إلا أن الممالك في مصر نجحوا في إبعادهم عنها. بل كما هو معروف كان محرماً على الأوروبيين أن يلجوا البحر الأحمر خوفاً من أن يتعرفوا على مصادر التجارة الهندية، وأدى هذا التحريم عليهم إلى عدم معرفتهم التامة بالساحل الشرقي الإفريقي⁽⁷²⁾.

ويعتبر اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح ووصولهم إلى الهند في عام 1498 م، بداية الاستعمار الأوروبي الحديث، كما كان من نتائج ذلك الكشف الأوروبي تحول التجارة الشرقية التي كانت تحت سيطرة العرب المسلمين إلى أيدي البرتغاليين، كما كان التفافهم حول رأس الرجاء الصالح ووصولهم مباشرة لأوروبا، سبباً مباشراً في الركود التجاري الذي شهدته منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر ومصر، وقامت الدول التي يهتمها أمر التجارة البرية والبحرية القديمة لمساعدة العرب في صراعهم ضد البرتغاليين، فقام الممالك في مصر بالتعاون مع البنادقة والأتراك العثمانيين بعدة جهود لمحاربتهم، كذلك قام العثمانيون بعد استيلائهم على أهم أقطار الشرق العربي (الشام ومصر والحجاز واليمن) ببذل جهود لإعادة الحياة إلى الطرق التجارية القديمة⁽⁷³⁾، وظهرت جهودهم في الخليج العربي وشرق إفريقيا والبحر

(71)

Coupland: Op. Cit, P. 39 - 40.

(72) زين العابدين: تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين (لبنوة: 1898 م)، ص 45.

A. Vambery: The Travels and Adventures of the Turkish Admiral Sidi Ali Reis in (73) India, Afghanistan, Central Asia, and Persia during the years 1553 - 1555 Translated.

الأحمر، كما برز من قباطتهم بيري بك وسيدي علي الرايس وعلي جلبي وغيرهم، ولكن لم تؤد تلك الجهود إلى أثر فعال⁽⁷⁴⁾، واتسم الصراع الذي نشب بين المسلمين والبرتغاليين بنزعة دينية قوية وظهر فيها تعصب البرتغاليين الصارخ في شكل روح صليبية حاقدة⁽⁷⁵⁾.

وحاول البرتغاليون فرض سيطرتهم على الطرق البحرية والبرية القديمة حتى تصبح جميع المنافذ التجارية في أيديهم ومن ذلك محاولتهم السيطرة على الخليج العربي بغرض إيجاد طريق تجاري عبر نهر الفرات⁽⁷⁶⁾.

وقد مهدت لهم السيطرة على معظم سواحل عمان إلى إخضاع مسقط في عام 1508 م⁽⁷⁷⁾، كما استولى البرتغاليون على جزيرة هرمز قبل ذلك بعام واحد وأجبروا ملوكها الذين كانوا تابعين للفرس أن يقدموا ولاءهم للبرتغاليين، كذلك عمل البرتغاليون على توطيد نفوذهم على ساحل شرق إفريقيا، بعد أن أدركوا أهمية اتخاذ موانئ هذا الساحل كمحطات تمد سفنهم الذاهبة إلى الهند بالعتاد والمؤن، ونجح البرتغاليون في السيطرة على موزمبيق وكلوة⁽⁷⁸⁾، كما أحرزوا نجاحاً كبيراً في السيطرة على ساحل شرق إفريقيا وإخضاع زنجبار وبرأوة ومنبسة لنفوذهم⁽⁷⁹⁾.

لقد نجح البرتغاليون في السنوات الأولى من القرن السادس عشر الميلادي في السيطرة على الساحل الشرقي لإفريقيا وفشلت جهود المسلمين في درء خطرهم ويعزو ذلك إلى عاملين رئيسيين:

From the Turkish with notes, (London: 1899), P. 3 - 4.

(74)

(75) جمال زكريا قاسم: دولة بوسعيد في عمان وشرق إفريقيا 1741 - 1861 م (القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1976 م)، ص 16 - 17.

(76) زين العابدين: المرجع السابق، ص 46.

Bent Theodore: Southern Arabia, (London: 1905), P. 50.

(76)

Carsten Nieubuhur: Nieubuhurs Travels Through Arabia and other Countries in the East. Translated by Rupert Heren, 2 Vols, (Edinburgh: 1972), P. 49.

Lewis Krapf: Travels, Research and Missionary Labours during and Eighteen years Residence in Eastern Africa (London: 1860), P. 524.

Charles Eliot: East Africa Protectorate, (London: 1905), P. 9. (79)

الأول: تفكك الإمارات العربية على الساحل.

والثاني: عدم وجود تعاون بين الدول الإسلامية الكبيرة، بقيادة الدولة العثمانية.

إن الصراع في ساحل شرق إفريقيا لم يقتصر على البرتغاليين والعرب وحدهم فحسب، بل سارعت الدولة العثمانية - بعد إسقاطها لدولة المماليك، وإحكام سيطرتها على الشرق العربي - بالدخول في حلبة هذا النزاع، وقد انتهز القائد العثماني علي بك فرصة وقوع البرتغال تحت الحكم الإسباني عام 1580 م فقام بتحريض مسلمي ساحل شرق إفريقيا على الثورة ضد البرتغاليين وإعلان الانضمام إلى الدولة العثمانية⁽⁸⁰⁾.

وكادت الثورة أن تنجح في منبسة ولامو ومقديشيو وبات، على أن البرتغاليين ما كادوا يعلمون بما قام به العثمانيون حتى أسرع قائدهم توماس كوتيهنو بقمع الثورة الناشئة والقبض على «علي بك» وأسرته وإرساله إلى لشبونة، وهكذا انتهى الأمر بإعادة السيطرة البرتغالية بعد أن تمت هزيمة العثمانيين⁽⁸¹⁾.

لم يستطع البرتغاليون الاحتفاظ بسيطرتهم على هذا الساحل طويلاً، إذ ما لبثت دول أوروبية أخرى أن دخلت الميدان فتعرض البرتغاليون لمنافسة الهولنديين الذين سارعوا بعد أن تخلصوا من حكم أسبانيا في عام 1588 م إلى توجيه نشاطهم صوب تجارة الشرق، وأسسا الشركة الهندية الهولندية في عام 1602 م ومن قبل كان الإنجليز قد بدأوا يتجهون بدورهم إلى أهمية ثروات الشرق، فقام جماعة من تجار لندن بعدة جهود انتهت في عام 1600 م بتأسيس شركة الهند الشرقية الإنجليزية وأخذت المنافسات الاستعمارية بين البرتغاليين والهولنديين والإنجليز تأخذ صورة جدية بدأها الإنجليز بصراعهم ضد البرتغاليين عن طريق صداقتهم لفارس التي تمخض عنها إسقاط معقل

(80) Foreign Office London; No. 67 «The Formation of the Portuguese Colonial Empire».

PP. 9 - 10.

Krapf: Op. Cit. P. 252.

البرتغاليين الحصين في جزيرة هرموز عام 1622 م⁽⁸²⁾.

إن سقوط هذا الحصن كان نقطة التحول الخطيرة في تاريخ عمان بل يعد بحق بداية لتاريخها الحديث إذ سارعت عمان بإعلان استقلالها عن مملكة هرموز التابعة للبرتغاليين واستطاع ناصر بن مرشد مؤسس دولة البعارة (1624 - 1741 م) أن يعلن نفسه إماماً على البلاد عام 1624 م، وأن يقوم بجهود موفقة للقضاء على السيطرة البرتغالية، كما تمكن خلفاؤه من بعده القضاء على النفوذ البرتغالي في الخليج العربي وفي شرق إفريقيا وأن يظهروا إلى الوجود كأكبر دولة بحرية عربية في التاريخ العربي الحديث⁽⁸³⁾.

العمانيون في شرق إفريقيا:

بدأ القرن السابع عشر الميلادي، وبدأت الأحداث والأزمات تتوالى في تاريخ الخليج العربي، فقد شهد هذا القرن أفول نجم دولة مستعمرة في البرتغال، كما شهد صراعاً عنيفاً بين القوى الاستعمارية في الخليج العربي وبحار الهند بصفة عامة، ودام ذلك الصراع خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، وليس من شك في أن الضربة التي وجهت للبرتغال، قد ساعدت في ظهور قوة جديدة في الخليج العربي هي قوة عرب عمان الذين استثمروا تلك الظروف وقاموا بدور فعال في تثبيت نفوذهم في الخليج العربي، وذلك بالانقضاء على ممتلكات البرتغاليين ومراكزهم الاستراتيجية في كل من الخليج العربي وشرق إفريقيا⁽⁸⁴⁾.

إن تحرير الخليج من سيطرة البرتغاليين كان العامل القوي الذي أبرز قبيلة البعارة، التي أصبحت قوة فعالة بحسب لها حساب كبير في داخل البلاد وخارجها.

لقد استطاع ناصر بن مرشد أن يفتنم فرصة طرد البرتغاليين من هرموز في

(82) William Foster: England's Quest of Eastern Trade (London: 1933), P. 79FF.

(83) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 19.

Krapf: Op. Cit. P. 522.

عام 1622 م، فقام بالقضاء على ما كان لتلك المملكة التابعة للبرتغاليين من سيادة على صحار⁽⁸⁵⁾، ولم يلبث بعد ذلك أن وصل إلى السلطة، وتمت عقد البيعة له بالإمامة سنة 1624 م⁽⁸⁶⁾.

وعلى الرغم من أن هناك عوامل كثيرة كان لها أثرها في اضمحلال القوة البرتغالية، فلا ينبغي أن نفغل أهمية الدور الذي قامت به دولة اليعاربة في طرد البرتغاليين من الخليج العربي وشرق إفريقيا، ولقد استنفد تحرير الشواطئ العربية في عمان والخليج العربي الكثير من جهد العمانيين الذين عملوا أيضاً على تخليص جلفار «رأس الخيمة» من الفرس⁽⁸⁷⁾، كما هاجم الإمام ناصر بن مرشد صحار واستطاع أن ينتزعها من أيدي البرتغاليين رغم عقد الصلح بينه وبينهم ولم يوقف هذا الصلح حركة التحرير العمانية التي بدأها الإمام ناصر بن مرشد وتبعه خليفته سلطان بن سيف (1640 - 1668 م) والذي تمكن من انتزاع مطرح ومسقط من أيدي البرتغاليين عام 1658 م وكان هذان الميناءان آخر معاقل البرتغاليين في عمان⁽⁸⁸⁾.

ولم يكتف سلطان بن سيف بالقضاء على البرتغاليين في بلاده وإنما تتبعهم في ممتلكاتهم بالهند وشرق إفريقيا، كما أنه اغتنم فرصة استنجد أهالي منبة بعمان فقام بمحاصرة المدينة حصاراً طويلاً في عام 1660 م، استغرق خمس سنوات⁽⁸⁹⁾.

واتجه سلطان بن سيف إلى جزيرتي بمبا وزنجبار وتمكن من تخليصهما من

(85) Farouhy Abbas: The Bahrain Island's (750 - 1951), A contribution to the study of power, politics in the persian gulf. (New York: 1951), P. 64.

(86) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 23.

(87) George Persw Badger: History of the Imams and Seyyids of Oman, by Salil bin Razik (From A.D. 661 - 1856) Translated from the Original Arabic, and edited with appendices and an Introduction continuing the History down to 1870, (London: 1871), PP. XXIII - XXIV.

(88) زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 23.

(89) المرجع نفسه، ص 23.

أيدي البرتغاليين، واستطاع العمانيون بذلك وخلال النصف الثاني من القرن السابع عشر إقصاء البرتغاليين عن ممتلكاتهم في شرق إفريقيا والتي كانت تمتد من جزيرة سقطرة شمالاً إلى رأس دلجادو جنوباً⁽⁹⁰⁾.

وكان أعظم انتصار حققه العمانيون على البرتغاليين في شرق إفريقيا هو نجاحهم في إخضاع منبة في 14 ديسمبر 1696 م⁽⁹¹⁾ ويقول رودولف سعيد: «إن انتزاع منبة كان من الممكن أن يمكن سيف بن سلطان وهو الذي خلف أباه سلطان بن سيف في عام 1669 م من تأسيس امبراطورية عمانية على أنقاض امبراطورية البرتغاليين، ولكن ضعف مركزه في الداخل جعله يهمل تنفيذ ذلك المشروع، وبذلك تأخر تأسيس الامبراطورية العربية إلى نيف ومائة سنة حينما قام بها سعيد بن سلطان (1806 - 1856 م)⁽⁹²⁾.

كان لسقوط منبة على أيدي العرب أثره البالغ في إجبار البرتغاليين على الجلاء عن جميع الساحل، وفشلت محاولاتهم في إعادة سيطرتهم من جديد، وكانت أهم تلك المحاولات محاولة قاموا بها عام 1738 م⁽⁹³⁾، عندما تقدموا بأسطولهم صوب منبة واستطاعوا إعادة سلطة البرتغاليين على بعض مدن الساحل وجزيرة بات وجزيرة كلوة، ولكن لم تستمر سيطرة البرتغاليين كثيراً إذ قام أهالي تلك المدن بطلب المساعدة من عمان التي كانوا ينظرون إليها باعتبارها الدولة الأم، وتمكن سيف من طرد البرتغاليين من تلك السواحل ولعل قسوة البرتغاليين في حكمهم هي التي دفعت الأهالي للثورة عليهم وتقويض مركزهم في شرق إفريقيا، والتشكيل بمن بقي من أفراد الحامية البرتغالية في منبة، وذلك بالذبح والقتل وحذو منبة بقية مدن ومقاطعات الساحل⁽⁹⁴⁾.

M.F.Hofer: L'Univers, Histoire et description de tous les peuples (Afrique Orientale, (90) centrale et Australie) (Paris: 1848), P. 163.

Guillain: Documents sur L'Histoire, Geographie et le Commerce de l'Afrique (91) Orientale (Paris: 1856) PP. 520 - 521.

Rudolf Said: Ruete said Bin Sultan Ruler of Oman and East Africa, 1791 - 1856, (92) (London: 1929), P. 47.

Coupland: Op. Cit, P. 69.

(93)

Ibid, P. 70.

(94)

وجاءت ثورة منبسة على البرتغاليين نتيجة العلاقات التي قامت بين سكان الساحل الإفريقي وبين الدولة العمانية، فقد أدرك أهالي منبسة أنه من الأفضل لهم أن يحموا أنفسهم من البرتغاليين بالتجائهم إلى قوة كبيرة يعتمدون عليها، ومن ثم كان من الطبيعي أن يلجأوا إلى عمان، وأن يطلبوا من إمامها وضع بلادهم تحت حمايته وكانت هذه خير فرصة انتهزها الإمام سيف بن سلطان فبعث بأحد رجاله واسمه محمد بن سعد المعموري في عام 1728 م، ليكون نائباً عنه في حكم منبسة، ونجح ذلك القائد في إخضاع زنجبار وغيرها من الساحل فأصبحت من توابع عمان، ولم تلبث أن ظهرت السيطرة العمانية بصورة صحيحة واضحة على الساحل الشرقي لإفريقيا حيث امتد الحكم العماني إلى مقديشو وبذلك وقع جميع الساحل من شمال رأس دلجادو جنوباً إلى مقديشو شمالاً في حكم العمانيين⁽⁹⁵⁾.

إن المشاكل الداخلية والخارجية التي وقعت فيها دولة اليعاربة، من تنازع حول الحكم، ومحاولة أئمة تلك الدولة توطيد مركزهم في الجزيرة العربية والخليج العربي وحملاتهم ضد البرتغاليين، كانت من أهم العوامل التي جعلت سيادة عمان على شرق إفريقيا سيادة اسمية⁽⁹⁶⁾، كما تأثرت هذه المنطقة أيضاً بعدم الاستقرار الذي اتصف به الحكم في عمان من منافسات وحروب أهلية، ويسجل لنا عام 1739 م، استقلال محمد بن عثمان المزروعى بولاية منبسة وذلك بعد أحد عشر عاماً من قيام المعموري نائب إمام عمان على حكمها⁽⁹⁷⁾، ولم تلبث أيضاً أن خطت جزيرة بات الخطوة نفسها التي خطتها منبسة فيستقل بها النبهانيون معلنين انفصالهم عن عمان⁽⁹⁸⁾.

لقد كان للتزايدات والصراعات على السلطة في عمان أثر كبير في تفكك

(95) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 24.

(96) Krapf: Op. Cit, P. 529.

(97) Ruete: Op. Cit, P. 46.

(98) F.B., Pearce: Zanzibar, The Island Metropolis of Eastern Africa, (London: 1920), P. 109.

دولة اليعاربة واضمحلال سيطرتها على ممتلكاتها في ساحل شرق إفريقيا، وانتهاز حكام هذا الساحل فرصة الفوضى التي عمت عمان، فقاموا بالاستقلال بمقاطعاتهم وإماراتهم التي كانت في أيديهم، واستمرت هذه الحالة من الفوضى والتفكك حتى ظهور دولة جديدة، هي دولة البوسعيد التي ورثت دولة اليعاربة وعملت على توطيد نفوذها في الساحل الإفريقي.

ثالثاً - العوامل التي ساعدت على قيام دولة زنجبار الحديثة:

البوسعديون في عمان:

ب وفاة الإمام سلطان بن مرشد عام 1738 م، فقدت أسرة اليعاربة سيطرتها على عمان، وظهرت في مكانها قبيلة أخرى هي قبيلة البوسعيد، وهي قبيلة من عرب الجنوب، كانت قد هاجرت من اليمن إلى عمان قبل الإسلام⁽⁹⁹⁾. ويعتبر أحمد بن سعيد 1742 م المؤسس الأول لأسرة البوسعيد، والذي كان والي صحار في عهد دولة اليعاربة، ثم ظهرت مواهبه في القيادة والتنظيم، واتسم بالجرأة والشجاعة وقد ساعده على ذلك التفاف القبائل العمانية حوله فوحدتهم وجمعهم تحت قيادته، واستطاع أن يخلف الإمام سيف بن سلطان الثاني اليعربي في الحكم بعد سقوط دولة اليعاربة⁽¹⁰⁰⁾.

وقد تمكن الإمام أحمد بن سعيد من تأسيس الحكم لعائلته وأن يكون الأول في طليعة الأسرة الحاكمة والتي ما زالت تحكم عمان حتى الآن، وظلت تحكم زنجبار وجزءاً من الساحل الشرقي الإفريقي حتى عام 1964 م⁽¹⁰¹⁾.

ولقد وجد الإمام أحمد بن سعيد ولاية من بعض مدن الساحل مثل بات،

(99) شركة الزيت العربية الأمريكية: عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي، (القاهرة: إدارة العلاقات - شعبة البحث، 1952 م)، ص 174.

(100) ل. د. هولنجزورت: زنجبار (1890 - 1913 م)، ترجمة وتعليق حسن حشي

(القاهرة: دار المعارف 1968 م)، ص 8.

(101) عبد المجيد القيسي: «مقدمة كتاب مذكرات أميرة عربية» سالمة بنت سعيد بن

سلطان، ط 5 (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1983 م)، ص 16.

وزنجبار، بينما احتفظت كلوة بولاء اسمي فقط أما ممبسة فقد قادت حركة المعارضة، واستطاع حاكمها علي بن عثمان المزروعوي أن يكون حليفاً مع بعض المدن الإسلامية في شرق إفريقيا، مثل مقديشو، وبراوو ولامو، كما تمكن من بسط نفوذه عليها، واتخذ من ممبسة عاصمة له وسعى إلى انتزاع زنجبار عسكرياً من محمد البوسعيد نائب الإمام أحمد بن سعيد ولكن محاولته باءت بالفشل⁽¹⁰²⁾، هذا وقد ورثت أسرة بوسعيد في شرق إفريقيا الاضطرابات والتنازعات التي كانت سمة من سمات الدولة حينذاك، هذا الاضطراب والتفكك وإن بدا واضحاً في أيام الإمام أحمد بن سعيد فإنه كان أشد وضوحاً في عهد خلفائه من حكام تلك الأسرة⁽¹⁰³⁾.

ويبدو أن الإمام أحمد بن سعيد، قد استنزف جهداً عظيماً في توطيد دعائم حكم أسرته، غير أنه لم ينجح في القضاء على جميع الفتن والاضطرابات في عمان، الأمر الذي جعل أفراد أسرته لم يعلنوا في حينه عن وفاته خشية حدوث تفاقم في الانقسامات الداخلية، لذا، لم تحدد المصادر المتاحة تاريخ وفاته، فبعثها يعيل إلى أنه توفي في عام 1775 م والبعض الآخر يرجع عام 1783 م⁽¹⁰⁴⁾.

آل الحكم بعد ذلك إلى ابنه سعيد بن أحمد الذي واجهته الفتن والصراعات العائلية بالرغم من حنكته ودهائه السياسي فاستغل معارضوه ميله إلى الشعوذة والخرافات واتهموه بالخروج عن التعاليم الإسلامية، مما أدى إلى إسقاطه عن الحكم⁽¹⁰⁵⁾، وتولي أخيه الإمام سلطان بن أحمد البوسعيد

(102) حسن نصوح: التصوحية في أصول الممالك الأرضية (زنجبار: دار الوثائق، د. ت)، ص 471.

(103) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 49.

(104) المرجع نفسه، ص 50.

(105) حمامة خلفان الغيث: التأثيرات العمانية في زنجبار، رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية، غير منشورة (القاهرة: كلية الآداب، معهد الدراسات الإفريقية 1988 م، ص 69).

(1793 - 1804 م) الحكم، وقد كان مولعاً بالتوسع البحري، وتحويل عمان إلى دولة بحرية كبرى تضم في حوزتها إمارات الخليج العربي، فضلاً عن الممتلكات العمانية في شرق إفريقيا، غير أن طموحات الإمام سلطان بن أحمد لم تتحقق، حيث لقي مصرعه في إحدى المعارك التي كان يقودها بنفسه ضد القواسم في رأس الخيمة⁽¹⁰⁶⁾.

السلطان سعيد بن سلطان:

ولد السلطان سعيد بن سلطان في بلدة سمائل، وهي مدينة تقع بسلطنة عمان على رأس وادي سمائل⁽¹⁰⁷⁾، وقيل في بلدة الغبرة التي تبعد عن العاصمة مسقط بشمانية أميال عام 1791 م⁽¹⁰⁸⁾، ووالده هو الإمام سلطان بن أحمد بن سعيد بن حمد بن أحمد بن خلف بن سعيد الأزدي، والسيد سلطان هو الحاكم الثالث من أسرة البوسعيد، والخامس من بين سبعة أولاد للإمام أحمد أول حكام البوسعيد⁽¹⁰⁹⁾ وأمه غنى بنت سيف، عمه السيد حمود بن سيف البوسعيد⁽¹¹⁰⁾.

وبعد وفاة والده الإمام سلطان بن أحمد، تم تعيين بدر بن سيف بن أحمد نائباً للإمام الراحل لمدة سنتين، على أن يؤول الحكم إلى أحد أبناء الإمام الراحل، وكان عمر سعيد بن سلطان - وقتئذ - لا يزيد عن ثلاثة عشرة عاماً، وله أخ اسمه سالم يكبره سنأ، ولكنه، عزف عن الحكم وتركه لأخيه سعيد، الذي

(106) روبرت جيران لاندن: عمان منذ 1856 م) مسيراً ومسيراً، ترجمة محمد أمين عبد

الله، (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1970 م)، ص 57.

(107) سعيد علي المغيرة: جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق عبد المجيد القيسي،

(عمان: وزارة الثقافة والتراث القومي، 1983 م)، ص 233.

(108) حميد بن محمد بن زريق: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيين، تحقيق عبد

المتعم عامر، ومحمد مرسي عبد الله، (عمان: وزارة الثقافة والتراث القومي،

1977 م)، ص.

(109) عبد الله بن صالح الفارسي: البوسعيديون حكام زنجبار ترجمة محمد أمين عبد الله

(عمان: وزارة الثقافة والتراث القومي، ط 2، 1982 م)، ص 7.

(110) سعيد علي المغيرة: المرجع السابق، ص 233.

أنس فيه الكفاءة والاعتدال والمقدرة على الحكم، فتركه له وهكذا تبوأ الإمام سعيد ابن سلطان مقاليد الحكم في عمان عام 1806 م واستمر فيه حتى 1856 م⁽¹¹¹⁾.

والجدير بالذكر أن عمته موزة^(*) قد لعبت دوراً كبيراً في انتزاع الحكم له من بدر بن سيف الذي سعى إلى اغتصابه لنفسه من ورثة الإمام سلطان بن أحمد⁽¹¹²⁾.

أما عن شخصية السلطان سعيد بن سلطان^(**) فقد وصفته ابنته سالمة بقولها: (كان طويل القامة، نحيل القوام، وقور السمة مهيباً، وكانت تقاسيم وجهه تطفح بالركة والحنان، ولكنها في الوقت نفسه تفرض الهيبة والاحترام، ورغم أنه من رجال الحرب والقتال ويجد متعة بالغزو والفتوح، فقد كان لنا جميعاً مثلاً أعلى والدأ وأميراً، وكانت العدالة مبتغاه والمساواة في المعاملة ديدنه وقد فرضها في بيته وبين رعيته، وكان لا يتأخر عن إيقاع العقاب بأعز أبنائه إذا ما ثبت تقصيره حتى ولو اشتكاه أصغر الخدم، وكان إمام الخالق مثال الخشوع والورع كما كان بعيداً بطبعه عن التعالي والجفاء)⁽¹¹³⁾.

كما قال عنه القبطان هارث - قبطان البارجة البريطانية - «أي مرجين» عام

(111) جمال زكريا قاسم: دراسة لتاريخ الإمارات العربية (1840 - 1904 م)، (القاهرة: مطبعة عين شمس، 1961 م)، ص 81.

(112) عبد الله بن صالح الفارسي: المرجع السابق، ص 9.

(113) سالمة بنت سعيد بن سلطان: المرجع السابق، ص 60.

(*) عند وفاة السيد سلطان وتعيين السيد بدر بن سيف نائباً لمدة سنتين، كان النفوذ في الإدارة والأحكام وغير ذلك من شؤون الدولة تصدر من السيدة موزة بنت الإمام أحمد عمه السيد سعيد، حين كانت ذات اقتدار وسطوة ودهاء، ولقد أدركت بأن السيد بدر ابن سيف يبيت لاختلاس السلطة من ابن عمه سعيد بن سلطان، فحرضت السيدة موزة ابن أخيها السيد سعيد على قتل بدر بن سيف، ورسمت له خطة ذلك، حيث قام السيد سعيد بن سلطان بتنفيذ الخطة وقتل السيد بدر بن سيف في منطقة بركاء في 31 يوليو 1806 م، (راجع: عبد الله بن صالح الفارسي البوسعيديون حكام زنجبار، ص 51 وما بعدها).

(**) انظر الملحق رقم (2).

1834 م، وهو في الثالثة والأربعين من عمره: (كان طويلاً، نبيل المنظر، ليباً، فظناً، حاذقاً، حاد البصر، بشوشاً، حسن الأخلاق، جميل الصفات).

أما الرحالة الإنجليزي برتون فقال عنه: (أنه كان سياسياً حاذقاً، متمسكاً بالدين دون تعصب، أنيباً بشوشاً عظيم العواطف ممتاز الهيئة والشكل).

وقال بعد وفاته: (يستحق أن تكتب هذه العبارة على ضريحه: أنه كان قريباً للسلم، وقريباً للحرب، وقريباً إلى قلوب مواطنيه)⁽¹¹⁴⁾.

وما إن وصل السلطان سعيد بن سلطان إلى الحكم عام 1806 م فسرعان ما عمل على توطيد دعائم حكمه، والسيطرة على مقاليد الجبهة الداخلية، وإقصاء المنافسين له، فتخلص من نفوذ عمته موزة المتنامي⁽¹¹⁵⁾، بعد أن قتل منافسه بدر بن سيف، وكما سبق ذكره فقد كان بدر وصياً على الحكم وسعى لاغتصابه⁽¹¹⁶⁾ وفي الوقت ذاته اكتفى بمهادنة عمه قيس حاكم صحار⁽¹¹⁷⁾ الذي أثر أن ينصرف إلى حدود إقليمه في صحار، واستمر السلطان سعيد بن سلطان في سعيه لتوحيد عمان فانتزع مقاطعة نخل من فلول البعارة⁽¹¹⁸⁾ كما سيطر على صحار بعد وفاة عمه قيس⁽¹¹⁹⁾، وامتدت سيطرته إلى الرستاق العاصمة الدينية لعمان.

وهكذا تسنى له القضاء على منافسيه، وخرج حاكماً فعلياً على عمان وملحقاتها.

توطيد السلطان سعيد بن سلطان حكمه ونفوذه في شرق إفريقيا:

واجه السلطان سعيد بن سلطان مشكلة الحركات الانفصالية في شرق إفريقيا، والتي كانت تزعمها مقاطعة منبسة ووضح له بأن سلطنة عمان لا

(114) سعيد علي المغيري: المرجع السابق، ص 234.

Pearce: Op. Cit, P. 114.

(115)

(116) جمال زكريا قاسم: دولة بوسعيد في عمان وشرق إفريقيا، ص 132.

Badger: Op. Cit, P. LXI - LXII.

(117)

Ibid, P. LXXX - LXXXI.

(118)

(119) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 134.

نفوذ لها إلا على بعض المقاطعات التابعة لزنجبار وهي بمبا وماقيا وكلوة⁽¹²⁰⁾ علماً بأنه في عام 1807 م، قامت أسرة المزروعى، وهي الأسرة التي كانت تحكم منبسة منذ عام 1739 م، بحركة انفصالية تقصد ضم الممتلكات العمالية إلى حكم المزارعة، وكان المزروعيون قد انتزعوا بات من النبهانيين وعملوا على السيطرة على بقية إمارات الساحل التي لم تجد بداً سوى الاستنجاد بالسلطان سعيد بن سلطان، الذي بادر بإرسال بعض قطع من أسطوله البحري إلى ساحل شرق إفريقيا بيد أن تلك الجهود لم تكن حاسمة للقضاء على نفوذ المزروعيين، ولذا أدرك ضرورة السيطرة على معقلهم منبسة⁽¹²¹⁾.

والجدير بالذكر أنه في عام 1814 م خلصت منبسة لحكم عبدالله بن أحمد محمد المزروعى الذي انتزع مدينة بات من «فومولوتي بن بوانا مادي» الذي استنجد بالسلطان سعيد بن سلطان فأرسل الإمام سعيد بن سلطان خطاباً إلى حاكم منبسة يأمره بالانسحاب من بات، ويحذره من مغبة العصيان، غير أن عبدالله بن أحمد المزروعى قد استخف بما جاء في خطاب إمام عمان، إذ أرسل رده مع مبعوثه حسن بن علي الجنبى الصوري، وهو عبارة عن درع وبارود وبنادق، الأمر الذي يوحى باستعداده للحرب⁽¹²²⁾.

وكان رد السلطان سعيد بن سلطان في عام 1823 م، أن أرسل إلى بات قوة عسكرية مؤلفة من أربعة آلاف رجل في ثلاثين سفينة بقيادة السيد حمد بن أحمد البوسعيدى حيث قاومه حاكم بات، ووقعت بينهما عدة معارك لم تكن حاسمة في بادئ الأمر، وفي النهاية تم إخضاع بات، وتحرك السيد حمد مع جزء من قواته إلى بمبا، حيث وقعت معركة في إقليم شكشك انتهت بسقوطها في يد قوات السلطان سعيد⁽¹²³⁾.

(120) R.N. Colomp: Slave Catching in the Indian Ocean A Record of naval Experience, (London: 1873), P. 364.

(121) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 194 - 195.

(122) المرجع نفسه، ص 195.

(123) عبدالله بن صالح الفارسي: المرجع السابق، ص 116، 118.

وفي عام 1828 م، غادر السلطان سعيد بن سلطان مسقط على رأس قوة كبيرة مؤلفة من ألف ومائتين رجل، وأربع سفن، هي ليفربول، شاه عدم، وييد موتيس، وأرتميس بالإضافة إلى عشر سفن أخرى صغيرة، وكان كل منها مجهزاً بما بين أربعة وستة مدافع⁽¹²⁴⁾، ووصل السلطان سعيد إلى منبسة، حيث خاض معارك مع المزاريع انتهت بهزيمة الحاكم المزروعى الذي أذعن ووافق على توقيع معاهدة في 18 يناير 1828 م تعترف بسيادة السلطان سعيد على منبسة⁽¹²⁵⁾ ومن أهم بنود هذه المعاهدة ما يلي:

- 1 - تخضع القلعة للسلطان سعيد، وتحتلها قواته، على شرط ألا يكون من بين هذه القوات أفراد من القبائل التي اشتركت في الحرب ضد المزروعى وألا يتجاوز عدد هذه القوات الخمسين فرداً.
- 2 - السماح للحاكم المزروعى (الوالي) بالبقاء في القلعة مع أسرته كما كان الحال من قبل.
- 3 - تتبع أرض منبسة السلطان سعيد، على أن يحتفظ الشيخ سالم بالحكم فيها مدى حياته، وبعد وفاته ينتقل الحكم فيها إلى ورثته.
- 4 - تقسم العوائد منبسة بين السلطان سعيد وبين الحاكم المزروعى، وللحاكم المزروعى حق تعيين المسؤولين عن الميناء⁽¹²⁶⁾.

ونتيجة لذلك ترك السلطان سعيد جنوداً من اليلوش (*) في قلعة يسوع، وأبحر هو إلى زنجبار حيث مكث هناك ثلاثة أشهر، ومما يذكر أن زنجبار كانت موالية لحكام عمان منذ فترة طويلة ولذلك استقبل السلطان سعيد هناك بحفاوة بالغة وقد لفت انتباهه خصوبة أرض الجزيرة وموقعها القريب على الساحل

(124) المرجع السابق، ص 121.

(125) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 70 - 73.

(126) عبدالله بن صالح الفارسي: المرجع السابق، ص 122 - 123.

(*) اليلوش هم الجنود القادمون من مدينة بلوستان الواقع جنوب فارس على المحيط الهندي. وقد اعتمد عليهم السيد سعيد بن سلطان في حراسته وتدعيم ملكه وأولاهم نفقة المطلقة.

الشرقي، وربما بدأ يفكر أثناء تلك الزيارة في إمكان اتخاذ زنجبار عاصمة المستقبل لملكه في شرق إفريقيا⁽¹²⁷⁾، غير أن المزارع لم يلتزموا بعهدهم، فانتهكوا الاتفاق من جديد فهاجمهم السلطان سعيد مرة أخرى عام 1834 م باثنتين من سفنه الكبيرة، هما ليفربول والرحماني، وسفن أخرى صغيرة، تحمل ألفي مقاتل، وتم قمع قوات المزارع وقد تعهدوا أيضاً بالالتزام بتنفيذ الشروط السابقة⁽¹²⁸⁾.

ولما وجد المزارع أنهم قد استعادوا أنفاسهم جمعوا قواتهم وعادوا فنقضوا العهد من جديد، واضطر السلطان سعيد إلى مهاجمتهم مرة ثالثة وتمكن من إنزال هزيمة ساحقة بهم في 1837 م، ووقع في الأسر راشد بن سليمان رئيس قبيلة المزارع وستة عشر آخرين من أنصاره حيث حكم عليهم بالسجن المؤبد في بندر عباس التي كانت تحت الحكم العماني في ذلك الحين، وبذلك عادت منية لحكم السلطان سعيد واستقر نفوذه فيها⁽¹²⁹⁾.

دوافع نقل السلطان سعيد بن سلطان عاصمة حكمه من مسقط إلى زنجبار:

لقد أملت عدة عوامل على السلطان سعيد بن سلطان أن يتخذ قراره المشهور بنقل عاصمته من مسقط في عمان إلى زنجبار عام 1840 م⁽¹³⁰⁾ بساحل شرق إفريقيا، والمعروف أنه واجه مصاعب داخلية كثيرة في عمان ولم يستب له الوضع هناك، فضلاً عن قلة موارد البلاد واستنزافها بالحروب وإخماد الفتن الداخلية، ولذا وجد السلطان سعيد في زنجبار مناخاً ملائماً من حيث الموارد الاقتصادية والاستراتيجية ومن أهمها ما يلي:

— موقع جزيرة زنجبار الاستراتيجي والقريب من الساحل الشرقي لإفريقيا حيث لا تبعد إلا بخمسة وعشرين ميلاً عنه، ولا يزيد المسافة بينها وبين جنوب منية عن حوالي مائة ميل.

(127) المرجع السابق، ص 125.

(128) المرجع نفسه، ص 125.

(129) المرجع نفسه، ص 127.

(130) محمد عبد الرزاق مناع: جولة في إفريقيا (الجمهورية دار الفكر، 1974 م)،

— يختلف مناخ زنجبار عن مناخ مسقط المعروف بشدة حرارته وكثرة رياحه وغباره طوال السنة، وأما مناخ زنجبار، فيمتاز باعتدال مناخه ووفرة مياهه وخصوبة تربته الصالحة للزراعة⁽¹³¹⁾.

— أهمية الجزيرة باعتبارها مركزاً وسيطاً للتجارة وعمليات التبادل التجاري لأقاليم ساحل شرق إفريقيا^(*)، فضلاً عما تتمتع به الجزيرة وغيرها من جزر وأقاليم الساحل من موارد متنوعة وكثيرة⁽¹³²⁾.

— عمق مياه موانئ المدينة مما يجعلها صالحة لرسو السفن الضخمة⁽¹³³⁾.

— وجود روابط اقتصادية وصلات وثيقة بين عمان وبين ساحل شرق إفريقيا.

— حرص السلطان سعيد بن سلطان على الاستفادة من موارد وخبرات هذا الجزء من دولته واستغلالها⁽¹³⁴⁾.

— أتاح الموقع الاستراتيجي لجزيرة زنجبار، أن تكون في أمان من الغزو الخارجي، لا سيما من قبل القبائل الإفريقية المناوئة⁽¹³⁵⁾.

— إحساس السلطان سعيد بن سلطان باستتباب الأمور له في ساحل شرق إفريقيا بعد كسر شوكة منافسيه، حيث لم يبق من ينازعه السيادة في المنطقة، ولذا، عمل على نقل مقر حكمه لجزيرة زنجبار على ساحل شرق إفريقيا وحرص على أن يكون الحكم وراثياً في أسرته⁽¹³⁶⁾.

— تفضيله الإقامة في تلك الجزيرة بعد أن عانى الكثير من المتاعب الداخلية في

(131) أحمد حمود المعمرى: عمان وشرق إفريقيا، ترجمة محمد أمين عبد الله، (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1980 م)، ص 73.

Ethel Younghusband: Glimpses of East Africa and Zanzibar, (London: 1908), P. (132) 233.

(133) ل. د. هولنجزورت: المرجع السابق، ص 5.

(134)

Pearse: 117.

(135) ل. د. هولنجزورت: المرجع السابق، ص 5.

(136) صلاح المقاد: الاستعمار في الخليج الفارسي، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية،

1936 م)، ص 74.

(*) أرجع إلى الملحق رقم (3) الذي يوضح أهمية موقع مدينة زنجبار.

مسقط من جانب المنافسين له في الحكم من أعمامه أو أبناء عمومته .
- تقصص العهد من قبل السعوديين والقواسم وهجومهم المستمر على المقاطعات التابعة له في الخليج العربي⁽¹³⁷⁾.

إقامة السلطان سعيد بن سلطان في زنجبار :

قبل أن يستقر السلطان سعيد في زنجبار، كان يقيم في البيت الذي كانت تملكه السيدة فاطمة بنت يوسف، وهي إحدى ملكات زنجبار الشيرازيات، وكان هذا البيت في موقع بيت العجائب ولما قرر السلطان سعيد الإقامة في زنجبار أمر الشيخ صالح بن حرميل العبري بأن يبني له بيتاً في الموتني، على بعد خمسة أميال شمال مدينة زنجبار وقد بنى هذا البيت الملكي (بيت الموتني) بين عامي 1832 - 1838 م⁽¹³⁸⁾ ويقع في مكان مطل على شاطئ البحر^(*)، وسط ساحة واسعة الأرجاء بها حدائق وبساتين كثيفة ترتفع فيها أشجار النخيل والمانجو والتارجيل وغيرها من الأشجار الاستوائية الضخمة، وقد أخذ هذا القصر اسمه من نهر الموتني، وهو نهر صغير ينبع من مكان غير بعيد عن القصر يجري نحوه ويخترق بساتينه⁽¹³⁹⁾.

وهناك منزل آخر في المدينة عاش فيه السلطان سعيد، وهو قصر من طابقين كان يسمى بيت الساحل وكان يقع داخل حديقة، وسطه محلى بالأنابيب الفخارية، وكانت به شرفة ممتدة بطول واجهته، وبه قاعة كبرى معدة إلى الذين يحضرون إلى البلاط وعند بوابة القصر كانت توجد تسعة مدافع، وفي الخلف حظائر الخيول والحيوانات الأخرى، وخلف بيت الساحل كانت توجد بيوت أخرى للسلطان سعيد أيضاً، وهي أصغر حجماً من بيت الساحل وإلى اليمين كان هناك مسجد ومقبرة البوسعيديين.

(137) المرجع السابق، ص 74.

(138) عبد الله بن صالح الفارسي: المرجع السابق، ص 104.

(139) سالمة بنت سعيد بن سلطان: المرجع السابق، ص 55.

(*) انظر الملحق رقم (4) الذي يوضح بيت الموتني بزنجبار.

ومن بين البيوت الأخرى التي استخدمها السلطان سعيد ذلك البيت الذي كان يسمى بيت واتورو⁽¹⁴⁰⁾.

كما كان للسلطان سعيد بن سلطان عدة استراحات ريفية يلجأ إليها بعيداً عن ضغط المدينة نذكر منها:

مقاطعة كيزيمباني:

على بعد عشرة أميال إلى الشمال من المدينة، وهي المقاطعة الثانية في زنجبار، يزرع فيها القرنفل، وكانت بها بيوت فاخرة، جيدة التأسيس مزودة بجميع وسائل الراحة، وكان بها حمام جميل، وكان من عادته أن يدعو بعض الناس لتمضية أيام معه في هذه المقاطعة.

مقاطعة كيجيتشي:

وهي مجاورة لمقاطعة كيزيمباني، وقد تعود السلطان سعيد أن يذهب إلى هاتين المقاطعتين كثيراً مع زوجته الفارسية (شهرزاد) ولهذا فقد كان في هاتين المقاطعتين حمامات فاخرة وقد بنيت هذه الحمامات عام 1849 م⁽¹⁴¹⁾، كما كان يوجد مصنع للسكر بين المسافة التي توجد بين مقاطعة كيجيتشي وبين كيزيمباني، وكانت زنجبار لا تستورد السكر بل كانت تصدره.

مقاطعة السبيني:

وكانت هذه المقاطعة قريبة جداً من المدينة، حيث إنها تبعد عنها بمقدار ميلين ونصف الميل، وكان أبناءه المقيمون في المدينة قد اعتادوا أن يسيروا إلى هناك على أقدامهم.

مقاطعة شويني:

وتبعد هذه المقاطعة عن المدينة بحوالي تسعة أميال شمالاً وقد خصص السلطان سعيد هذه المقاطعة لإقامة جواريه، كما أعطى لحراسه الخصوصيين

(140) المرجع السابق، ص 71.

(141) عبد الله بن صالح الفارسي: المرجع السابق، ص 113.

ويتضح مما ورد في هذا الفصل، أن السلطان سعيد بن سلطان قد عمل بخطى ثابتة وبرؤية صائبة للأمور عند نقل عاصمة ملكه إلى جزيرة زنجبار. وقد اهتم بتهيئة المناخ لإقامته المستديمة في هذه الجزيرة التي أقام بها القصور والاستراحات التي اتسمت بمظاهر الترف والبذخ ويبدو أنه انطلق في مفهومه من أن ذلك كان ضرورياً لتقوية هيئته وعظمته في أعين مواطنيه ورعاياه وفي هذا الصدد، فعلاً قد أعطت نظرتة الفاحصة ثمارها، حيث قامت العلاقات السياسية لدولة زنجبار الحديثة في ظله على أسس سليمة في المجالين الداخلي والخارجي، وهو ما يورده الفصل الذي يلي.

الفصل الثاني

العلاقات السياسية لدولة زنجبار الحديثة

أولاً - السياسة الداخلية:

- النظام الإداري والقضائي.
- اتساع رقعة دولة زنجبار الحديثة.
- موقف بعض الوطنيين الأفارقة من التوسع العربي العماني.
- القوة البحرية لدولة زنجبار الحديثة.
- عناصر السكان بدولة زنجبار الحديثة.

ثانياً - السياسة الخارجية:

- البعثات الأوروبية الاستكشافية والنشاط التبشيري.
- السلطان سعيد بن سلطان والأطماع الأجنبية.
- العلاقات مع بريطانيا.
- العلاقات مع فرنسا.
- العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية.

الفصل الثاني

العلاقات السياسية لدولة زنجبار الحديثة

تمهيد:

عند وضع اللبنة الأولى للسياسة الداخلية في دولة زنجبار الحديثة، تأثر السلطان سعيد بن سلطان بالنظم الإدارية والقضائية للحضارة العربية الإسلامية، وهي نظم متأثرة في خطواتها بما كان متبعاً في عمان قبل نقل العاصمة إلى زنجبار عام 1832 م. والجدير بالذكر، أن جوهر الإدارة والقضاء مستمد من المذهب الإباضي المذهب الرسمي للدولة العمانية. غير أنه لقلة العناصر الحضرمية وتواجدها المبكر في ساحل شرق إفريقيا حظي المذهب الشافعي بمكانة مرموقة في القضاء.

لقد أبدى السلطان سعيد بن سلطان حنكة سياسية فذة في خلق التوازن في بيئته الجديدة وحاول أن يوفق بين النمط الإسلامي والأنماط الإفريقية ويعطي زعماء رعاياه الأفارقة وغيرهم نوعاً من السلطة ليحلوا أمور أتباعهم وفقاً للعرف والعادة. كما جعل حكام المقاطعات من أهل البلاد الوطنيين ليضمن ولائهم.

وطبيعي أن تؤدي مرونة السلطان سعيد بن سلطان السياسية في النطاق الداخلي إلى اتساع رقعة دولته وخلق انسجام بين عناصر السكان المختلفة. كما مكنته من بناء قوة بحرية لا يستهان بها.

أما عن سياسته الخارجية، فقد فطن السلطان سعيد بن سلطان إلى تعاظم قوة التكاليف الاستعماري وإلى أقنعتة المختلفة المتمثلة في البعثات الأوروبية

الاستكشافية والتبشيرية. كما حاول أن يقيم علاقات يشوبها الحذر والتروي مع كل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.

هذا، وقد عالج هذا الفصل العلاقات السياسية لدولة زنجبار الحديثة تحت موضوعين رئيسيين. الأول: السياسة الداخلية، أما الموضوع الثاني، فيركز على العلاقات الخارجية لدولة زنجبار الحديثة وأبعادها.

أولاً - السياسة الداخلية:

النظام الإداري والقضائي:

كان من الطبيعي أن يتوفر في دولة زنجبار الحديثة نظام إداري وقضائي ينظم العلاقة بين الجنسيات المختلفة من السكان وكان على النحو التالي:

1 - النظام الإداري: كان أهم ما يميز النظام الإداري في زنجبار هو المساواة الكاملة بين جميع الطوائف، التي تشكل السكان، وعدم التعصب لسلالة أو فئة معينة، تميزها عن الفئات الأخرى في الحقوق والواجبات، ولم يكن هناك فرق بين العرب وبين بقية السلالات العرقية الأخرى⁽¹⁾.

وقد حرص السلطان سعيد على المساواة في التعيينات في الوظائف الإدارية بين المؤهلين من مختلف عناصر السكان في دولته ويلاحظ أن العنصر العماني نفسه ذاب في بعض عناصر المجتمع الأخرى، خاصة القبائل الإفريقية مثل الهاديمو والتمباتو والبمبا، لذا فقد تحرر المجتمع من العنصرية الطائفية⁽²⁾.

وكان النظام الإداري الذي وضع لبنته السلطان سعيد بن سلطان في غاية البساطة، حيث تولى بنفسه معظم الاختصاصات الإدارية والقضائية الهامة، إلا أنه كان يقوم بتفويض جزء من هذه السلطات لبعض مستشاريه الذين يثق بهم،

(1) جمال زكريا قاسم: «الدولة العمانية في شرق إفريقيا» ندوة الدراسات العمانية (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1980 م)، ص 116.

(2) المرجع نفسه، ص 116.

وقد استمدت هذه الاختصاصات صلاحياتها من المراسيم الملكية التي كان يصدرها بنفسه لتحديد الضوابط الإدارية التي تنظم شؤون الدولة⁽³⁾.

ومن ناحية أخرى، حرص السلطان سعيد بن سلطان على تعيين حاكم في كل مقاطعة من أهل البلاد الأصليين يدين له بالولاء والطاعة، بيد أنه، كان يلجأ في بعض الأحوال على الاستعانة بأعوانه الذين يثق بهم من أهل مسقط ويمدهم بحاميات من الجند حينما يشك في الثقة ببعضهم حتى لا يتزعزع سلطانه ونفوذه⁽⁴⁾.

وقد اضطر السلطان سعيد بن سلطان إلى تكوين حكومته على شكل لا مركزي، حينما استعان بحكام المقاطعات والشيوخ في إدارة شؤون الحكم في مقاطعاتهم بشرط اعترافهم بسيادته عليهم، وقد كان «الموني مكو» هم حكام زنجبار قبل وصول البوسعيدين وقد سمح لهم بالاستمرار في مباشرة اختصاصاتهم ولكن بالنسبة لرعاياهم فقط⁽⁵⁾.

وقد كان كل موني مكو يقوم بدفع جزية مقدارها دولار واحد عن كل شخص بالغ من رعاياه سنوياً إلى الحكام، لترسل إلى السلطان وكان الموني مكو حكاماً شيرازيين في الأصل يعاملون بوقار بالغ من رعاياهم، ولا يغادرون قصورهم دون احتفال.

وقد شاركهم السلطان سعيد في الحكم، وجعل منهم وزراء للشؤون المحلية، بجانب تمتعهم بصلاحيات واسعة تحت سلطته وكان لا يتدخل في شؤون رعاياهم، وإنما يكتفي بتحصيل الفدية المقدرة عليهم.

أما حكومته فقد كانت تتكون من وزارة يرأسها وزير بجانب وزراء للداخلية والتجارة والخزانة والمالية وأمير للأسطول، وكانت الحكومة تستعين

(3) المرجع السابق، ص 118.

(4) Reginald Coopland: Op. Cit, PP. 333 - 340.

(5) جمال زكريا قاسم: دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول (1507 - 1840 م) (القاهرة: دار الفكر العربي، 1986 م)، ص 211.

في إدارتها لدقة الحكم بهيئة تنفيذية تتكون من قوة على غرار نظام الشرطة الذي كان معمولاً به في الدول الإسلامية.

كما استعان بعدد من مندوبي الضرائب الهنود المجوس لجمع الضرائب وكان السكان يطلقون عليهم «بانيان القرمطة» أما الجيش، فلم يكن هناك جيش نظامي قائم بالمعنى المعروف ولم يكن الجيش وطنياً أو عربياً خالصاً، إذ دخلته كثير من العناصر المرتزقة والمتطوعين من البلوش والزيجلوس (موطنهم السند) وينقسم الجيش إلى وحدتين رئيسيتين البري والبحري (6).

ب- النظام القضائي: كان النظام القضائي في عهد السلطان سعيد بن سلطان، يتسم بالبساطة أسوة بالنظام الإداري، ولم يكن هناك محاكم بالمعنى المفهوم، وقد كان «القرآن الكريم» المصدر الوحيد للتشريع والأحكام القضائية، وكانت للشهادة الأهمية القصوى في الإثبات وكانت المظالم ترفع إلى السلطان سعيد بن سلطان مباشرة أو إلى من ينوب عنه في حالة غيابه، وأحياناً يوكل لأحد أبنائه أو نوابه حل القضايا الأقل خطورة، أما القضايا العادية والتي تخص الدين والشريعة فإنه يتركها للقضاة الذين يتم تعيينهم في الأقاليم التابعة لدولة زنجبار (7).

وقد كان القضاة في زنجبار من الإباضيين وبعض السنة ومن أشهرهم رئيس وزرائه السيد سليمان بن محمد والشيخ ياقوت بن عنبر الحبشي ونمر بن سلطان الحبشي وعبد الله بن جمعة عمر.

أما من حيث المشاكل والقضايا التي ترتبط بالرعايا الأجانب فقد نصت الاتفاقيات التي ارتبط بها سعيد بن سلطان مع كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا بحق قناصل تلك الدول بالتدخل والمحكمة وإصدار الأحكام وقد كان للقنصل البريطاني بدولة زنجبار دور كبير في مثل هذه الأمور (8).

(6) عبد الله بن صالح الفارسي: المرجع السابق، ص 62 - 103.

(7) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 105.

(8) عبد الله بن صالح الفارسي: المرجع السابق ص 73. كذلك انظر ص 105 من هذه -

اتساع رقعة دولة زنجبار الحديثة:

اتصل عرب زنجبار بأهالي المقاطعات الإفريقية الداخلية خاصة حوض الكونغو وهضبة البحيرات الاستوائية، فقد كان لقبائل البانتو التي تسكن لوالابا والبحيرات العظمى، سبق الاتصال بالتجار العرب الوافدين من المشرق، إذ كان العرب يأتون من ساحل شرق إفريقيا، بحثاً عن الذهب والعاج والرقيق كما كان هذا الساحل بمثابة نقاط تجمع للموارد الإفريقية، لذلك كانت موانئه ومدنه أسواقاً تجارية رئيسية في الجزء الغربي من المحيط الهندي (9).

وفي البداية كان التجار العرب يتعاملون مع رؤساء القبائل الإفريقية التي كانت تتجه إلى الساحل بقصد التعامل التجاري مع العرب وغيرهم من العناصر الأخرى، ولكن بمضي الزمن بدأ تجار العرب يتوغلون في الدواخل حيث كثرت الجاليات العربية في كثير من المقاطعات الإفريقية، وقد نجح العرب نجاحاً كبيراً في إنشاء طرق منتظمة للقوافل التجارية التي كانت تصل الساحل بالدواخل، كما أنهم أسسوا على طول هذه الطرق مراكز تجارية نمت وازدهرت وغدت من الوسائل الهامة التي اعتمد عليها العرب في نشر نفوذهم في منطقة البحيرات وحوض الكونغو وأواسط إفريقيا (10)، ففي عام 1830 م أسس التجار العرب مركزاً تجارياً هاماً في طابورة (11)، وبعد ذلك امتد النشاط العربي إلى بحيرة تنجانيقا، ونجح العرب في تأسيس مركز تجاري هام في أوجيجي، ثم عبروا بحيرة تنجانيقا حتى وصلوا إلى إقليم المانيما واستقرت جماعات منهم في اللوالابا وبدأوا يسيطرون على منطقة البحيرات الاستوائية سيطرة اقتصادية معتمدين على القبائل الإفريقية في نقل العاج إلى الساحل (12).

= الدراسة بالنسبة للرعايا البريطانيين. وكذلك ص 111 من هذه الرسالة بالنسبة للرعايا الفرنسيين. وكذلك ص 114 من هذه الرسالة بالنسبة للرعايا الأمريكيين.

(9) جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، ص 255.

(10) المرجع نفسه، ص 256.

(11) Richard Burton: The Lake Regions of Central Africa (London: 1960) Vol (2), P. 324.

(12) Ibid, P. 324.

وإن كان العرب قد توغلوا في الداخل قبل تأسيس السلطنة العربية في زنجبار خلال العقد الرابع من القرن التاسع عشر الميلادي، وتم استخدامهم للطرق التجارية قبل عهد سلطنة زنجبار الحديثة إلا أنه ومنذ تأسيس تلك السلطنة بدأ التقدم العربي في داخل إفريقيا يحرز تقدماً ملحوظاً، ويذكر بيرتون «أن التجار العرب كانوا أول من وصلوا إلى أوجيجي في عام 1840 م»⁽¹³⁾.

كما تتبع بيرتون خط القوافل الذي أنشأه العرب من بجمانيو إلى أوزانجا ومنها إلى أوجيجي على بعد مائة ميل صوب الجنوب أما عن أوجيجي، فقد ذكر بيرتون أنها كانت مركزاً رئيسياً للتجارة العربية، وكانت القوافل التجارية من طابورة تذهب وتأتي إليها⁽¹⁴⁾.

وقد أوجد العرب مركزاً استيطانياً لهم في جازانيا مكنهم في التوغل على طول طرق القوافل التي امتدت من أوجيجي إلى رواندا إلى بونيورو، ومن طابورة إلى فيكتوريا نيازا ولاحظ بيرتون أن أحد التجار العرب المولودين من أب عربي وأم إفريقية، وهو سنائي بن عامر، سيطر في عام 1852 م على المنطقة الممتدة من طابورة إلى كمبالا في إقليم أوغندا⁽¹⁵⁾.

ويرجع الفضل في امتداد نفوذ سلطنة زنجبار حتى الكونغو ومنطقة البحيرات الاستوائية إلى شبكة طرق القوافل التي ربطت بين ممتلكاتها في الساحل ومناطق نفوذها في الداخل وبالفعل نشطت القوافل التجارية في تحركاتها وأصبحت تصل إلى جهات نائية في قلب القارة الإفريقية حتى تردد المثل السواحلي القائل: «إذا لعب أحد على المزمار في زنجبار رقص الناس طرباً في البحيرات»⁽¹⁶⁾.

لقد امتدت سيطرة السلطان سعيد بن سلطان الفعلية إلى المنطقة الواقعة ما

(13)

Ibid, P. 325.

(14) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 235.

(15) المرجع نفسه، ص 236.

(16) المرجع نفسه، ص 236.

بين منبسة حتى نهر بنجابي، وهي المنطقة التي كان يحكمها المزروعيون من قبل، وكان نفوذه السياسي أقوى في المناطق الساحلية الجنوبية عن المناطق الشمالية ولهذا أمكن تحديد حدود دولته جنوباً بخليج دلجادو بعد توقيعه لأول اتفاقية مع الحكومة البريطانية في عام 1822 م، أما الحدود الشمالية لدولته والتي تمتد حتى رأس حفون فقد اعترفت بها بريطانيا بعد توقيع المعاهدة الثانية في عام 1854 م، وبذا تكون دولة زنجبار الحديثة قد شملت ساحل تنجانيقا وكينيا والجزء الأكبر من ساحل الصومال⁽¹⁷⁾.

أما المناطق التي تمتد إلى ما وراء هذه الحدود والتي تصل إلى رأس جردفون شمالاً وتضم جزيرة سقطرة ثم جزء الكومور قرب مدغشقر، فقد اكتفى السلطان سعيد بن سلطان باعترافها له بالسيادة وخضوعها لنظامه الاقتصادي الذي أدخلها في نظام سلطته.

أما الإدارة المحلية، فقد تركها في أيدي السلطات الوطنية المحلية، ولم يحرص على وضع جيش كثير العدد لحفظ الأمن والنظام، بل ترك هذه المهمة لزعماء القبائل الذين يدينون له بالولاء والطاعة.

وقدر بيرتون عدد الحاميات العسكرية في شرق إفريقيا في عام 1846 م بأربعمائة رجل موزعين على أهم مقاطعاتها ولم تزد بعض الحاميات في كثير من الأحيان على عشرة جنود كما كان الحال في كلوة⁽¹⁸⁾.

ويؤكد جيان⁽¹⁹⁾ بدوره قلة عدد الجنود ويضيف أن بعض الحكام كان يتخذون قوات محلية خاصة تعمل بجانب الحامية التي يرسلها السلطان سعيد، والذي كان يعتمد في الغالب على جنده من البلوش وذلك منذ توليه الحكم في مسقط، إذ شعر بأن للعرب ولاءات قبلية ودينية يقدمونها أحياناً على الولاء للسلطة المركزية، وهكذا كان البلوش من العناصر الجديدة التي أتت مع حكم

(17) صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: زنجبار، ص 64 - 65.

Richard Burton: Op. Cit, P. 265.

(18)

Guillain: Op. Cit, P. 238.

(19)

السلطان سعيد بن سلطان إلى ساحل شرق إفريقيا⁽²⁰⁾.

موقف بعض الوطنيين الأفارقة من التوسع العربي العماني:

لم تخل ممتلكات السلطان سعيد الإفريقية من الثورات والقتلات الداخلية، وكثيراً ما لجأ السلطان سعيد إلى الدبلوماسية لقمع تلك الثورات، فحين انتفضت «بات» عليه لم يرسل إليها جنداً أو مراكب بل عين حاكم «لامو» عليها بعد أن تمكن من إغرائه بالثورة على أخيه حاكم «بات» وحينئذ تدخل حاكم «لامو» وقضى على الثورة⁽²¹⁾. وعندما تكررت الثورة مرة أخرى في بات سنة 1843 م، أخذ السلطان سعيد يرسل بالذهب إلى مشيخات الخليج لبيعوا إليه بالإمدادات التي ساعدته على القضاء على تلك الثورة⁽²²⁾.

وفي يناير 1845 م عاود السلطان سعيد الكرة على بات ورافق الحملة التي أعدها، إلا أن الثوار انتصروا عليه نصراً كبيراً، وسجل تاريخ «بات» المكتوب باللغة السواحلية هذا الحادث على أنه نصر قومي ضد الغزاة، واضطر السلطان سعيد إلى أن يكتفي بفرض الحصار البحري على هذه المدينة نحو سنة كاملة، وأخيراً لم يجد سوى الطرق الدبلوماسية للتغلب على هذه المشكلة، فبعث بقاضي زنجبار وهو من سكان بات ليتوسط بينه وبين الثوار، وأقنعهم بأن كل ما يطلبه السلطان سعيد منهم ليس سوى الخضوع لنظامه الاقتصادي الذي يقضي بدفع (5%) على الواردات نظير أن يتولى السلطان سعيد الدفاع عنهم ضد الأجانب مع إعطائهم ضمانات بعدم تدخله في شؤون الإدارة المحلية للمدينة⁽²³⁾.

أما في الساحل الممتد جنوب «بات»، وهو ما يقابل كينيا حالياً كانت سلطة الحكومة المركزية أشد ثباتاً منه في أي منطقة أخرى نسبة لأن القبائل التي

(20) صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 66.

(21) G. Percy Badger: Op. Cit., P. 355.

(22) Ibid, P. 356.

(23) صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 67.

كانت تسكن وراء هذا الساحل إما أنها مسالمة مثل قبائل الوانكا المجاورة لمنبسة والخاضعة مباشرة لحكومة زنجبار، وإما قبائل شديدة البأس ولكنها تسكن المرتفعات ولا تنزل إلى الساحل بتاتاً مثل الكيكويو أو الواكмба، ومع ذلك فقد ذكر «كرابف» أن قبيلتي ميزاي وكوافي كانتا تنزلان أحياناً إلى الساحل فتبعثان الرعب في قلوب السكان السواحليين⁽²⁴⁾.

أما في ساحل تنجانيقا، فإن سيطرة السلطان سعيد على القسم الجنوبي المحيط بكلوة كانت كاملة، ولكن واجهت دولة زنجبار الحديثة منافسة من مملكة إفريقية كبيرة في وسط تنجانيقا، هي مملكة أوزمبارا التي امتد نفوذها أحياناً إلى مسافة 140 ميلاً خلف الساحل حتى نهر بنجاني، وبلغت هذه المملكة ذروتها في عهد كمويري المعاصر للسلطان سعيد. وقد زاره كرابف في عاصمته (موبو) حيث قدر سكان المملكة بنصف مليون نسمة⁽²⁵⁾.

وقد شعر سكان الساحل بظهور هذه الدولة حوالي سنة 1860 م، أي حتى وفاة كمويري وتفكك دولته. والجدير بالذكر أن السلطان سعيد لم يشأ أن يصطدم بهذه المملكة الإفريقية لأن طرق القوافل تمر عبر أراضيها فاتفق على أن يشترك كمويري معه في الإشراف على بعض الموانئ في تنجانيقا الوسطى ما بين طنجة الواقعة على ساحل شرق إفريقيا وكلوة، فيعين أوزمبارا المشرفين على جمارك هذه المنطقة من السواحلية بشرط أن يوافق السلطان سعيد على هؤلاء الأشخاص. ويدفع هو نفقات الموظفين وكان السلطان سعيد يعطيهم علاوة على هذا بعض الهدايا حتى ينحازوا إلى جانبه عند وقوع الخلاف، ويعترف كرابف أن أوزمبارا كانت تستخدم بعض الأطباء العرب⁽²⁶⁾.

وفي القسم الشمالي من الساحل الذي كان يعرف في ذلك الوقت باسم البتادر، كانت سلطة السلطان سعيد محدودة جداً، لأن الصوماليين الذين كانوا

(24) J. Lewis Krapf: 358.

(25) Ibid, P. 358.

(26) صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 68.

يعتبرون أنفسهم شعباً إسلامياً كونوا منذ القرن الخامس عشر الميلادي عدة معالك قوية ولا سيما في سهول الأنهار، وخضعت العناصر العربية التي عاشت في ساحل الصومال لحكم الصوماليين. على أن العلاقة الدينية جعلت الصوماليين لا يجدون غصاصة في الاعتراف بسيادة السلطان سعيد على البنادر باعتباره أقوى حاكم مسلم في شرق إفريقيا، لا سيما أن السلطان سعيد لم يكن يتدخل في الإدارة المحلية أو في العلاقات بين رؤساء الموانئ وبين القبائل الصومالية⁽²⁷⁾.

وقد كانت مقديشو باعتبارها أكبر البنادر الصومالية قد أعلنت ولائها للسلطان سعيد منذ عام 1828 م، ومع ذلك لم يستطع إخضاع ساحل الصومال لنظامه الاقتصادي إلا في سنة 1842 م، حين أرسل مندوباً للإشراف على جمارك البنادر ولم يعين حاكماً إلا في براوة، أما في عام 1843 م فقد عين السلطان سعيد بن سلطان حاكماً من قبله لمقديشو كرد فعل للتقرير الذي بعثه همرتون القنصل البريطاني إلى حكومته، والذي ذكر فيه أن ممتلكات السلطان سعيد بن سلطان تحتل مناطق شاسعة أكثر مما تتحمله قدرته على إدارتها⁽²⁸⁾، كما أرسل بعض الحاميات لتعسكر في البنادر، واهتم برفع علم السلطنة على بنادر الصومال.

وقد امتد نفوذ دولة زنجبار الحديثة إلى جزر الكومور التي كانت محل أطماع التوسع الفرنسي⁽²⁹⁾، واستند السلطان سعيد على عاملين قريبا ما بين تلك الجزر ودولة زنجبار، وهما اعتناق سكان الجزر للإسلام، وتكلمهم باللغة السواحلية.

القوة البحرية لدولة زنجبار الحديثة:

إن دولة تتكون من سواحل طويلة وجزر متناثرة مثل سلطنة زنجبار، فلا

(27)

Guillain: Op. Cit, P. 527.

(28) صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 69.

(29) المرجع نفسه، ص 70.

بد أن تعتمد على قوة بحرية تكفل لها أمنها وسلامتها، وقد اهتم السلطان سعيد ابن سلطان فعلاً بإنشاء أسطول تجاري حربي على الطراز الحديث، ضم أربع فرقاطات، وأربع كورفيتات ومركبين من ذوي الشراع الواحد وسبعة مراكب من ذوي الصاريين (كلها مصنوعة على الطراز الغربي) وعشرين مركباً تجارياً مسلحاً، وهو أسطول كما يقول بيرتون: (مؤهل لأن يكون بين أساطيل الدولة المتحضرة)⁽³⁰⁾.

وقد كان من بين هذه السفن «ليفربول» التي بنيت في حوض بناء السفن في بمباي بالهند عام 1826 م، وكان طاقمها يتكون من مائة وخمسين بحاراً وضابطاً، وكانت مزودة بأربعة وسبعين مدفعاً، وحمولتها ألف وثمانمائة طن، والسفينة «فيكتوريا» وقد بنيت في بمباي بعد تولي الملكة فيكتوريا العرش، ولهذا أطلق السلطان سعيد اسمها على السفينة، وكانت مزودة بأربعين مدفعاً، «وشاء علم» وقد بنيت في بمباي عام 1820 م وتحمل اثنين وخمسين مدفعاً، وبها مائة وخمسون ملاحاً، حمولتها ألف وأربعمائة طن، و «كارولين» وهي مجهزة بأربعين مدفعاً⁽³¹⁾، وتعتبر أفضل قطع الأسطول «سلطانه» وقد بنيت في بمباي عام 1837 م، وتحمل عشرة مدافع «وييدمونتيس» بنيت عام 1829 م بالهند في كوشين وتحمل ستة وثلاثين مدفعاً وحمولتها سبعمائة وواحد وستون طناً⁽³²⁾ و «الرحماني» بنيت في الهند عام 1833 م في كوشين، وهي أسرع سفن السلطان سعيد، وبها أربعون مدفعاً ووزنها سبعمائة وخمسة وعشرون طناً، و «مصطفى» وبنيت في مسقط وبها ستة وعشرون مدفعاً، وحمولتها سبعمائة وأربعون طناً و «أرتيمس» وبها اثنان وعشرون مدفعاً، و «كورلو» وتحمل ثمانية عشر مدفعاً، و «تاج» وقد بنيت في كوشين عام 1829 م وتحمل أربعة

(30) وزارة التراث القومي والثقافة: عمان وتاريخها البحري (عمان: 1979 م)، ص 81 -

(31) عبد الله بن صالح الفارسي: المرجع السابق، ص 153.

(32) المرجع نفسه، ص 155.

(*) انظر الملحق رقم (5) يوضح إحدى السفن التجارية.

مدافع، وحمولتها مائة وخمسة وعشرون طناً و «إفريقيا» و «بوانا» وتحمل كل منها أربعة مدافع و «بيد مونثير» وهي مزودة بستة وثلاثين مدفعاً بجانب السفينة التجارية «سالم» التي بنيت في أمريكا عام 1840 م⁽³³⁾.

كما كان من بين المراكب الصغيرة ذات الطراز الأوروبي «الصالحى» وهو مركب حمولته 300 طن، و «التاج» وحمولته مائة وخمسة وثلاثون طناً، أما السفن التجارية العشرون المسلحة التي ذكرها «بيرتون» فهي من طراز «البثيل» - كانت البثيل سفينة من طراز هندي تقليدي ويحتمل أن يكون بيرتون لتعلقه الشديد بالحضارة الهندية قد خلط بين البثيل، والبغلة - وقد كان في كل منها ستة مدافع⁽³⁴⁾.

ويلاحظ أن السلطان سعيد بن سلطان قد استخدم السفن الحربية في الأعمال التجارية في الأوقات التي لم يكن بحاجة إلى استخدامها في الحرب، ومما لا شك فيه أن هذا الأسطول قد ساعده في توطيد حكمه في دولته المترامية الأطراف، كما ساهم في ازدهار دولته اقتصادياً.

عناصر السكان بدولة زنجبار الحديثة:

كانت زنجبار تعد ملتقى الشعوب من ثلاث قارات وعلى ذلك كان أهلها خليطاً من السكان إلى جانب العرب العمانيين حيث نجد فيها أوروبيين وأناساً من الصين ومن الكونغو ومن النوبة ومن الحبشة والصومال ومصر والبلوش والهندوس والفرس⁽³⁵⁾.

ويمثل الوطنيون الأفارقة الغالبية العظمى من سكان دولة زنجبار الحديثة، أما العناصر الأخرى غير العربية خاصة من العنصرين الأوروبي والأمريكي، فقد كان عددهم في ذلك الوقت قليلاً لا يتجاوز خمسة عشر أو عشرين شخصاً⁽³⁶⁾.

(33) وزارة التراث القومي: المرجع السابق، ص 82.

(34) المرجع نفسه، ص 83.

(35)

F.B. Pearce: 190.

(36) جمال زكريا قاسم: دولة بوسعيد في عمان وشرق إفريقيا، ص 213.

ويلاحظ أن العرب في زنجبار كانوا يمثلون الطبقة الأرستقراطية إذ كانت تقع في أيديهم ملكية أكثر الأراضي ويبدو أن السلطان سعيد قد حرص على أن يكون للعرب ذلك المركز الممتاز إذ تعمد أن يأخذ معه عند انتقاله إلى زنجبار أغنياء العرب وأثرياءهم في البلاد⁽³⁷⁾.

وقد تشكل المجتمع في زنجبار في عهد السلطان سعيد بن سلطان من عدة جنسيات يمكن تحديدها فيما يلي:

أ - السكان الأفارقة الوطنيون: وينقسمون إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

- 1 - البمبا: وهم القادمون من جزيرة بمبا التي تقع شمال زنجبار.
- 2 - التمباتو: وهم القادمون من جزيرة تمباتو وتقع شمال غرب زنجبار.
- 3 - الهاديمو: وهم السكان الأصليون لزنجبار وقد اختلطوا مع الشيرازيين القادمين من شيراز بإيران⁽³⁸⁾.

ب - السكان العرب: يشكل العرب فئة رئيسية في المجتمع بزنجبار، وقد انقسموا بدورهم إلى عدة أقسام حسب المناطق التي قدموا منها، وهم:

- 1 - عرب عمان.
- 2 - عرب الحضارمة.
- 3 - عرب جزيرة القمر.
- 4 - عرب الساحل.

1 - عرب عمان: وقد جاء أغلبهم أثناء انتقال السلطان سعيد إلى زنجبار وكانوا يؤلفون الطبقة الرئيسية الحاكمة في البلاد.

2 - عرب الحضارمة: وقد حضروا من حضرموت والشحر والمكلا في

F.B. Pearce: Op. Cit, P. 350.

(37)

(38) وندل فيليس: تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبد الله (عمان: وزارة التراث القومي

والثقافة، 1981 م)، ص 128.

بلاد اليمن⁽³⁹⁾ وكان معظمهم من رجال الدين والقضاء وكانوا يعيشون في منطقة خاصة بهم في زنجبار ويكونون قسماً متميزاً هاماً من السكان العرب، ومنهم من جاء إلى زنجبار بفرض الإقامة، وإن كانت أكثرهم قد وفدت بغرض الكسب والتجارة، وكانوا يشتغلون بأعمال النقل في موانئ زنجبار، كما أنهم يتميزون بشعائهم الدينية إذ أنهم يختلفون عن عرب عمان الأبايين من حيث اعتناقهم لمذهب السنة⁽⁴⁰⁾، وإليهم يرجع الفضل في ازدهار اللغة السواحيلية.

3 - عرب جزيرة القمر: وهم العرب القادمون من جزر القمر⁽⁴¹⁾ وكان عددهم قليلاً ولا يعرف على وجه الدقة أصل أولئك العرب، وإن كان من المحتمل أنهم أتوا من شواطئ البحر الأحمر واستقروا في جزر الكومور في شرق إفريقيا منذ زمن بعيد، ولا يستبعد تسرب الدماء الفارسية إليهم⁽⁴²⁾.

4 - عرب الساحل: وهم العرب القادمون من منطقة الخليج العربي، واستقروا في زنجبار وشواطئ شرق إفريقيا، قبل عهد السلطان سعيد، خاصة أثناء مواسم التجارة⁽⁴³⁾.

ب - السكان الآسيويون: وفد إلى زنجبار عناصر آسيوية من الهند والباكستان وكان الهنود ينتمون إلى عدة طوائف منها:

البانيان، والهندوس، واللواتية، والإسماعيلية، والجدير بالذكر، أن طائفة الإسماعيلية قد لعبت دوراً بارزاً في النشاط الاقتصادي في ساحل شرق إفريقيا، كما عملت على نشر الإسلام بالطرق السلمية، ويعود لهذه الطائفة الفضل في ترجمة القرآن الكريم للغة السواحيلية، فضلاً عن ذلك عملت على بناء المستشفيات والمدارس لاستيعاب الوطنيين الأفارقة، غير أن طريقتهم في

(39) حمامة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 93.

(40) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 218 - 219.

(41) حمامة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 93.

(42)

(43) حمامة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 94.

F.B. Pearce: 215 - 218.

نشر الإسلام كانت أقرب للنهج الذي سارت عليه الإرساليات المسيحية التبشيرية. ولقد مارس الهنود التجارة وبرعوا في المعاملات التجارية إذ كانوا يشكلون مجتمعاً مغلقاً كما كانت هناك طائفة من البلوش القادمة من بلوختان وقد اشتغل معظمهم في الجيش⁽⁴⁴⁾.

ولقد ازداد عدد السكان في زنجبار ازدياداً واضحاً في عهد السلطان سعيد ابن سلطان، فقدّر همروتون عددهم بحوالي 340,000 نسمة، ثلاثمائة وأربعون ألف نسمة، ويلاحظ أن عدد السكان في زنجبار كان يتأثر تأثيراً كبيراً بهبوب الرياح الموسمية، حيث تصبح الجزيرة مليئة بالعرب القادمين من عمان أو غيرها من مقاطعات الخليج العربي، وكان يتبع ذلك، بطبيعة الحال - انتعاش التجارة - وتنصح زنجبار في موسم رائج في التجارة والمعاملات⁽⁴⁵⁾.

ثانياً - السياسة الخارجية:

البعثات الأوروبية الاستكشافية والنشاط التبشيري:

لم يقتصر اهتمام الأوروبيين بساحل شرق إفريقيا على التجارة وحدها، بل إن الحركات الاستكشافية والبعثات التبشيرية قد سبقت بنشاطها هي الأخرى هذا المجال في المنطقة، وكان تغلغل المبشرين الأوروبيين في تلك البقاع قد بدأ منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، ونجح في تأسيس عدة مراكز تبشيرية⁽⁴⁶⁾ ومن أولئك المبشرين كرايف وريمان^(*) ويذكر لنا كرايف في الكتاب الذي وضعه تهيئات السلطان سعيد له في التوغل في دواخل شرق إفريقيا، ومن بينها إرسال رسائل للرؤساء التابعين له يطلب فيها منهم أن يعاملوا

(44) المرجع السابق، ص 94.

Pearce: Op. Cit, P. 219.

(45)

Mona Mcmillan: Introducing East Africa, (London: 1945) P. 156.

(46)

(*) يوهان لودفيغ كرايف (1810 - 1881 م) مبشر ألماني برتستاني قام برحلات في شرق إفريقيا واكتشف مع زميله يوهانس ريمان جبال كليمتجارو وقام بدراسات واسعة عن اللغة السواحيلية (1820 م - 1876 م) ووضع ممجماً لها استفادت منه البعثات التبشيرية في المنطقة - انظر جوزفين كام - المستكشفون في إفريقيا، ص 224 وما بعدها.

كرايف أحسن معاملة لأنه رجل يعمل لتحويل الوثنيين إلى معرفة الله، وعلى ذلك ينبغي أن يقدموا له كل ما يحتاج إليه من خدمات⁽⁴⁷⁾.

وقد عمل كرايف على تأسيس المدارس التبشيرية في بعض مراكز الساحل، وجزيرة لامو وبلاد الجالا، ولكنه كغيره من المبشرين وجد أن الطبيعة أقسى عليه من المواطنين أنفسهم ففي خلال بضعة أشهر من إقامته في ساحل شرق إفريقيا فقد زوجته وابنته وكاد هو نفسه أن يموت من جراء إصابته بالحمى⁽⁴⁸⁾.

كذلك قام الفرنسيون بدور كبير في النشاط التبشيري في شرق إفريقيا ونذكر بصدد ذلك إحدى البعثات الفرنسية الكاثوليكية التي نجحت في تأسيس مستشفى ومدرستين تبشيريتين كما حذا البريطانيون حذو الفرنسيين في تلك الحركات التبشيرية⁽⁴⁹⁾. وكما لقي المبشرون عناية السلطان سعيد وتشجيعه فقد لقيها أيضاً المستكشفون الأوروبيون الذين قاموا باستكشافاتهم الجغرافية مترشدين بما أوجده التجار العرب من المراكز التجارية في قلب القارة الإفريقية، وينوه بيرتون⁽⁵⁰⁾ وهو أحد أولئك المستكشفين، أنه بفضل السلطان سعيد بن سلطان نجحت بعثته في ساحل شرق إفريقيا.

السلطان سعيد بن سلطان والأطماع الأجنبية:

بالرغم من أن السلطان سعيد بن سلطان قد قدم العون والتسهيلات للبعثات الاستكشافية والتبشيرية الأوروبية لمزاولة أعمالها، فإن هذه البعثات اتخذت شكل غزو تبشيري لممتلكات السلطان سعيد التي حاول أن يقيم منها امبراطورية عربية في شرق إفريقيا، بيد أن الأطماع الأوروبية، وتفوق قوتها العسكرية والصناعية حالت دون تحقيق ذلك، خاصة وأن المستكشفين والرواد

(47)

J. Lewis Krapf: Op. Cit, P. 127.

(48) جوزفين كام: المستكشفون في إفريقيا، ترجمة يوسف نصر (القاهرة: دار المعارف، 1983 م)، ص 226.

(49) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 234.

Richard Burton: Op. Cit, Vol, P. 34.

(50)

والمبشرين والتجار الأوروبيين انتبهوا جيداً إلى حقيقة هامة وهي أن هناك أمكنة في إفريقيا صالحة للاستغلال، وأن إفريقيا قارة جديدة بالامتلاك والسيطرة⁽⁵¹⁾.

وهكذا شاءت الظروف أن تتصادم رغبة السلطان سعيد في تأسيس امبراطورية عربية في شرق إفريقيا مع رغبة الدول الأوروبية في السيطرة على تلك المناطق واستعمارها واقتسامها فيما بينهما، وفي هذا الصدد يقول بيرس⁽⁵²⁾ في تعليقه على امبراطورية السلطان سعيد في إفريقيا (أن السلطان سعيد ولد متأخراً خمسمائة عام، وفي وقت غير ملائم لتحقيق الآمال التي كان يحرص على تحقيقها).

وبالرغم من أن السلطان سعيد كان على صلات بكثير من الدول الأجنبية، فإنه كان يحسب حساباً كبيراً لبريطانيا أكثر من غيرها من الدول، نظراً لتفوقها البحري ونفوذها في الخليج العربي والمحيط الهندي، ولقد استفادت بريطانيا من صداقتها للسلطان سعيد أكثر مما استفاد السلطان سعيد من صداقة لها ويقول بيرس⁽⁵³⁾ إن السلطان سعيد رفض أن يأخذ من الحكومة البريطانية أية تعويضات مادية عما سببته معاهدات إلغاء تجارة الرقيق التي عقدها معها. وفي الوقت نفسه، حرص السلطان سعيد على صداقته للإنجليز، وهي صداقة دامت نصف قرن من الزمان، إلا أن الإنجليز استنزفوه مادياً بكثرة ما قدمه من هدايا ثمينة لهم⁽⁵⁴⁾.

ولعل إصراف السلطان سعيد في تقديم تلك الهدايا أو بذل التضحيات إنما كانت سياسة قصد من ورائها أن يضمن تأييد الحكومة البريطانية ومساعدتها له وتقوية نفوذه أمام المنافسين له من أفراد أسرته أو زعماء قومه⁽⁵⁵⁾.

(51) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 235.

F.B. Pearce: Op. Cit, P. 120.

(52)

Ibid, P. 124.

(53)

(54) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 237.

(55) المرجع نفسه، ص 238.

العلاقات مع بريطانيا:

تزامن قيام حكم السلطان سعيد في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي مع تزايد للتفوذ البريطاني في غرب المحيط الهندي، وذلك بسبب انتزاع البريطانيين لمستعمرة رأس الرجاء الصالح من يد الهولنديين وجزيرة موريس من يد الفرنسيين، ومع ذلك لم يبد البريطانيون أي اهتمام بساحل شرق إفريقيا الإسلامي، حتى عقدوا معاهدة إلغاء الرقيق مع السلطان سعيد عام 1822 م⁽⁵⁶⁾. فأصبح من حق أسطولهم أن يقوم بأعمال التفتيش في مياه ساحل شرق إفريقيا⁽⁵⁷⁾. ويمكن وصف المرحلة التي سبقت هذه المعاهدة بأنها فترة الاستكشاف والتعرف إلى أحوال الساحل بواسطة بعض البعثات العابرة التجسية، مثل بعثة بيغر لكلوة عام 1811 م والتي اهتمت بدراسة أحوال المنطقة ووضعت مقترحها بأن تكون المدينة تحت حماية بريطانيا⁽⁵⁸⁾، وبعثة «اسمي، وسميث» بغرض استكشاف شرق إفريقيا وإمكانيات التجارة داخل القارة عبر الأنهار التي تصب في المحيط الهندي⁽⁵⁹⁾، ولم يكن تقرير الرحالتين مشجعاً لبريطانيا على توجيه اهتمامها إلى شرق إفريقيا. وبعد توقيع معاهدة 1822 م مع مسقط، وبحجة مكافحة الرقيق بدأت بريطانيا تنشر نفوذها في المنطقة وحاول الضابط البحري البريطاني «وليم أوين» استغلال هذه المسألة لوضع الحماية البريطانية على ساحل شرق إفريقيا، كذلك على موزمبيق وجزر الكومور أيضاً ولكن مشروعه لم يصادف تأييد حكومة لندن⁽⁶⁰⁾.

وقد حاول أوين أن يتخذ من عقد توقيع معاهدة 1833 م مع الولايات المتحدة(*) وسيلة لإقناع الحكومة البريطانية بأهمية ساحل شرق إفريقيا لها من

(56) صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 89.

(57) المرجع نفسه، ص 89.

(58) المرجع نفسه، ص 90.

(59) الصفحة نفسها.

(60) الصفحة نفسها.

(*) انظر ص 85 من هذه الدراسة.

الناحية السياسية، بل إنه حاول أن يثبت ارتباط مصالح السلطان سعيد بن سلطان التجارية ببريطانيا بالرغم من أنه لم توجد في ذلك الوقت علاقات تذكر بين شرق إفريقيا وبريطانيا مباشرة، وإنما كانت الهند وحدها هي التي تمارس نشاطاً كبيراً في زنجبار، ولذلك لم ترحب وزارة الخارجية البريطانية بمشروع أوين الثاني والذي قدمه في 1834 م وأيدتها في ذلك حكومة الهند كما رفضت تعيينه ممثلاً لبريطانيا في زنجبار⁽⁶¹⁾. على أن السلطان سعيد بعد أن عقد المعاهدة الأمريكية اتخذ موقف المبادرة نحو إنشاء علاقات مع بريطانيا كي يثبت لها حسن نية نحوها، ففي عام 1835 م وصل أحد مندوبيه علي بن ناصر إلى لندن ليقابل الملك، ولكنه لم يكن يحمل الأوراق الدبلوماسية المتعارف عليها في أوروبا فلم يسمح له بالمقابلة وأحيل إلى وزير الخارجية، وعندما تولت الملكة فكتوريا عرش إنجلترا انتهر السلطان سعيد الفرصة فعاود الكرة بإرسال بعثة للتهنئة، واختار أحد التجار الإنجليز وهو روبرت كوجان، لينوب عنه في هذه المناسبة وطلب من الحكومة البريطانية بأن تقبله ممثلاً دائماً للسلطان سعيد في لندن، ومع أن بريطانيا رفضت أن يمثل السيد سعيد أحد المواطنين الإنجليز إلا أنها استمعت في هذه المرة إلى فكرة إنشاء علاقات رسمية مع السلطنة العرية، لا سيما وأن كوجان أبرز أهمية هذه السلطنة لبريطانيا من الناحيتين الاستراتيجية والسياسية، وفي 31 مايو 1839 م عقدت المعاهدة البريطانية على نمط المعاهدة مع الولايات المتحدة، وإن اختلفت عنها في بعض البنود التفصيلية ومنها استثناء منطقة المريمة من الخضوع لنظام التجارة الحرة ومد سلطات القنصل البريطاني بحيث تشمل الفصل من القضايا بين رعايا السلطان سعيد والرعايا البريطانيين، كما نصت المعاهدة على أنه في حالة قيام حرب ضد بريطانيا أو مسقط يجب أن تمتنع رعايا الدولتين عن حمل السلاح ومعدات الحرب وغيرها إلى الدولة المعادية، كما خصصت مادة لتأكيد معاهدة عام 1822 م بشأن تجارة الرقيق⁽⁶²⁾ وبناءً على عقد هذه المعاهدة بعث السلطان

(61) المرجع السابق، ص 90.

(62) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 223 - 226.

سعيد يطلب تعيين مندوب دائم لبريطانيا في السلطنة على أن يكون إنجليزياً خالصاً والغرض من ذلك تجنبه تعيين أحد الهنود مندوباً عن شركة الهند الشرقية البريطانية، لأن السلطان سعيد كان يأمل في إنشاء علاقات دبلوماسية مباشرة مع الخارجية البريطانية. وفي عام 1840 م استجابت بريطانيا لهذا الاقتراح، فاخترت الكابتن (اتكتر همرتون) ليكون وكيلاً سياسياً وقنصياً لها في زنجبار علماً أنه كان في السابق قنصلاً من قبل حكومة الملكة فيكتوريا ووكيلاً سياسياً من قبل حكومة بومباي⁽⁶³⁾. ظل همرتون يحتل منصب القنصل البريطاني في زنجبار مدة 16 سنة حتى وفاته عام 1857 م، أي بعد وفاة السلطان سعيد بسنة واحدة، وأخذ نفوذه خلال هذه المدة يتزايد باطراد فكان السلطان يستشير في جميع الشؤون الهامة بل إنه كثيراً ما كان يعهد إليه بتقديم الاستشارة في شؤون الحكم في زنجبار لابنه خالد لدى قيامه بتفقد شؤون ممتلكاته في عمان⁽⁶⁴⁾.

كما كانت تتم عن طريق همرتون جميع المراسلات بين الحكومة البريطانية والسلطان سعيد، كما كان على القنصل البريطاني القيام بكثير من الأعباء التي كان من أهمها تفقد الرعايا البريطانيين من الهنود المقيمين في الساحل الشرقي الإفريقي والذين تزايدت أعدادهم حتى بلغ عدة آلاف، كما كان عليه تمثيل الحكومة البريطانية فيما يتعلق بقمع تجارة الرقيق ومحاكمة السفن التي تشتغل بتلك التجارة، ومما تجدر الإشارة إليه أن القنصل البريطاني في زنجبار كان يقوم بوظيفة مزدوجة مما كان يضيف على مركزه أهمية خاصة، ولكن مهامه لم تكن سهلة بطبيعة الحال إذ لم يكن يحدث دائماً أن تتفق السياسة التي تنتهجها حكومة الهند مع التعليمات التي كانت تصدرها حكومة لندن⁽⁶⁵⁾.

إن السياسة التي اتبعتها همرتون كانت تهدف إلى تقوية نفوذ بريطانيا السياسي، عن طريق تأييد السلطان سعيد في بناء امبراطوريته الإفريقية، وإبعاد كل نفوذ أجنبي آخر عنها ولم تمنع هذه السياسة من نشوب بعض الخلافات

(63) Richard Burton: Op. Cit, P. 315.

(64) Ibid, P. 316.

(65) جمال زكريا قاسم: الخليج العربي، 1985 م، ص 231.

بخصوص بعض المسائل التجارية بين السلطان سعيد وبين الإنجليز، وكما استاء الفرنسيون من إرسال السلطان سفنه إلى مرسيليا في الوقت الذي لم تربطه بها آنذاك علاقات تجارية مع فرنسا كذلك لم يرحب التجار الإنجليز بمساعي السلطان سعيد لفتح باب التجارة مع دولة منافسة لها كفرنسا، كما رفضت حكومة الهند تطبيق مبدأ المعاملة بالمثل بالنسبة للتجار العرب الذين يذهبون إلى الهند. على أن صداقة الإنجليز قد كلفت السلطان سعيد كثيراً من تضحيات أخرى هائلة، فمئذ عقد معاهدة عام 1839 م، والإنجليز يسعون لتعديل معاهدة 1822 م، بحيث يتم إلغاء تجارة الرقيق نهائياً. وكانت بريطانيا تسعى إلى هيمنة تامة على ساحل شرق إفريقيا بكل الوسائل وحتى تسنى لها ذلك في عام 1851 م حينما انتزعت حق تفتيش جميع السفن التجارية التي تغد إلى ساحل شرق إفريقيا⁽⁶⁶⁾.

العلاقات مع فرنسا:

لقد اتخذ السلطان سعيد من عقده لاتفاقيات ثنائية مع الدول الغربية الكبرى وسيلة لدعم نفوذه في ساحل شرق إفريقيا ولذا، رأى بعد عقده معاهدة مع أمريكا عام 1833 م، وبريطانيا في عام 1839 م، أن يعقد معاهدة مماثلة مع فرنسا التي أصبح لها نفوذ في شرق إفريقيا بعد فرضها حمايتها على مدغشقر وجزيرة نوسيببي⁽⁶⁷⁾.

وكانت العلاقات بين الفرنسيين وبين السلطان سعيد قد بدأت بسوء تفاهم وبخوف السلطان سعيد من تهديد فرنسا لممتلكاته في ساحل شرق إفريقيا والجدير بالذكر أنه في عام 1840 م أرسلت فرنسا قطعاً من أسطولها البحري إلى زنجبار وكان السلطان سعيد في مسقط في ذلك الوقت واستقبل ابنه هلال السفن الفرنسية وقدم له الفرنسيون مطالبهم بتأسيس قلعة وبناء قنصلية في زنجبار وإبقاء قواعد عسكرية في براوة ومقديشيو، ولكن هلال قدم اعتذاره بأنه

(66) صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 103.

(67) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 230.

ليست لديه السلطة لكي يتفاوض معهم في أمور خطيرة في غياب والده⁽⁶⁸⁾.

وفي السنوات التالية أصبح الموقف حرجاً بالنسبة لبريطانيا في علاقاتها بالسلطان سعيد فإن تجاهلها للتوسع الفرنسي في الشرق الإفريقي قد يعده السلطان سعيد خيانة للصدقة البريطانية معه من جهة، ومن جهة أخرى كان يعني أيضاً إضعافاً للنفوذ البريطاني في الطريق البحري الموصل إلى الهند.

ومن الملاحظ أن السلطان سعيد كان حريصاً على استخدام صداقته لبريطانيا لدفع الأطماع الفرنسية عن ممتلكاته في ساحل شرقي إفريقيا، ولكنه مع ذلك وعلى الرغم من كتابته إلى وزير الخارجية البريطاني «بالمرستون» حول النفوذ الفرنسي الذي أصبح يهدد ممتلكاته، فإنه ومن ناحية أخرى أخذ يعمل على كسب صداقة الفرنسيين.

وقد وقعت فرنسا معاهدتها مع سلطنة زنجبار عام 1844 م وقد وصفت تلك المعاهدة بأنها كانت نصراً كبيراً للسياسة الفرنسية، وكانت تعني عودة ازدهار العلاقات بين فرنسا وسلطنة زنجبار بعد انكماش تلك العلاقات منذ عام 1810 م على أثر سقوط جزيرة موريس في أيدي الإنجليز⁽⁶⁹⁾.

وكانت المعاهدة تنص على حرية التجارة والسماح للفرنسيين بحرية الدخول في ممتلكات السلطان سعيد دون أية عقبات كما نصت على معاملة رعايا الدولتين بشروط الدولة الأكثر رعاية وأعطت للفرنسيين بعض الامتيازات القضائية، كما سمحت لهم أيضاً بتأسيس المراكز التجارية في سلطنة زنجبار وقد اتخذت من تعديلها الأخير لبنود هذه الاتفاقية في 4 فبراير 1846 م فرصة لتأسيس قنصلية فرنسية في زنجبار في عام 1847 م⁽⁷⁰⁾.

وازدهرت العلاقات التجارية بين البلدين وأخذت سفن السلطان سعيد تصل رحلاتها إلى موانئ فرنسا، كما نتج عن عقد هذه المعاهدة أن تأسست

(68) Reginald Coupland: Op. Cit, P. 439.

(69) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 233.

(70) Reginald Coupland: Op. Cit, P. 425.

الكثير من البيوت التجارية الفرنسية في مقاطعات شرق إفريقيا⁽⁷¹⁾.

العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية:

من الأمور التي تستدعي الانتباه أن تكون دولة زنجبار الحديثة هي أول دولة عربية، تعقد معاهدة رسمية مع الولايات المتحدة الأمريكية، وقد يكون تعليل ذلك هو أن المشرق العربي كان خاضعاً للدولة العثمانية، ما عدا سلطنة مسقط فكانت ذات سيادة، لا تدخل في حظيرة الدولة العثمانية ومعترف بها في المحافل الدولية⁽⁷²⁾.

وترجع أهمية علاقة الولايات المتحدة بساحل شرق إفريقيا إلى عام 1812 م، حينما بدأ تجار الرقيق الأمريكيون يترددون على الساحل الشرقي الإفريقي، وإن كانت الحرب البريطانية الأمريكية 1812 - 1814 م قد أوقفت نشاط الملاحة الأمريكية في غربي المحيط الهندي مؤقتاً ثم جاءت معاهدة السلطان سعيد مع البريطانيين عام 1822 م لتحريم تجارة الرقيق، وبالتالي لم تنح الفرصة للولايات المتحدة لتوثيق علاقاتها التجارية مع السلطنة على أساس التوسع في تجارة الرقيق التي تهتمها بالدرجة الأولى⁽⁷³⁾ غير أن الولايات المتحدة بذلت جهوداً لتوسيع دائرة علاقاتها مع سلطنة زنجبار، وأثمرت هذه الجهود لعقد معاهدة عام 1833 م، بينها وبين السلطان سعيد، وقد خصصت معظم بنود هذه المعاهدة لتأكيد حرية التجارة والإعفاء من الضرائب الجمركية باستثناء 5% تفرض على الواردات فقط، ونصت صراحة على أنه لا يجوز لحكومة زنجبار التدخل بتحديد أسعار البيع والشراء بين التجار من رعايا السلطان سعيد وبين الأمريكيين واعترفت الولايات المتحدة بحق الدولة الأولى بالرعاية، كما نصت على أنه يجوز للولايات المتحدة تعيين قناصل في جميع موانئ السلطنة التي يكون للأمريكيين فيها مصالح تجارية⁽⁷⁴⁾. وقد أدخلت

(71)

(72) صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 82.

(73) المرجع نفسه، ص 87.

(74) المرجع نفسه، ص 88.

هذه المعاهدة الامتيازات المعمول بها في الدولة العثمانية في أنحاء السلطنة، فاعترف القناصل الأمريكيون بأنهم السلطة القضائية التي تختص بالفصل في المنازعات بين الرعايا الأمريكيين فيما بينهم، أو مع رعايا السلطنة.

على أن السلطان سعيد لم يشعر بخطورة هذا المبدأ بالنسبة للأمريكيين، لعدم وجود جالية أمريكية في ممتلكاته ولكن عندما ضمن هذا المبدأ في نصوص المعاهدة الإنجليزية أفلت الهنود المقيمون في السلطنة من سلطة الحكومة المحلية، وأدرك السلطان سعيد مساوئ هذا النظام حينما اعتبر هؤلاء الهنود رعايا بريطانيين.

ويلاحظ أن المعاهدة الأمريكية اختلفت عن المعاهدات التي وقعتها السلطان سعيد مع الدول الأخرى في أمر هام، وهو عدم استثناء العاج والصبغ ومنطقة المريمة من التجارة والملاحة الحرة، ويرجع أمر ذلك إلى أن السلطان سعيد كان يطمع في استيراد كميات كبيرة من الأسلحة من الأمريكيين، ولم يشأ إغضابهم بفرض أي نوع من أنواع الاحتكار، ومع ذلك لم تلب الولايات المتحدة رغبة السلطان سعيد في مسألة المساعدات العسكرية، ويبدو أنها قد حددت تجارة الأسلحة مع زنجبار إلى حد إرضاء الإنجليز⁽⁷⁵⁾ ومع ذلك فقد وجد بعض الأسلحة الأمريكية في دولة زنجبار في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي كما عبر كرايف عن استيائه من وجود الأسلحة الأمريكية في أيدي القبائل الإفريقية، مما قد يضر بمصلحة التبشير⁽⁷⁶⁾.

وكان من الطبيعي أن يستاء الإنجليز من وجود هذه العلاقات الوثيقة بين الولايات المتحدة وبين دولة يعتبرونها منطقة نفوذهم الخاصة.

ولقد أوضح تقرير البريطاني هارت عام 1834 م عن أهمية العلاقات التجارية الأمريكية في زنجبار، حيث سجل أنه من بين 43 سفينة أجنبية مرت بزنجبار في المدة من سبتمبر 1832 م إلى مايو 1834 م توجد 32 سفينة

Rudolf Said Ruete: Op. Cit, P. 122 - 129.

(75)

Ibid, P. 129.

(76)

أمريكية⁽⁷⁷⁾. وقد اختير ستة قناصل أمريكيين على التوالي لتمثيل بلادهم في زنجبار منذ بدء العلاقات القنصلية في سنة 1835 م⁽⁷⁸⁾.

وقد سجلت التقارير العديدة عن أحوال زنجبار الاقتصادية تصاعداً مستمراً في قيمة التجارة الأمريكية من سنة 1829 م حتى بلغت الذروة في سنة 1859 م، فبلغ نصيب الولايات المتحدة من تجارة زنجبار 200.000 جنيه استرليني من مجموع تجارتها الخارجية لهذا العام والذي بلغ نحو (1.300.000) مليون وثلاثمائة مائة ألف جنيه استرليني. ولقد لاحظ بعض التجار الأمريكيين، أن زملاءهم من الرعايا الإنجليز بدولة زنجبار يتمتعون بامتيازات كثيرة كالإعفاء من رسوم الميناء، وعدم إلزامهم ببيع البضائع إلى وكلاء السلطان سعيد وقد كان آدموند روبرتس أحد هؤلاء التجار الذين وكل إليهم الرئيس الأمريكي أندرو جاكسون رئاسة بعثة أمريكية في سنة 1833 م، لدراسة تنمية التجارة الأمريكية بدول شرق إفريقيا، وقد أعطت بعثته اهتماماً كبيراً بمكانة زنجبار التجارية في مستقبل العلاقات الأمريكية بالمنطقة⁽⁷⁹⁾، وقد وصل روبرتس إلى مسقط في سبتمبر 1833 م، حيث عقد المعاهدة وعلى أثر المصادقة عليها في سنة 1835 م أنشئت أول قنصلية أمريكية في زنجبار وتولى أعمالها التاجر الأمريكي ريتشارد واترز⁽⁸⁰⁾. على أن العلاقات بين الولايات المتحدة وسلطنة زنجبار لم تلبث أن تعرضت لبعض الأزمات، ففي عام 1851 م عقدت الولايات المتحدة مع فارس معاهدة، نصت في إحدى موادها على مساعدة أمريكا لفارس على استرداد ميناء بندر عباس التابع للإمامة بمسقط وبالطبع أثر ذلك على إحساس السلطان سعيد في علاقاته مع الأمريكيين⁽⁸¹⁾ ولكن منذ سنة 1861 م بدأ تدهور ملحوظ في التجارة الأمريكية بشرق إفريقيا،

(77) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 222.

Richard Burton: Op. Cit, P. 313.

(78)

Richard H. Sanger: Op. Cit, P. 188.

(79)

(80) صلاح المقاد، جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 88.

(81) المرجع نفسه، ص 88.

ويعزى ذلك إلى قيام الحرب الأهلية بالولايات المتحدة في هذا العام، ولكن بعد انتهاء الحرب استمرت التجارة الأمريكية في التضاؤل حتى أصبحت في الدرجة الثالثة بعد بريطانيا وألمانيا، وكانت تحتل الدرجة الأولى قبل عام 1860 م، ولم تتخذ العلاقات الأمريكية مع زنجبار شكلاً سياسياً أو استعمارياً، ولذلك كانت أقل إزعاجاً من البريطانيين أو الفرنسيين بالنسبة للسلطان سعيد بن سلطان⁽⁸²⁾.

وفي تقديرنا أنه بالرغم من أن السلطان سعيد بن سلطان قد أبدى فحاشة وبعد نظر في علاقاته بكل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وحاول أن يخلق نوعاً من التوازن لصالح دولته، فإنه لم يقو - في نهاية المطاف - على مؤامرات هذه الدول الكبرى صاحبة الدسائس السياسية والأطماع الاقتصادية فأصبحت الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدها مع كل منهم بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير بعد نهاية حكمه، الأمر الذي جعل دولة زنجبار الحديثة تقع لقمة سائغة تحت النفوذ الأجنبي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.

(82) المرجع السابق، ص 88.

الفصل الثالث

العلاقات الاقتصادية في دولة زنجبار الحديثة

أولاً - القطاع الزراعي:

- زراعة القرنفل.
- زراعة جوز الهند.
- زراعة الحبوب والمحاصيل الأخرى.

ثانياً - القطاع التجاري:

- نشأة قطاع التجارة في زنجبار.
- التجارة الداخلية مع الأسواق الإفريقية.
- التجارة الخارجية مع الأسواق العالمية.
- الدور الذي لعبته «السفينة سلطنة» في ربط العلاقات التجارية بدولة زنجبار الحديثة.

ثالثاً - الرق:

- تجارة الرق في ساحل شرق إفريقيا قبل الوجود العماني.
- تجارة الرق في ساحل شرق إفريقيا أثناء الوجود العماني.

الفصل الثالث

العلاقات الاقتصادية في دولة زنجبار الحديثة

تمهيد:

إن علاقات العرب الاقتصادية لساحل شرق إفريقيا، قد لعبت الدور الرئيسي والفعال في دفع عجلة التعاون العربي الإفريقي إلى أقصى مداه، ويمكن القول إن العلاقات الاقتصادية كانت الوشيجة والصلة القوية التي ربطت هذا الساحل بالوطن العربي منذ زمن موغل في القدم.

ولا يخفى الدور الطليعي الذي قامت بها الجماعات العربية الوافدة من جنوب شبه الجزيرة العربية والخليج العربي في التعامل التجاري مع الوطنيين الأفارقة عند ساحل شرق إفريقيا بيد أن نشاط العمانيين التجاري كان ملحوظاً حتى قبل تأسيس دولة زنجبار الحديثة.

ويشهد التاريخ أن جماعة الأزدي العمانية التي هاجرت من عمان (694 م - 704 م) بقيادة الأخوين سليمان وسعيد أبناء عباد الجلندي الفارين من بطش عبد الملك بن مروان قد وضعت الأساس القوي للتعامل الاقتصادي بين الجماعات العربية وبين الأفارقة بتأسيسها مراكز تجارية لعبت دوراً بارزاً في دولة زنجبار الحديثة فيما بعد.

وبما أنه من العوامل الرئيسية لنقل السلطان سعيد بن سلطان مقر عاصمته من الرستاق في مسقط إلى جزيرة زنجبار يعود إلى شح موارد المنطقة ونضوبها، فإنه أعطى اهتماماً كبيراً لقطاع الزراعة منذ الوهلة الأولى لتأسيس دولته، وواكب

ذلك ازدهار القطاع التجاري داخلياً وخارجياً واتسع نشاط دولته التجاري عبر طرق القوافل التجارية وعبر أساطيلها التجارية ليمتد من الأسواق الإفريقية المجاورة حتى حوض الكونغو، فضلاً عن الأسواق العالمية.

وبالرغم من افتراءات وأراجيف الكتاب الأوروبيين الحاقدين على العروبة والإسلام والقائلة بأن العرب اعتمدوا اقتصادياً على تجارة الرق في ساحل شرق إفريقيا، فإن دولة زنجبار الحديثة في ظل السلطان سعيد بن سلطان قد حاربت تجارة الرق ولم تلغ دوره الاقتصادي فحسب، بل عملت على إذابة الرقيق وصهرهم في المجتمع بدرجة لم يعد هناك نظام الفصل العنصري الذي يلوث الولايات المتحدة وبعض الدول الآن. هذا وسيبرز البحث العلاقات الاقتصادية في دولة زنجبار الحديثة في الثلاث محاور التالية:

أولاً - القطاع الزراعي:

لقد كان للوجود العماني في زنجبار تأثير واسع المدى في مختلف القطاعات الاقتصادية خاصة في الزراعة والتجارة، وقد امتدت تلك التأثيرات إلى دواخل القارة، ومنطقة البحيرات الاستوائية وحوض الكونغو. ويلاحظ أن التأثير العربي العماني في ساحل شرق إفريقيا كان واضحاً في قطاع الزراعة، حيث حظيت الزراعة باهتمام شديد من السلطان سعيد، خاصة وأنه قد شعر بإمكانية توظيف الخبرات العمانية الزراعية المقيمة معه بزنجبار من أجل تطوير هذا القطاع وقد أسفر هذا الاهتمام عن إنتاج العديد من المنتجات الزراعية والتي لم تكن تعرفها زنجبار من قبل وذلك على النحو التالي:

زراعة القرنفل:

لقد شجع السلطان سعيد أهالي زنجبار على زراعة أشجار القرنفل، وأصدر مرسوماً ملكياً إلى رعاياه، يلزمهم فيه على أن يقوم كل صاحب مزرعة، بزراعة مقدار ثلاث شتلات من القرنفل، مكان كل شجرة جوز

هند⁽¹⁾. ويعتبر السلطان سعيد بذلك أول من أدخل هذه الزراعة في زنجبار، لأنها لم تكن معروفة لديهم من قبل وقد ازدهرت هذه الزراعة حتى قبل نقل عاصمة الدولة العمانية إلى زنجبار عام 1832 م⁽²⁾ ولما عزم السلطان سعيد على زراعة القرنفل عارضه الأوروبيون الموجودون في ذلك الوقت بزنجبار، مثل «همرتن»⁽³⁾ القنصل الإنجليزي بزنجبار وغيره من الأمريكيين، وأشاروا عليه بزراعة قصب السكر، ولكنه لم يعط هذه الاقتراحات اهتماماً، ولم يتحول عن عزمه الذي لازمه، فصمم على زراعة القرنفل وجلب البذور من جزيرة موريس سنة 1828 ميلادية وغرس باديء الأمر البذور بقرب قصر بيت المتوني، ولما شبت وترعرعت، دعا رعاياه العرب العمانيين من الجزيرتين زنجبار ومبعا ووزع عليهم الشتلات وأمرهم بزراعتها⁽⁴⁾.

ولقد أدرك العمانيون القيمة الاقتصادية للقرنفل في السوق العالمي، خاصة بعد ازدياد الطلب العالمي عليه⁽⁵⁾، وذلك لاستخداماته الكثيرة في مجالات مختلفة منها:

- إن القرنفل يدخل في صناعة السجائر في أندونيسيا بعد مزجه بالتبغ.
- يستخدم في صناعة مادة اللبان في الهند.
- يدخل في صناعة الحلوى والروائح العطرية في إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية.
- يستخرج منه زيت القرنفل في الأغراض الطبية مثل علاج الروماتيزم وعلاج آلام الأسنان ونزلات البرد والسعال ويمنع القيء ودوار البحر

(1) رولاند أوليفر وجون فيج: موجز تاريخ إفريقيا، ترجمة دولت أحمد صادق (القاهرة: دار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت)، ص 187.

(2) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 107.

(3) المرجع نفسه، ص 108.

(4) سعيد علي المغيرة: المرجع السابق، ص 237.

(5) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 108.

ويخفف التأثير الضار للتدخين⁽⁶⁾.

ولقد كان إنتاج القرنفل في زنجبار يمثل في عهد السلطان سعيد حوالي 95% من الإنتاج العالمي في القرن التاسع عشر الميلادي، مما جعلها تمتلك احتكاراً طبعياً لإنتاجه⁽⁷⁾ كما ساعد ارتفاع صادرات القرنفل من زنجبار وتوابعها على انتشار زراعته على طول ساحل شرق إفريقيا حيث كان السلطان سعيد يمتلك وحده 45 مزرعة، كما كان العرب يمتلكون عدة مزارع أخرى واسعة يعمل بكل واحدة منها عدد يتراوح بين 200 - 300 مزارع وكان السلطان سعيد يحقق من تجارة القرنفل دخلاً سنوياً لا يقل عن خمسين ألف دولار⁽⁸⁾، وارتفعت صادرات القرنفل إلى العالم الغربي إلى حوالي 8400 رطل عام 1856 م⁽⁹⁾ قيمتها 55666 جنيه استرليني⁽¹⁰⁾.

زراعة جوز الهند:

كان جوز الهند يأتي في المرتبة الأولى في المنتجات الزراعية في زنجبار حيث كان يشكل نسبة 51% من جملة الصادرات قبل نقل عاصمة السلطان سعيد من مسقط إلى زنجبار⁽¹¹⁾.

زراعة الحبوب والمحاصيل الأخرى:

لقد اهتم العمانيون بزراعة محاصيل مختلفة أخرى مثل الفلفل الأحمر والليمون وأشجار السمس.

وقد قاموا بتطوير زراعة أشجار الصمغ وكذلك اهتموا بزراعة البن الذي

(6) Cravh Pollay of Zanzibar: Nationalism Whither Zanzibar, Publical Education, Series, Pamphle London No. 2, P. 77.

(7) Lofchie Micheal: Zanzibar Background Revolution (London: Oxford University 1965), P. 48.

(8) Ibid, P. 50.

(9) B.A. Ogot: Population Movements Between East Africa The Horn of Africa and The Neighbouring Countries, in (Unesco) ED, The Africa Slave Trade From The 15th Century to the 19th Century U.N. 1979, (London: 1980), P. 178.

(10) Roland Oliver, And Gervase, Mathew (EDS): Op. Cit, P. 241.

(11) Cravh Pollay of Zanzibar: Op. Cit, P. 78.

بدأ ينمو في منطقة المرتفعات بزنجبار⁽¹²⁾ كما اهتم السلطان سعيد بإدخال زراعة المطاط بسبب ازدياد الطلب عليه وصلاحيته للمنطقة لزراعة أشجاره. وقد حققت صادراته نحو 250 ألف جنيه استرليني في عام 1879 م⁽¹³⁾.

وبفضل جهود السلطان سعيد في تنمية موارد البلاد الزراعية تحولت مدن لامو ومالندي ومنبسة إلى صومعة غلال لشرق إفريقيا تمول - كذلك - شبه الجزيرة العربية. والجدير بالذكر، أن نحو ثلاثين سفينة كانت تترك مالندي سنوياً محملة بالحبوب إلى حضرموت وحدها⁽¹⁴⁾.

كما قدرت قيمة صادرات الحبوب بنحو 150 ألف دولار⁽¹⁵⁾ والسمسم بنحو 110 ألف دولار عام 1867 م كما وصلت جملة صادرات الصمغ والأصناف إلى نحو مائتي ألف دولار في هذا العام المذكور⁽¹⁶⁾.

وعلى الرغم من انتهاء الوجود العماني في زنجبار مع مطلع عام 1964 م، فما زالت زنجبار حتى يومنا هذا تعتمد في منتجاتها الزراعية - على ما أدخله العمانيون في عهد السلطان سعيد من محاصيل متنوعة وما زال القرنفل يمثل أهمية كبيرة سواء في الإنتاج الزراعي أو في الصادرات وقد نشر في إحدى الدوريات^(*) أن محصول القرنفل ما زال يشكل 95% من دخل زنجبار وبشكل ما يقرب من 7% من جملة الصادرات العالمية حسب بيانات عام 1978 م.

(12) حمامة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 86.

(13) محي الدين محمد مصيلحي: النشاط التجاري العربي في شرق إفريقيا في القرن التاسع عشر حتى بداية السيطرة الأوروبية على المنطقة، مقالة بكتاب (العرب في إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر، إشراف رؤوف عباس حامد مختار التاريخ، جامعة القاهرة) (القاهرة: دار الثقافة العربية 1987 م)، ص 208.

(14) Coupland: The Exploitation of East Africa (London: 1939), P. 77.

(15) Kimambo & Ajema: A history of Tanzania (London: 1969) P. 51.

(16) Coupland: Op. Cit, P. 77.

(*) مجلة الشرق الأوسط العدد 3582 الصادر في 18/9/1988 م.

ثانياً - القطاع التجاري:

إن التطورات الكبيرة التي أحدثتها سياسة السلطان سعيد بن سلطان في دولة زنجبار الحديثة في قطاع الزراعة والخبرة الواسعة المكتسبة للعمانيين في مجال النقل سواء النقل البحري عن طريق السفن والمراكب أو النقل البري عن طريق القوافل التجارية بين المناطق الساحلية والدواخل، فضلاً عن الاستقرار والأمن ودقة التنظيمات الإدارية، فقد ساعدت كل هذه التطورات في ازدهار نشاط قطاع التجارة في زنجبار بشكل ملحوظ، وقد ازداد نشاط هذا القطاع التجاري لزنجبار وملحقاتها في نطاق التعامل مع الأسواق الإفريقية في الساحل والمناطق الداخلية وكذلك مع باقي أسواق العالم التي ارتبطت بها تجارياً عن طريق النقل البحري. وفيما يلي، نستعرض أهمية قطاع التجارة في زنجبار على النحو التالي:

1 - نشأة قطاع التجارة في زنجبار.

2 - التجارة الداخلية مع الأسواق الإفريقية.

3 - التجارة الخارجية مع الأسواق العالمية.

نشأة قطاع التجارة في زنجبار:

لقد ساعدت حكمة السلطان سعيد بن سلطان الإدارية واهتماماته التجارية الفذة⁽¹⁷⁾، على إرساء دعائم قطاع التجارة في دولة زنجبار الحديثة وتطوره، فبدأ خاله زراعة القرنفل إلى جزيرتي زنجبار وبمبا، أصبحت دولته تنتج معظم الإنتاج العالمي من هذا المحصول، بحيث توفر لديها عائدات مالية مجزية استخدمتها في مجالات اقتصادية متنوعة. وأدى كل ذلك، إلى ازدهار جزيرة زنجبار التي أصبحت المركز التجاري الرئيسي، الذي تدور في فلكه وعبره كل تجارة شرق إفريقيا⁽¹⁸⁾.

(17) د. صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 73 وما بعدها.

(18) Roland Oliver & Anthony Atmore: Africa Since 1800 (Cambridge, University Press, 1972), P. 69.

وحرصاً منه على توسيع دائرة نطاق دولته التجارية، فقد قام السلطان سعيد بتوفير الأمن وإعطاء الضمانات الكافية للتجار المقيمين والوافدين، ومن بينها مراعاة الدولة لضرورة تحصيل الديون وتنفيذ العقود التجارية في جزيرة زنجبار نفسها إذا اقتضى الأمر ذلك⁽¹⁹⁾، وانطلاقاً من موهبته الاقتصادية، فقد بدأ بالاستفادة من خبرات العناصر الهندية التي قدمت معه من مسقط أو تلك التي جذبها للعمل بجزيرة زنجبار. والمعروف أن هؤلاء التجار الهنود كانت لديهم صلات تجارية عريقة عبر المحيط الهندي مع وطنهم الأم أي الهند. وبرز دور الهنود المعروفين باسم (البانيان) في الدوائر التجارية في زنجبار بحيث وقعت تحت نفوذهم المسائل الحساسة وتقديرات الضرائب العامة وتمويل التجارة التي كان يقوم بها التجار العرب بين المناطق الساحلية وبين مناطق الدواخل الإفريقية⁽²⁰⁾.

ونتيجة للانعاش التجاري الذي طرأ على جزيرة زنجبار التي أصبحت مستودعاً ضخماً للمنتجات الإفريقية والأجنبية، فقد تدفقت إليها الشركات والوكالات والبيوت التجارية العالمية ذات الجنسيات المتعددة: بريطانية وفرنسية وألمانية وأمريكية وغيرها. كما ازدحمت في موانئها السفن الأجنبية والمحلية المحملة بالبضائع الواردة والصادرة⁽²¹⁾.

وبما أن السياسة الاقتصادية لدولة زنجبار الحديثة كانت نابعة من أسس تجارية، فقد رأى السلطان سعيد ضرورة تسهيل عمليات التبادل التجاري مع الدول الأوروبية، وذلك بتوحيد التعريفات الجمركية على الواردات والتي حددت بنسبة 5% فقط⁽²²⁾. وأدى ذلك إلى تدفق السلع الأجنبية المختلفة إلى زنجبار من ضروريات وكماليات وازدهر النشاط التجاري عبر القنوات الداخلية والعالمية.

Ibid, P. 70.

(19)

Ibid, P. 71.

(20)

(21) محي الدين محمد مصيلحي: المرجع السابق، ص 173.

(22) صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 75.

التجارة الداخلية مع الأسواق الإفريقية:

واكب اتساع رقعة النفوذ السياسي لدولة زنجبار الحديثة من رأس جردفون شمالاً إلى رأس دلجادو جنوباً انجذاب الأوروبيين إلى داخل القارة الإفريقية للتجارة مع أهم مراكزها. والملاحظ أن العرب بدأوا في التحرك نحو الدواخل - بصورة جدية - في عام 1830 م⁽²³⁾، وسيطروا على طرق القوافل المؤدية ما بين الساحل وبين منطقة كاتنجا. وساعدهم في ذلك أنهم أصبحوا أكثر تنظيماً ويمتلكون الأسلحة النارية لمواجهة القبائل الإفريقية المناوئة⁽²⁴⁾، فضلاً عن أنه كانت تجري مقايضة 35 رطلاً من الخرز بما يساوي 140 رطلاً من العاج وبذلك كان أرخص عشر مرات كما كان عليه في زنجبار⁽²⁵⁾.

وكان الهنود الذين أصبحوا يتمتعون بجميع الامتيازات التي منحت للرعايا البريطانيين الممولين الرئيسيين للتجار العرب وقوافلهم التجارية مع مناطق دواخل القارة الإفريقية، ومن أهم السلع الإفريقية التي حرص العرب على اقتنائها العاج والرقيق، بينما كان زعماء القبائل الإفريقية يتطلعون إلى الحصول على الأسلحة النارية والبارود⁽²⁶⁾، وإلى جانب هاتين السلعتين، وجدت سلع أخرى رواجاً عند التجار العرب وكانوا يحملونها إلى الساحل ومنها الذهب وريش النعام والجلود والموز والصمغ واللويان⁽²⁷⁾.

وفي عهد السلطان سعيد بن سلطان انتظمت رحلات القوافل التجارية التي توغلت حتى منطقة البحيرات الاستوائية. وقام العرب بتأسيس محطات ومراكز تجارية عربية عمانية⁽²⁸⁾، وقد كان لإعفاء السلطان سعيد الصادرات من

(23) كوليت جراند ميزون: هجرات الحرث إلى أواسط القارة الإفريقية (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1984 م)، ص 12.

(24) Roland Oliver & Anthony, atmore, Op. Cit, P. 70.

(25) كوليت جراند ميزون: المرجع السابق، ص 12، 13.

(26) Roland Oliver & Anthony, atmore, Op. Cit, P. 70.

(27) Ibid, P. 70.

(28) جمال زكريا قاسم: دولة بوسعيد في عمان وشرق إفريقيا، ص 212.

الضرائب حافظ لتنشيط حركة التجارة الداخلية، فضلاً عن إدخاله في عام 1859 م نظاماً جديداً للتبادل النقدي بضربه عملة صغيرة، وهي البيسة⁽²⁹⁾، والجدير بالذكر، أن الريالات الألمانية والنمساوية والأسبانية كانت عملات مستعملة في شرق إفريقيا من قبل⁽³⁰⁾، بالإضافة إلى نظام المقايضة التي كانت الذرة من أهم أنواعها⁽³¹⁾.

ولقد اتخذت رحلات القوافل التجارية شكلاً منضبطاً ومنظماً بعد نقل السلطان سعيد بن سلطان مركز حكمه من مسقط إلى جزيرة زنجبار. فازدهرت العديد من المراكز التجارية على طول هذه الطرق، ووصل النشاط التجاري العربي إلى منطقة البحيرات، حيث أفاد ليفنجستون بأنه شاهد مراكز عربية تجوب أرجاءها⁽³²⁾.

ومن أبرز طرق القوافل التجارية، الطريق الممتد من مدينة بجمويو على ساحل تنجانيقا غرباً حتى طابورا التي تبعد حوالي ألف كيلومتر من الساحل⁽³³⁾، وقد ازدهرت طابورا لتصبح أهم مركز للتجار العرب في أواسط القارة ونقطة التقاء لطرق القوافل الأخرى. ومن الجنوب من الطريق المذكور، ظهر طريق آخر انطلق من كلوة ليصل إلى بحيرة نياسا⁽³⁴⁾، وكذلك تفرع طريق ثالث من ميناء تانجا عبر مرتفعات كليمنجارو شمالاً حتى بحيرة فكتوريا⁽³⁵⁾، حيث احتك العرب بمملكة يوغندا ويقال إن سناي بن عامر هو أول عربي يصل إلى هذه المملكة⁽³⁶⁾، كما نجح العرب في تأسيس مركز تجاري مهم في أوجيجي

(29) عبد الله بن صالح الفارسي: المرجع السابق، ص 147.

(30) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 213.

(31) عبد الله بن صالح الفارسي: المرجع السابق، ص 147.

(32) صلاح العقاد وجمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 77.

(33) كوليت جراند ميزون: المرجع السابق، ص 14.

(34) صلاح العقاد وجمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 77.

(35) المرجع نفسه، ص 77.

(36) جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، ص 59.

على بحيرة تنجانيقا ونقل مؤثرات الحضارة العربية الإسلامية إلى أواسط القارة الإفريقية، حسب اعتراف الرواد الأوروبيين أنفسهم⁽³⁷⁾.

ويتوغل العناصر العربية لدواخل القارة الإفريقية حتى إقليم المانيما واللوالابا، أصبح العرب يسيطرون اقتصادياً على منطقة البحيرات الاستوائية التي شيّدوا فيها المستعمرات واستعانوا بالوطنيين الأفارقة في نقل ما يحصلون عليه من العاج إلى الساحل.

ويمكن أن يقال إن دولة زنجبار الحديثة في عهد السلطان سعيد بن سلطان، قد استفادت فائدة اقتصادية كبيرة من الأراضي الإفريقية الشاسعة التي بلغها نفوذها والتي ربطت «بشبكة» من الطرق العديدة الواصلة إلى الموانئ الساحلية التي ازدهرت واكتظت بحركة السفن التجارية المحلية والعالمية. ولذا، فإن جزيرة زنجبار، قد تسنى لنفوذها الاقتصادي والسياسي الامتداد على مناطق إفريقية واسعة تشمل البحيرات الاستوائية غرباً ويوغندا شمالاً إلى موزمبيق جنوباً⁽³⁸⁾.

التجارة الخارجية مع الأسواق العالمية:

لقد شهدت دولة زنجبار الحديثة رخاء اقتصادياً بلغ ذروته في عهد السلطان سعيد بن سلطان الذي امتدت شهرته عالمياً نتيجة لفتح بلاده على مصراعيها للتجارة الدولية. وترتب على ذلك، أن أصبحت جزيرة زنجبار مخزناً كبيراً للبضائع الإفريقية والآسيوية، ومن أعظم ثلاثة مراكز تجارية هامة في غربي المحيط الهندي⁽³⁹⁾.

ويبدو، أن السلطان سعيد بن سلطان، قد لجأ إلى إبرام العديد من المعاهدات والاتفاقيات مع الدول الأجنبية وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا

(37) المرجع السابق، ص 59.

(38) كوليت جراند فيزون: المرجع السابق، ص 15.

(39) جمال زكريا قاسم: الخليج العربي - دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول، ص 222.

والولايات المتحدة الأمريكية وبعض الولايات الألمانية المشتركة في اتحاد الهانسا⁽⁴⁰⁾، وذلك بدافع الحرص على توثيق روابطه التجارية معها. غير أن هذه الدول الكبرى عملت - في الوقت ذاته - على إنشاء قنصليات في زنجبار لكسب نفوذ سياسي هناك لتأهيلها للقدرة على التنافس والبقاء. وقد ازداد خطر المنافسة الأوروبية بازدياد حجم أساطيلها التجارية التي هيمنت على التجارة الشرقية. وكذلك بتردد هذه الأساطيل على موانئ ساحل شرق إفريقيا، وفقاً لامتيازات منحت لمعظم الدول الغربية التي ارتبطت بمعاهدات تجارية عقدتها مع السلطان سعيد⁽⁴¹⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن البيوتات التجارية الألمانية أدركت مؤخراً الفائدة التي يمكن أن تجنيها من مركز جزيرة زنجبار التجاري المميز. لذا، أقدمت على عقد اتفاقيات تجارية مع دولة زنجبار الحديثة، وبالتالي، أصبح يقيم في زنجبار منذ عام 1850 م وكلاء تجاريون ألمان من المدن الألمانية الحرة ومن بينهم ممثلون من شركة أوسفالد الألمانية (Oswald) حصلوا على نفس الامتيازات التي منحت لرعايا القوة الأوروبية الأخرى، وذلك بموجب اتفاقية الصداقة والملاحة التي عقدت في عام 1859 م بين مفوض السلطان سعيد بن سلطان وبين ممثلي رعايا المدن الحرة هامبورج وبريمن ولوبيك⁽⁴²⁾.

وعلى الرغم من أن السلطان سعيد بن سلطان من أنصار حرية التجارة، فإنه أدرك ضرورة العمل على مواجهة المنافسة الأجنبية المتصاعدة حتى لا ترجح كفة الميزان التجاري إلى غير صالح بلاده⁽⁴³⁾، فبادر بتعيين وكلاء له في الموانئ الهامة في شبه الجزيرة الهندية مثل بومباي وكلكتا وغيرها من الموانئ الآسيوية المطلة على المحيط الهندي. كما قام باحتكار سلعتي العاج والصمغ

(40) المرجع السابق، ص 222.

(41) صلاح العقاد وجمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 74.

(42) Buttner, Thea, Afrika Von Den Anfängen Bis Zur Territorialen Aufteilung Afrikas - Köln: Pahlrujenstein, 1979, P. 283.

(43) جمال زكريا قاسم: دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا، ص 214.

وأعلن منطقة إنتاجهما الواقعة بين كلوة وبنجاني منطقة مغلقة حتى يتمكن من إحكام احتكاره لهاتين السلعتين لحسابه الخاص⁽⁴⁴⁾.

ويعد قيمة العاج من أعلى صادرات زنجبار سعراً فكانت المائة فارسييل^(*) من العاج تباع في زنجبار بسعر يتراوح بين 4500 - 5600 دولار⁽⁴⁵⁾. وأفادت بعض الإحصائيات أن كمية العاج المتداولة في زنجبار سنوياً بلغت في عام 1841 م حوالي 3500 رطل وارتفعت هذه الكمية في عام 1848 م إلى 7000 رطل وتضاعفت إلى ما يربو على 8000 رطل عام 1856 م⁽⁴⁶⁾. وبما أن ازدهار النشاط التجاري لدولة زنجبار الحديثة مع الأسواق الداخلية والخارجية قد بلغ ذروته في عهد السلطان سعيد بن سلطان، إلا أن الميزان التجاري لم يعد لصالح دولته في أواخر أيام حياته. فقد بلغت قيمة صادرات زنجبار في الفترة (1856 م - 1857 م) حوالي 753,662 جنيه استرليني بينما كانت وارداتها خلال الفترة المعنية حوالي 908,897 جنيه استرليني⁽⁴⁷⁾، وكانت أهم صادرات زنجبار من السلع القرنفل والعاج والصمغ والمطاط وجوز الهند والسمسم والأصناف⁽⁴⁸⁾، وفي الوقت ذاته، تعد سلع الأرز والأقطان والخرز في مقدمة واردات هذه الدولة⁽⁴⁹⁾.

وهكذا، يمكن أن يقال إن دولة زنجبار الحديثة في ظل السلطان سعيد بن سلطان قد أحدثت تحولات اقتصادية إيجابية في منطقة ساحل شرق إفريقيا ودواخل القارة، وذلك من خلال معاملاتها التجارية المتنوعة على مدى نصف

(44) صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 76.

(45) محي الدين مصلحي: المرجع نفسه، ص 202.

(46) كوليت جراند فيزون: المرجع السابق، ص 12.

(47) محي الدين مصلحي: المرجع السابق، ص 211.

(48) المرجع نفسه، ص 207، 209.

(49) المرجع نفسه، ص 208.

(*) الفارسييل وحدة وزن قياسية للعاج تعادل حوالي 36 رطل (انظر محي الدين مصلحي: المرجع السابق، ص 202).

قرن من الزمان. وقد واكب هذا الازدهار التجاري تدفق الهجرات العربية إلى ساحل شرق إفريقيا واستقرارها فيه، ثم تغلغلها - بفعل العامل التجاري - إلى دواخل القارة الإفريقية حتى منطقة البحيرات الاستوائية وحوض الكونغو وهناك، أصبح العرب حملة لشعلة الحضارة والمدنية.

دور السفينة «سلطانة» في ربط العلاقات التجارية بدولة زنجبار الحديثة:

أدى ازدهار النشاط التجاري إلى زيادة قطع الأسطول البحري التجاري ولعب دوراً كبيراً في نقل البضائع والسلع من زنجبار وإليها، وقد امتد هذا النشاط التجاري إلى بعض أقطار آسيا وأوروبا وأمريكا.

وبذلك أصبحت زنجبار ميناء تجارياً كبيراً لحركة الملاحة التجارية العالمية، وقد عين السلطان سعيد وكلاء له في بومباي وكلكتا في شبه جزيرة الهند⁽⁵⁰⁾.

وفي عام 1840 م أرسل السلطان سعيد السفينة «سلطانة» إلى مدينة نيويورك للتجارة والتي كانت تحمل أنواعاً مختلفة من البضائع كالتمور والسجاد والبن والعاج والصمغ والجلود إلى جانب بعض الهدايا لرئيس الولايات المتحدة⁽⁵¹⁾. ولقد مارس الأمريكيون التجارة في زنجبار، فكانوا يحضرون معهم السلع المختلفة مثل الأقمشة القطنية والأدوات المنزلية ومعدات السفن والساعات والأحذية والبنادق، ومقابل ذلك، كانوا يشترون من زنجبار صمغ الكوبال وجوز الهند المجفف والقرنفل والعاج⁽⁵²⁾، كما تم التبادل التجاري مع بريطانيا، وفرنسا، خاصة في المتوجات الإفريقية مثل العاج والصمغ والقرنفل⁽⁵³⁾.

(50) وزارة التراث القومي والثقافي: مرجع سابق، ص 82 - 85.

(51) المرجع نفسه، ص 86.

(52) رأفت غنيمي: دور عمان في بناء حضارة إفريقيا، ندوة الدراسات العمانية (عمان: وزارة التراث القومي والثقافي، 1980 م)، المجلد الثالث، ص 170 - 172.

(53) وزارة التراث القومي والثقافي: المرجع السابق، ص 85.

لقد أثمرت سياسة السلطان سعيد في البحث عن أسواق جديدة بعد أن كانت هذه الأسواق مقصورة على ساحل المحيط الهندي الممتد من عدن إلى بومباي وعلى مصر وبلاد العرب، وقد رأى السلطان سعيد ومن خلال نظرة التاجر الماهر أهمية أسواق أوروبا وأمريكا لرواج تجارة بلاده، وقد أثمرت سياسته الاقتصادية وتضاعفت تجارة بلاده الخارجية بعد أن بدأ يتجر مباشرة مع أوروبا، وكان من أثر ذلك أن نمت مدينة زنجبار وازدهرت بعد أن كانت في القرن الثامن عشر الميلادي مجرد قرية، واستطاع السلطان سعيد أن يجعل زنجبار ثالث دولة تجارية في المحيط الهندي⁽⁵⁴⁾ هذا، وقد كانت السفينة «سلطنة» إحدى دعائم الأسطول التجاري للسلطان سعيد بن سلطان، حيث إنشأت في مدينة بومباي سنة 1833 م، على الطراز الأوروبي الذي أدخلت فيه بعض التعديلات ذات الطابع العماني.

وكانت حمولتها 312 طناً وزودت بعد 14 مدفعاً ولقد قامت هذه السفينة بدور كبير في ربط الصلات التجارية بين دولة زنجبار الحديثة وبين كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية⁽⁵⁵⁾.

لقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية من بين الدول الغربية التي تربطها بالسلطان سعيد علاقات وثيقة، ولذلك فقد بادر بإرسال السفينة «سلطنة» إلى نيويورك برحلة تجارية ودبلوماسية⁽⁵⁶⁾، وكان الشيخ الحاج أحمد نعمان الكعبي قبطاناً لهذه السفينة السلطانية، وقد عظم شأنه لدى السلطان سعيد الذي منحه كافة الصلاحيات ليتولى قيادتها وأمانة أموالها والمتاجرة بما فيها من سلع وبضائع، فضلاً عن تشريفه بحلقة الإمارة أو السفارة ليكون سفيراً وممثلاً شخصياً له في حمل مراسلاته السياسية وهداياه إلى بعض الحكام الأجانب⁽⁵⁷⁾.

(54) حمادة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 91.

(55) وزارة التراث القومي والثقافي: المرجع السابق، ص 184.

(56) انظر الملحق رقم (6) الذي يوضح شخصية أحمد الكعبي.

(57) وزارة التراث القومي والثقافي: المرجع السابق، ص 266 - 267.

وبدأ الإعداد للرحلة في أوائل عام 1839 م حيث أعيد تجهيز السفينة في بومباي ثم أبحرت في آخر ديسمبر من العام نفسه مروراً بمسقط إلى زنجبار، وفي فبراير 1840 م أقلعت مع الرياح الشمالية الشرقية في رحلتها إلى نيويورك⁽⁵⁸⁾، وبالنسبة لحمولة السفينة في تلك الرحلة الشهيرة فقد أعطانا الشيخ سعيد بن علي المغيرة صاحب كتاب جبهة الأخبار تفاصيل دقيقة عن حجم وكمية وأوزان بعض البضائع والسلع كالعاج والقرنفل والتمر والبن والسندروس الخام والجلود وقشر السلاحف وغيرها⁽⁵⁹⁾، كما حملت إلى جانب ذلك هدايا إلى الرئيس الأمريكي وهي حصانان ولآلء وأحجار كريمة وسبيكة من الذهب وسجادة عجمية من حرير وعطر وماء ورد وشالان من كشمير وسيف مذهب⁽⁶⁰⁾، والجدير بالذكر أن جزءاً من حمولتها المذكورة كانت تخص بعض كبار تجار زنجبار أمثال سعيد بن خلفان بن حمد وسعيد بن حمد بن عبد الله وزجرام وميكيجن ومحمد بن إبراهيم بن حسن والسيد محمد بن شرف وهؤلاء أوكلوا الحاج الكعبي لبيعها لحسابهم⁽⁶¹⁾، وكانت السفينة سلطنة في رحلتها إلى نيويورك قد اتخذت طريق رأس الرجاء الصالح حيث استغرقت الرحلة 87 يوماً لم تتوقف خلالها إلا في مرفأ واحد هو «سانت هيلانة» حيث زار الحاكم البريطاني غوريز وسلمه رسالة ودية من قبل السلطان سعيد بن سلطان⁽⁶²⁾.

عند وصول السفينة سلطنة إلى نيويورك استقبل أحمد نعمان الكعبي وطاقم سفينته بحفاوة وترحيب بالغين من قبل صحافة نيويورك والدوائر الرسمية الأمريكية. غير أنه لم يرد ذكراً لمقابلته للرئيس الأمريكي.

أما السلع التي كانت تحملها السفينة سلطنة، فقد حظيت برواج كبير وقام الشيخ الكعبي بالإشراف على تصريفها على يد الدلال الأمريكي باركلس

(58) حمادة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 90.

(59) سعيد علي المغيرة: المرجع السابق، ص 267.

(60) حمادة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 90.

(61) سعيد علي المغيرة: المرجع السابق، ص 267.

(62) المرجع نفسه، ص 270.

لونتس⁽⁶³⁾، وفي رحلة العودة كانت شحنة هذه السفينة تشتمل على هدايا للسلطان سعيد بن سلطان عبارة عن أربعة بنادق محلاة بالفضة وأدوات منزلية فاخرة إلى جانب سلع تجارية متنوعة مثل الأقمشة الحريرية والعطور والدخان والبنادق والبارود وغيرها⁽⁶⁴⁾.

وتعتبر رحلة السفينة «سلطنة»^(*) بادرة دبلوماسية تجارية ناجحة، فمن خلال هذه الرحلة توطدت الصلات بين السلطان سعيد بن سلطان وبين الولايات المتحدة الأمريكية لسنين طويلة، وبالرغم من أن السلطان سعيد قد أبدى ارتياحه للنتائج التجارية فإنها لم تكن كافية لتشجيعه على القيام بمحاولة ثانية، وبتحليل النتائج يمكن القول بأن النفقات الباهظة للرحلة أضعفت احتمال تكرارها، غير أن هذه الرحلة، كانت بادرة لجذب التجار والمستثمرين الأمريكيين لمزاولة نشاطهم التجاري مع دولة زنجبار الحديثة.

وكانت رحلة «سلطنة» التالية إلى لندن عام 1841 م حاملة السفير علي بن علي بن ناصر ومعه رسائل من السلطان سعيد إلى اللورد أبردين والملكة فيكتوريا، كما كان مزوداً بتعليمات بالسعي إلى مطالبة الحكومة البريطانية بتعديل سياستها بشأن تقييد تجارة عمان وقد أثارت «سلطنة» فضولاً كبيراً لدى البريطانيين مثلما استثارت الشعور نفسه لدى زيارتها للولايات المتحدة الأمريكية عام 1840 م⁽⁶⁵⁾.

ومرة أخرى كما حدث في عام 1838 م لم يرض السلطان سعيد عن النتائج الدبلوماسية للبعثة.

(63) المرجع السابق، ص 86.

(64) المرجع نفسه، ص 269.

(65) وزارة التراث القومي الثقافي: المرجع السابق، ص 184.

(*) ظهرت للسفينة صورتان، الأولى في عدد 18 يونيو 1842 ميلادية في مجلة «الستريد لندن نيوز» وهي تفرغ الهدايا المرسلة إلى الملكة فيكتوريا من السلطان والصورة الأخرى في اللوحة التي رسمها الرسام الأمريكي «موني» لأحمد نعمان الكعبي، والباخرة خلفه.

ثالثاً - الرق:

كانت تجارة الرق شائعة في شرق إفريقيا منذ وقت موغل في القدم. وكانت هذه التجارة التي تجافي المعايير الإنسانية وتجنح إلى الاستغلال البشع من الإنسان لأخيه الإنسان من المصادر الاقتصادية الهامة في حياة المجتمعات الإفريقية قبل اتصالهم بالعرب⁽⁶⁶⁾.

ويلاحظ أن زعماء القبائل الإفريقية ساعدوا في جلب أفراد القبائل المهزومة لبيعهم في المراكز التجارية في ساحل شرق إفريقيا والتي كان يفد إليها إلى جانب العرب الهنود والفرس والأوروبيون الذين شاركوا بصورة واضحة في ازدهار هذا النوع من التجارة.

ويظهر الإسلام وازدياد اتصال العناصر العربية المسلمة بساحل شرق إفريقيا وما تبع ذلك من نشر للإسلام وثقافته العربية، حدث تغيير واضح لمفهوم تجارة الرق عند العرب المسلمين. والمعروف أن الإسلام لم يقر الرق في صورته المطلقة الدائمة، وإنما أقره في صورة تؤدي في نفس الوقت إلى القضاء عليه تدريجياً، دون أن يحدث في ذلك أي أثر يسيء إلى نظام المجتمع، بل دون أن يشعر أحد في تغيير مجرى الحياة.

وبديهي، كان موقف السلطان سعيد بن سلطان من إلغاء تجارة الرقيق موقفاً يتفق وروح التعاليم الإسلامية السمحة، وهو موقف أذهل الإنجليز المستعمرين حينما رفض ما عرض عليه من تعويض مالي سخي ووافق على إبرام معاهدة إلغاء تجارة الرق بدون مقابل وبدون قيد أو شرط.

ولذا، رأينا معالجة تجارة الرقيق هنا كظاهرة اقتصادية وذلك على النحو التالي:

(66) دونالد ل. وايدنز: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة علي أحمد فخري، شوقي عطا الله الجمل (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، 1976 م)، الجزء الأول، ص 46.

تجارة الرق في ساحل شرق إفريقيا قبل الوجود العماني:

لقد مارس الإفريقيون الرق مثل جميع الشعوب⁽⁶⁷⁾، فقد كانت بعض القبائل الإفريقية تمارس تجارة الرقيق مثل قبيلتي «وانيا موزا»، و«باو» في تنجانيقا.

ومن أهم الأسباب التي أدت إلى مزاولة هذه التجارة ما يلي:

- 1 - الحروب التي كانت تحدث بين القبائل الإفريقية، وقيام القبيلة المنتصرة باسترقاق أبناء القبيلة المهزومة.
- 2 - ارتكاب الشخص لجريمة ما، فتضطر قبيلته إلى استرقاقه.
- 3 - ممارسة بعض الأسر الإفريقية لأعمال السحر الأسود، فتعاقب القبيلة تلك الأسر بالاسترقاق.
- 4 - عند حدوث المجاعة، تضطر بعض الأسر إلى بيع أبنائها لبعض القبائل الإفريقية، كما فعلت قبيلة «واجوجو» عندما باعت أبنائها لقبيلة الماساي⁽⁶⁸⁾.
- 5 - كان بعض الزعماء الإفريقيين يقدمون بعضاً من رعاياهم في صورة هدايا وخدم للأجانب⁽⁶⁹⁾.

ومن الواضح مما ورد أن تجارة الرقيق كانت معروفة وتزاول قبل مجيء العرب لساحل شرق إفريقيا، الأمر الذي حاول بعض المستشرقين التغاضي عنه حتى يدفعوا العرب بهذه الجريمة النكراء التي مارسها معظم شعوب الأرض بدون استثناء في مراحل من تاريخ حياتها.

(67) يوسف روكز: إفريقيا السوداء سياسة وحضارة (بيروت: مكتبة بيروت، 1986 م)، ط 2، ص 49.

(68) حمادة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 107.

(69) شعبان سقو: وجهات نظر التبشير المسيحي، (بغداد: المنظمة العربية للتربية والثقافة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1985 م)، ص 7.

تجارة الرق في ساحل شرق إفريقيا أثناء الوجود العماني:

ادعى الأوروبيون أن تجارة الرقيق تعد وصمة عار في جبين العمانيين، حيث اتهموهم بممارسة هذه التجارة وتشجيعها متجاهلين أنهم كانوا أنفسهم يمارسون تجارة الرقيق متعللين بأسباب إنسانية في الظاهر فقط⁽⁷⁰⁾. فقد كانت الدوافع السياسية هي التي تحركهم، ومن ثم نجحت هذه الدوافع، فاستطاع الأوروبيون تحقيق أحلامهم في زرع بذور الحقد والكراهية بين العرب والأفارقة.

وفي الحقيقة أن تجارة الرقيق كانت عملاً بشعاً تورطت فيه الكثير من الدول الأوروبية، ولكن انصبت الأحقاد والانتقادات على العمانيين دون غيرهم⁽⁷¹⁾. حيث وقف العرب موقفاً مشرفاً إزاء الحملات التي قادتها إنجلترا لتحريم تجارة الرقيق، إذ كان للعمانيين الفضل الأكبر في نجاح هذه الحملات، عندما وقع السلطان سعيد معاهدة مع إنجلترا عام 1822 م، بمنع بموجبها تجارة الرقيق خارج نطاق ممتلكاته الإفريقية والآسيوية. وأن يسمح لضباط وموظفي الحكومة البريطانية القائمين لقمع تلك التجارة بأن يقيموا في بلاده. كما وافق السلطان سعيد بمقتضى تلك المعاهدة على تحريم بيع الرقيق للدول المسيحية⁽⁷²⁾ ومصادرة السفن التي تشتغل بتجارة الرقيق، كما أعطى حق المصادرة أيضاً للسفن البريطانية، وذلك بأن تقوم بالقبض على السفن المشتغلة بتلك التجارة شرق خط يبتدىء من الساحل الشرقي لإفريقيا إلى شرق جزيرة سقطرة وينتهي عند ساحل بلوخستان⁽⁷³⁾.

ويلاحظ أن معاهدة 1822 م هذه لم تكن تهدف إلى إلغاء تجارة الرقيق

(70) محمد مختار أمين مكرم: أضواء حول إفريقيا (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت)، ص 24.

(71) جمال زكريا قاسم: «تاريخ العرب في شرق إفريقيا سبيل للتقارب أم التباعد» العرب في إفريقيا سيمتار التاريخ (القاهرة: دار الثقافة العربية، 1987 م)، ص 22.

(72) أحمد حمود المعمرى: المرجع السابق، ص 90.

(73) المرجع نفسه، ص 90.

إلغاء تاماً فقد ركزت بريطانيا في المعاهدة المذكورة على بيع الرقيق للدول المسيحية ولكنها أعطت للسلطان سعيد حق الوساطة في تجارة الرقيق في الممتلكات التابعة بهدف توريثه ولكنها أدركت هذا المخطط الاستعماري ورفض الأمر جملة وتفصيلاً⁽⁷⁴⁾.

أما معاهدة 1845 م التي أبرمت بين بريطانيا وبين السلطان سعيد بن سلطان بشأن تحريم تجارة الرقيق، فقد كانت ضربة قاصمة لتجارة الرقيق في المنطقة، حيث قُلت مواردهم كما نقص دخل دولة زنجبار الحديثة مقابل وساطتها التجارية إلى حوالي 100 ألف ريال.

وقد تضمنت المعاهدة توقيع أشد العقوبات ضد تصدير الرقيق من الممتلكات الإفريقية إلى ممتلكات السلطان الآسيوية.

كما التزم السلطان سعيد بن سلطان بأن يبذل أقصى ما في وسعه ونفوذه لدى شيوخ وأمرأء الجزيرة العربية والبحر الأحمر والخليج العربي لمنعهم من استيراد العبيد إلى بلادهم، بل لقد ذهب السلطان سعيد إلى أبعد من ذلك، حيث أمر بمصادرة أية سفينة إذا ما اشتبه في أنها تحمل عبيداً من ممتلكاته الإفريقية⁽⁷⁵⁾.

ولقد بقيت هذه المعاهدة أساساً لسياسة انجلترا في محاربة الرقيق، إذ كانت تعتمد على مصادرة المراكب التي تعمل في تجارة الرقيق، ويلاحظ أن تجارة الرقيق قد انخفضت بنسبة 80% بعد توقيع المعاهدة⁽⁷⁶⁾.

وإذا كان بعض العمانيين قد شاركوا في تجارة الرقيق في السابق، إلا أنهم كانوا يعاملونهم أحسن معاملة تتفق مع تعاليم الدين الإسلامي ومبادئه، ولتأكيد ذلك، نذكر في هذا الصدد شهادة بعض الأوروبيين في هذا الشأن:

1 - أورد مساعد المقيم البريطاني في (بوشهر) في تقرير له عام 1842 م،

(74) جمال زكريا قاسم: استقرار العرب في شرق إفريقيا، ص 248.

(75) Edward Hutchinson: The Slave of East Africa, (London: 1974), P. 12.

(76) Ibid, P. 13.

حول تلك المعاملة، «بأنها لم تكن في أي وقت من الأوقات معاملة قاسية أو مجحفة، وأن حالة الرقيق المادية تتغير بعد شرائهم إلى الأفضل، وأن سادتهم يعاملونهم معاملة حسنة.

2 - يصف (همرتون) أول قنصل لانجلترا في زنجبار حالة الرقيق عام 1844 م بقوله: «إنهم عموماً يتناولون طعاماً جيداً، ولا تساء معاملتهم، ويندر ضربهم أو عقابهم، ولا يوجد في المجتمع طبقة سعيدة وخالية البال تحظى بمعاملة كريهة مثل طبقة الرقيق المسلمين».

3 - أبدى المؤرخ البريطاني (أرنولد ويلسون)، ملاحظاته حول وضع الرقيق في مجتمع زنجبار، فقال: «ثمة فرق شاسع بين حال الرقيق قبل انتقالهم من مواطنهم الأصلي، وبين حالتهم بعد دخولهم في حوزة العرب، فبعد الظروف القاسية التي كانوا يعيشون فيها والتي صاحبت جلبهم من بلادهم، فإن حالتهم تتغير إلى الأفضل دائماً»⁽⁷⁷⁾.

4 - كتب الرحالة الأوروبي (ريتشارد بيرتون) عام 1880 م، بعد زيارته لزنجبار قائلاً: «إن الرقيق هنا لا يعانون من الجوع أو التعذيب أو الحرمان، لأن لو بلغ السلطان سعيد أبناء عن سوء معاملة السادة لرقيقهم، فإنه يعطي لهؤلاء الرقيق حريتهم ويحميهم من انتقام سادتهم السابقين»⁽⁷⁸⁾.

5 - ويذكر (دافيدسن) عن معاملة العمانيين للطية للرقيق فيقول: «كان للعمانيين تأثير معتاز على البلاد والشعب، ولم تكن تجارة العمانيين سيئة للرقيق مثل الأوروبيين، ويرجع الفضل في ذلك إلى أن صلتهم بالرقيق صلة إنسانية». وربما يرتقي الرقيق إلى مناصب هامة، كما يصبح من حقهم اعتناق الإسلام ومن الجدير بالذكر، أنه لم يكن هناك اندفاع من

(77) جون ب. كيلي: بريطانيا والخليج (1795 - 1870 م) ترجمة محمد أمين عبد الله،

(عمان وزارة التراث القومي والثقافي، 1979 م)، ج 2، ص 504.

(78) أحمد حمود المعمرى: المرجع السابق، ص 91. وكذلك: Richard Burton: Op. Cit.

P. 320

جانب الرقيق لنيل حريتهم، فقد كان الكثيرون منهم راضين عن أوضاعهم، بعد أن اجتازوا الظروف الطبيعية القاسية أثناء جلبهم من بلادهم، ووجدوا في زنجبار الراحة والأمن⁽⁷⁹⁾.

وفي الوقت الذي يعامل العرب رقيقهم معاملة إنسانية كريمة كان الأوروبيون وهم يتباكون على الحقوق الإنسانية، يسيئون معاملة الرقيق لديهم، فقد كانوا يبيعون رقيقهم في الأسواق بأبخس الأثمان مع أمتعتهم عندما ينتقلون للإقامة في أماكن أخرى⁽⁸⁰⁾.

بينما نلاحظ أن الأوروبيين يقومون بعمليات الاستيلاء على الرقيق من ساحل غرب إفريقيا، ونقلهم عبر المحيط الأطلنطي لزراعة المناطق الشاسعة في الأمريكيتين، ولكن فيما يبدو أن غرب إفريقيا لم تشف أطماع الأوروبيين، بالرغم من أنها قد صدرت خلال القرون الثلاثة الماضية (السادس والسابع والثامن عشر الميلادي) ما يقرب من مائة مليون إفريقي، ولهذا بدأت تلك الدول تعمل مراكز ومحطات تجارية على الساحل الشرقي لإفريقيا، خاصة موزمبيق وزنجبار⁽⁸¹⁾، لتجارة الرقيق.

وقد كونت تلك الدول شركات تجارية، وعملت الخطط المحكمة لتدبير عمليات جلب الرقيق من داخل قارة إفريقيا، وأسست العديد من المراكز التجارية لنقلهم إلى أوروبا وأمريكا ولهذا دبروا الفتن والمؤامرات والكراهية بين القبائل الإفريقية ليتسنى لهم ممارسة نشاطهم، وتحقيق أسوأ استغلال عرفته البشرية في تاريخها الحديث⁽⁸²⁾.

أوضح ذلك أحد الكتاب الأوروبيين بقوله: «الحقيقة أن تجارة الرقيق

(79) المرجع السابق، ص 90.

(80) حمادة خلفان الغيث: المرجع نفسه، ص 111.

(81) جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، ص 77.

(82) جمال زكريا قاسم: استقرار العرب في شرق إفريقيا، ص 249.

شهدت نطاقاً واسعاً منذ أن وطئت أقدام الأوروبيين أرض القارة الإفريقية⁽⁸³⁾.

وكمثال على ذلك، ما فعله الملك ليوبولد الثاني (ملك بلجيكا) عندما أعلن أن الكونغو مستعمرة خاصة له وأعلن نفسه سيداً عليها، وأسماها الكونغو الحرة خلال عام 1885 - 1908 م مما جعله يستغل مواردها أبشع استغلال، وذلك لاستخراج المطاط والعاج، وانتهج في ذلك نهجاً سيئاً من حيث معاملة الإفريقيين أسوأ معاملة، حيث عاملهم جنوده معاملة وحشية، إذ أخذوا يطلقون النار على العامل الذي لا يقوم بجمع حصته وكانوا يقطعون أعضاءه، وكان الضباط البلجيكيون يطالبون جنودهم بأن يثبثوا بأنهم لم يبعثوا ذخيرتهم هباء، ولذلك فإن الجندي كان مجبراً على إحضار عضو من جسم هذا الإفريقي في مقابل كل رصاصة أطلقها. وفي فترة حكم ليوبولد الثاني للكونغو أخذ ما يتراوح من خمسة إلى ثمانية ملايين من البشر كأرقاء⁽⁸⁴⁾.

ويلاحظ أن انجلترا التي كانت أول من أعلنت محاربتها لتجارة الرقيق كانت تؤيد وتناصر الفصل العنصري في جنوب إفريقيا حتى وقت ليس بالبعيد، بينما استطاع المجتمع العماني امتصاص الرقيق، ولم يترك لنظامهم كياناً مبرزاً في زنجبار، بل إنه تحرر من الحاجز اللوني، والذي ظل قائماً حتى الآن وبعض في جميع الدول الأوروبية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

يتبين مما سبق أن سياسة السلطان سعيد بن سلطان في زنجبار قد أثرت تأثيراً واضحاً في المجتمع الإفريقي اقتصادياً وقد كان التأثير واضحاً في قطاعي الزراعة والتجارة الخارجية وبالرغم من مركزية الإدارة، فإن المساواة في الحقوق والواجبات كانت هي أساس التعامل.

وتعامل العمانيون مع الرق (الذي كان موجوداً قبل مجيئهم) طبقاً للتعاليم

(83) دافيد باسل: إفريقيا تكتشف من جديد، ترجمة نبيل بدر محمود وآخرون (القاهرة، ب. ت)، ص 126.

(84) محمد عبد الغني سعودي: العلاقات العربية الإفريقية دراسة في أبعادها المختلفة، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1975 م)، ص 260.

الإسلامية، وشهدت فترة وجودهم تطوراً جوهرياً في معاملة الرقيق، فأصبحت المعاملات إنسانية إلى أقصى قدر ممكن إلى درجة أن العديد من الرقيق لم يطالبوا بالتححرر من الرق نظراً لما يلاقونه من رحمة ومعاملة إنسانية من قبل العمانيين وقد قام العمانيون ببذل الجهود لوقف تجارة الرقيق (85).

وبهذا العرض السابق، يمكن الرد على تلك الافتراءات الكاذبة التي روجها الاستعمار الأوروبي عن قيام العمانيين سواء بتكريس التخلف، أو انتشار الرق، والحقيقة التي لا تقبل الجدل أو الشك، أن الوجود العماني في زنجبار قد جعلها تسير التقدم العصري، في حدود الفترة الزمنية للوجود العماني فيها، كما عمل على إلغاء الرق تدريجياً مما ساعد على ترسيخ مبادئ الدين الإسلامي. واللغة العربية وكثير من العادات والتقاليد في دولة زنجبار الحديثة وهذا ما سوف نتطرق إليه بالفصل التالي.

الفصل الرابع

العلاقات الثقافية والاجتماعية في دولة زنجبار الحديثة

أولاً - العلاقات الثقافية:

- الأثر الديني.
- المذاهب السنية والطرق الصوفية.
- مراكز الدعوة الإسلامية.
- اللغة والآداب.
- اللغة السواحيلية.
- التأثير العربي في الأدب السواحيلي.
- العلماء ودورهم في إثراء الحياة العلمية والثقافية في ساحل شرق إفريقيا.

ثانياً - العلاقات الاجتماعية:

- المسكن.
- الملبس والزينة.
- الطعام والشراب وآدابهما.
- مظاهر الحياة الاجتماعية.

(85) المصدر السابق، ص 261.

الفصل الرابع

العلاقات الثقافية والاجتماعية في دولة زنجبار الحديثة

تمهيد:

أدى استقرار العناصر العربية المهاجرة إلى ساحل شرق إفريقيا منذ فجر الإسلام وحتى قيام دولة زنجبار الحديثة إلى قيامهم بنشر الإسلام والثقافة العربية في رفق ولين، ولم تذكر الوثائق التاريخية حوادث اضطهاد ديني من العرب المسلمين على الأفارقة بسبب العقيدة الدينية، كما لم تشهد هذه المنطقة نتيجة للقيم الاجتماعية والمفاهيم العظيمة التي تحلى بها المسلمون أي مظهر من مظاهر العنف والتسلط نابعا عن قضايا العرق والثقافة كما حاول الاستعمار الأوروبي في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي الإيهام بذلك والمبالغة في تجسيد الفوارق بين الإفريقية والعربية.

لقد بنيت العلاقات الثقافية والاجتماعية بين العرب وبين الإفريقيين الوطنيين في ساحل شرق إفريقيا خلال قرون طويلة على أسس موضوعية وليست وقتية، ونتيجة للتمازج والتعايش بين العرب الوافدين وبين الأفارقة الوطنيين، تولدت تأثيرات ثقافية واجتماعية عربية إسلامية وقفت صرحاً شامخاً من صروح التضامن العربي الإفريقي على ساحل شرق إفريقيا، وهو تضامن بلغ ذروته في عهد السلطان سعيد بن سلطان، في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي.

ونسبة لقرب الساحل الشرقي الإفريقي من جنوب الجزيرة العربية

وحضرموت وعمان والحجاز، فقد أعان نخبة من العلماء الأجلاء سواء أكانوا من العناصر العربية الوافدة أو من العناصر الإفريقية المستعربة المسلمة ممن درسوا في الحجاز ومصر وحضرموت واليمن على ترسيخ العقيدة الإسلامية وتدريس اللغة العربية، وأخذت رقعة الدين الإسلامي في اتساع مستمر بإقبال الأهالي على حفظ القرآن الكريم والإلمام بالشريعة الإسلامية واللغة العربية.

وقد تجلّى التأثير الثقافي العربي في عهد السلطان سعيد بن سلطان في مجالي اللغة والأدب، حيث تأثر الأدب السواحلي تأثراً كبيراً بالأدب العربي، فكان الأدب المكتوب باللغة السواحلية إسلامياً خالصاً حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي حينما عملت الإدارة البريطانية التي آلت إليها مقاليد الأمور في المنطقة على فرض اللغة الإنجليزية والعمل على تقليص المفردات العربية في اللغة السواحلية وتقليص الاستعانة بالعناصر العربية في الإدارة.

ولتأكيد هذا التأثير الثقافي العربي، حاول هذا البحث إجراء دراسة تقابلية بين اللغتين العربية والسواحلية على مستوى التركيب النحوي والمطابق وتحديد حجم المفردات العربية داخلها ومقارنتها باللغات الأخرى، كما خلصت هذه الدراسة - أيضاً - إلى أن الأدب السواحلي استفاد من القصيدة وأساليبها من الأدب العربي.

ولم تتجاهل هذه الدراسة دور التعليم والعلماء في إثراء الحياة الثقافية والعلمية في دولة زنجبار الحديثة وملحقاتها وأوضحت الأثر العلمي الذي قامت به المساجد المنتشرة على طول الساحل في إقامة الحلقات الدراسية لتدريس علوم اللغة العربية والفقه والتفسير، كما تتبعت مراحل التعليم المختلفة وأنواع المدارس واختتمت حديثها عن الأثر الثقافي بتسليط الضوء على الجهود المقدرة التي قام بها لفيف من العلماء الأجلاء في ترسيخ دعائم الحضارة العربية الإسلامية في تلك النواحي.

أما عن العلاقات الاجتماعية في ساحل شرق إفريقيا، فمن الحقائق الثابتة أن العرب المسلمين الوافدين حاولوا العمل على تعزيز علاقاتهم الاجتماعية مع

الوطنيين الأفارقة في إطار متين يستوعب الإرث الحضاري الإفريقي دون هدمه، وبالرغم من اعتناق عدد كبير من أهل الساحل الإفريقي الإسلام، فإن تراثهم الاجتماعي وطقوس ما قبل إسلامهم الممتزجة بالمعتقدات الإفريقية ما زالت تمثل مرتكزاً للواقع الاجتماعي حتى يومنا هذا.

لقد أبرز هذا البحث مدى تأثير سكان ساحل شرق إفريقيا اجتماعياً بالعلاقات الاجتماعية التي أقامتها دولة زنجبار الحديثة في ظل السلطان سعيد ابن سلطان، لا سيما في طريقة المسكن والملبس والمأكل، ومما لا شك فيه، فإن التأثير العربي العماني في هذه المجالات الثلاثة كان واضحاً، وكذلك أوضحت الدراسة اهتمام الوطنيين الأفارقة بتقليد العرب المسلمين باحتفالاتهم الدينية ومناسباتهم الاجتماعية الهامة كالزواج وعملية الختان ولم يفتها ذكر العادات والتقاليد والاعتقادات النابعة عن مظاهر تمازج الإسلام وبعض العادات المحلية، خاصة فيما يتعلق بعادات الولادة والتنشئة الاجتماعية.

وفي هذا الصدد، يعالج هذا الفصل العلاقات الثقافية والاجتماعية في دولة زنجبار الحديثة في عهد السلطان سعيد بن سلطان على النحو التالي:

أولاً - العلاقات الثقافية:

الأثر الديني:

وجدت بواكير الدعوة الإسلامية طريقها منذ القرن السابع الميلادي إلى منطقة ساحل شرق إفريقيا والقرن الإفريقي وقد تغلغلت مؤثرات الحضارة العربية الإسلامية بازدياد الهجرات العربية إلى تلك المناطق، لا سيما من جنوب شبه الجزيرة العربية وتمثلها مجموعات من اليمنيين والحضارمة والعمانيين خاصة أولئك الذين تعرضوا لضغوط سياسية ومعيشية إبان حكم الدولتين الأموية والعباسية.

ويلاحظ أن رقعة انتشار الإسلام والثقافة العربية ظلت في حالة انتشار مستمر وبمجيء القرن العاشر الميلادي وصل هذا التأثير إلى دواخل القارة الإفريقية حتى نهر الزمبيزي، حينما كسر العرب نطاق الغابات الاستوائية

ووصلوا إلى كينيا وتنجانيقا وأوغندا وزامبيا والكنغو⁽¹⁾.

ولقد ترك الإسلام آثاراً ثقافية عميقة في حياة الشعوب الإفريقية التي امتد تأثيره إليها وخلق بينهما رابطة حضارية وتعاون وطمأنينة بعد أن كانت تلك الشعوب تعاني من التنافر والتناحر وعدم الانسجام بين أقاليمها المختلفة في عاداتها ومعتقداتها وسياساتها.

وكان قيام دولة زنجبار الحديثة في عهد السلطان سعيد بن سلطان إيذاناً بتوطيد دعائم الثقافة العربية الإسلامية في تلك البقاع وكذلك في تلاشي كثير من المعتقدات الوثنية التي كانت سائدة في أوساط الوطنيين الأفارقة والمتمثلة في السحر والشعوذة والاعتقاد في الأرواح الشريرة وتقديم القرابين البشرية للآلهة.

ولقد ترتب على انتشار الإسلام خلق مجتمع جديد يدين بمبادئ جديدة هي ناتج امتزاج التقاليد الإسلامية الوافدة والتقاليد الإفريقية المحلية.

والمعروف أن العرب المسلمين قد حرصوا على نشر تعاليم الدين الإسلامي ومبادئه في المناطق التي وصلوا إليها في شرق إفريقيا وكان لذلك أثر مباشر أو غير مباشر في المجتمعات التي عاشوا فيها، فقد لمس الأفارقة في معاملاتهم مع العرب المسلمين ما كان هؤلاء يحرصون عليه من تعاليم الإسلام وما يدعون إليه من الأمانة والصدق والعدل وكان لهذا أثره الواضح في المجتمعات التي حلوا بها والتي تعاملوا معها⁽²⁾.

كذلك حرص المسلمون في الساحل الشرقي لإفريقيا على أداء الفرائض الإسلامية ومنها فريضة الحج وكان الحج وما زال أهم العوامل التي تيسر فرصة الالتقاء بين الأفراد والجماعات وتساعد على التبادل الفكري والثقافي ولقد

(1) شريفة الرشيد: المؤثرات الحضارية الآسيوية في شرق إفريقيا رسالة ماجستير غير منشورة (القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1975 م، ص 136 - 137).

(2) شوقي عطا الله الجمل: دور العرب الحضاري في إفريقيا (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت)، ص 153.

حرص أهالي زنجبار وغيرهم من الجماعات الإسلامية في الساحل الشرقي الإفريقي على أداء تلك الفريضة رغم ما كانوا يتكبدونه من مشاق لطول الطريق ووعورته وكانت هناك طرق معروفة تطرقها القوافل إلى الأراضي الحجازية⁽³⁾.

ولقد كانت رحلة الحج ذات أثر بالغ في نفوس المسلمين الأفارقة وكانت فرصة نادرة للالتقاء مع أخوتهم الحجاج المسلمين الواقدين من الأقطار المختلفة، مما يؤكد روح الأخوة الإسلامية التي يوجيها الإسلام⁽⁴⁾.

وقد قال «ترمجهام» أن شعوراً بأن الإسلام ديانة الأفارقة جميعاً، كان يمتلك المسافرين من الأفارقة في رحلة الحج⁽⁵⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن التأثير الديني في حياة سكان دولة زنجبار الحديثة وملحقاتها كان واضح المعالم حتى أنه امتد إلى تراثهم الشعبي وأدبهم السواحلي وأصبحت الأشعار والقصص المتداولة إحدى الوسائل التي تحت عامة المسلمين على التمسك بالواجبات الأساسية لعقيدتهم الإسلامية⁽⁶⁾ مثل الوضوء والصلاة وبعض أحكام الفقه مع إيضاح الأمثلة على قدرة الله وعرض قصص الأنبياء والحياة في المستقبل وهناك أمثلة شعبية نابعة من التراث العربي الإسلامي⁽⁷⁾ تأثر بها السواحليون وهي أمثلة تحذر من الإفطار في رمضان وترك الصلاة وإهمال الزوجة لواجباتها الدينية والاجتماعية⁽⁸⁾.

كما تغيرت المفاهيم الوثنية التي كانت سائدة في المجتمعات الإفريقية في زنجبار ومناطق الساحل الشرقي الإفريقي الأخرى فبدلاً من الوثني الإفريقي كان

(3) عبد الرحمن عبد الله بن عوان السعدي: تاريخ السودان، طبعة (هوداس: 1898 م)، ص 16.

(4) المرجع نفسه، ص 17.

(5) سينسر ترمجهام: الإسلام في شرق إفريقيا ترجمة وتعليق عاطف النواوي. مراجعة فؤاد محمد شبل (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1973 م)، ص 301.

(6) المرجع السابق، ص 302.

(7) الصفحة نفسها.

(8) المرجع نفسه، ص 303.

يقدم القرابين ويستخدم ضروباً من السحر والشعوذة في معتقداته الدينية أصبح الإفريقي المسلم متمسكاً بروح العقيدة الإسلامية تقريباً لخالقه وخشية من عذاب القبر والآخرة⁽⁹⁾.

والجدير بالذكر أن عهد السلطان سعيد بن سلطان في زنجبار ومناطق ساحل شرق إفريقيا الأخرى قد شهدت ازدهاراً وانتشار الإسلام في تلك البقاع بصورة جماعية.

ولقد لعب علماء المذاهب السنية وشيوخ الطرق الصوفية دوراً بارزاً في نشر الإسلام في هذه المناطق حيث كان لجهودهم الفردية والجماعية والالتفاف المريدين حولهم أثر كبير لنقل الاتجاهات المذهبية إلى المجتمعات الإفريقية التي احتكوا بها.

ولذا يلاحظ أنه نتيجة لهذه الجهود المكثفة التي ساعدت على انتشار الإسلام بدرجة كبيرة بين الوطنيين الأفارقة أن المذاهب السنية والطرق الصوفية قد حظيت برعاية السلطان سعيد بن سلطان ومساعدته لها في إنجاز مهامها.

المذاهب السنية والطرق الصوفية:

لقد شهدت زنجبار والمناطق الأخرى التي وقعت تحت نفوذها انتشاراً كبيراً لمذاهب أهل السنة. ومن أكبر هذه المذاهب انتشاراً المذهب الشافعي الذي عمل على نشره الحضارة بصورة جادة⁽¹⁰⁾.

ويلاحظ أن المذهب الشافعي كان أكثر انتشاراً من المذهب الحنبلي الذي كان يدعمه الوهابيون وكذلك من المذهب الحنفي الذي يتبعه الهنود المسلمون الذين انتشروا في زنجبار وساحل شرق إفريقيا، كما أن المذهب الإباضي وهو مذهب السلطان سعيد بن سلطان نفسه ومذهب العمانيين بصورة عامة لم يحظ بما حظي به المذهب الشافعي من انتشار⁽¹¹⁾ غير أن دولة زنجبار الحديثة قد

(9) المرجع السابق، ص 148 - 153.

(10) محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 54.

(11) سبشر ترمينجهام: المرجع السابق، ص 153.

حرصت على تعيين القضاة من مؤيدي المذهب الإباضي أو الشافعي دون تمييز.

ولقد أبدى السلطان سعيد بن سلطان تسامحاً كبيراً في شرق إفريقيا ويقول بيرتون: «إنه سمح للشيعة بأن يقيموا [منبراً إمامياً] حيث ينتحبون فيه على موت شهدائهم»⁽¹²⁾.

كما يرتبط بالآثار الدينية للعرب في إفريقيا انتشار الطرق الصوفية وعلى الأخص القادرية والتيجانية والشاذلية وقد زاد عدد أتباع هذه الطرق، لا سيما بين المشتغلين بالتجارة بين العلماء والفقهاء وقد لعب أتباع هذه الطرق دوراً دينياً وسياسياً هاماً كان له كبير الأثر في تاريخ وحضارة هذه البلاد ونهضتها.

ويلاحظ أن كثيراً من التجار والمعلمين والدعاة كانوا من أتباع الطرق الصوفية وقاموا بالاختلاط مع الوطنيين الأفارقة وتصاهروا معهم وأبدوا تسامحاً مع معتنقي المسيحية والمعتقدات الوثنية الأخرى وقد انتهجوا وسائل ساعدتهم على نشر الإسلام بصورة سلمية، ومن ذلك تأسيسهم للمساجد وفتح المدارس التي يتردد عليها أبناء المسلمين وغيرهم.

وبالإضافة إلى ذلك قاموا بشراء الرقيق وعققتهم⁽¹³⁾ لوجه الله وإعادتهم إلى أوطانهم ليعملوا مع أخوانهم في نشر الدين الحنيف وإشاعة الإخاء والعدالة والمساواة بين مواطنيهم ونبذ التفرقة العنصرية والدعوة إلى المثل العليا وهداية الناس لما فيه صالح الدنيا والآخرة.

مراكز الدعوة الإسلامية:

إن مراكز الدعوة الإسلامية التي كان يتخذها الدعاة أماكن تنبعث منها الدعوة إلى الإسلام هي: المسجد - الزاوية - الرباط.

أ - المسجد: كان يتخذ الدعاة مكاناً للوعظ والإرشاد ومتدى للاستفسار عن كثير من المسائل الدينية وإيضاحها على أيدي هؤلاء الدعاة وقبل

(12) المرجع السابق، ص 153.

(13) المرجع نفسه، ص 37.

هذا وذلك فإن المسجد مكان العبادة وإقامة الشعائر التي كان يتعلمها الناس عامة على أيدي الدعاة والمعلمين، ومن أهم المساجد العتيقة في جنوب جزيرة زنجبار، مسجد كيزيمكازي ويقال إنه شيد في القرن الثاني عشر الميلادي⁽¹⁴⁾. أما في عهد السلطان سعيد بن سلطان، فقد كثر بناء المساجد المرتفعة المآذن⁽¹⁵⁾ كما خصص للنساء مسجداً بجزيرة زنجبار، «أما في المدن الشيرازية القديمة مثل سيو فيسمح للنساء بالعبادة يحجبهن عن الرجال ستار يقسم المسجد في آخره أو وسطه»⁽¹⁶⁾.

وكان البناء قليل الزينة كما كان بعضها يدخل تحت إدارة الأوقاف، ومرتببات أمتها وإصلاحاتها ونفقاتها تدفع من حساب الوقف أما غالبية المساجد الصغرى فكانت تقع على عاتق الحي أو المقاطعة وكان العاملون بالمسجد ولا يزيد عددهم على اثنين «الإمام» وهو المسؤول عن الواجبات الدينية و«المؤذن» الذي عليه - إلى جانب الأذان - أن يقوم بكس المسجد وإبقائه في حالة حسنة وملء الأواني بالماء وقد كان بعض العمال يلحقون بالمساجد الكبرى للقيام بتلك الواجبات تحت إشراف المؤذن وموظفو المساجد العادية هم موظفون شرفيون ولكن الطلب للالتحاق لتلك الوظائف كان مرغوباً باعتبارها أنها تحظى بمكانة أدبية مرموقة.

ب - الزاوية: وتعد الزاوية مكاناً للتعبد وحلقات الدراسة في العلوم الدينية وما يتصل بالمعرفة والعلوم العقلية والعقلية، فضلاً عن أنها مقر لإحدى الطرق الصوفية كالقادرية والشيخانية والشاذلية لممارسة شعائرها⁽¹⁷⁾.

ج - الرباط: لا يقل أهمية عن المسجد في كونه مكاناً تشع منه الدعوة إلى الإسلام ويمتاز الرباط بطابعه الحربي إضافة إلى وظائفه الدينية من

(14) عبد الرحمن زكي: المرجع السابق، ص 128. وكذلك محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 115.

(15) محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 38.

(16) سبنسر ترمنجهام: المرجع السابق، ص 38.

(17) المرجع نفسه، ص 158.

العبادة وتلاوة القرآن والتفقه في الدين⁽¹⁸⁾.

والمعروف أن دولة زنجبار الحديثة قد اهتمت بإقامة الربط في المناطق الحدودية المتاخمة لأراضي القبائل الإفريقية المناوئة خاصة على الساحل الكيني حيث توجد قبيلة الماساي وغيرها.

ـ الاحتفال بشهر رمضان: يشكل الاحتفال بشهر رمضان صورة عميقة لدى التأثير الإسلامي العماني في زنجبار، إذ يأخذ الاحتفال بشهر رمضان طابعاً إسلامياً من حيث انتظار رؤية الهلال، وتمتلىء المساجد بالمصلين، حيث تقام الحلقات الدراسية لتلاوة وشرح آيات القرآن الكريم ثم تؤدي صلاة التراويح، وبعد ذلك تبدأ الزيارات الأسرية، ومن العادات المكتسبة أن يتجمع أهل الحي الواحد أو كل عدة أسر في مكان مخصص لتناول الإفطار، ويكثر الزنجباريون من تناول شراب «المدافا» المصنوع من جوز الهند في شهر رمضان⁽¹⁹⁾.

ـ الاحتفالات الدينية الخاصة: يطلق الزنجباريون كلمة «البرزنجي» على المناسبة الدينية التي يقيمونها كل يوم خميس من ليلة الجمعة، حيث تجتمع الجدة أو أحد أفراد الأسرة من كبار السن مع الأطفال ويبدأون بقراءة القرآن الكريم، التي تتخللها المدائح والأناشيد الدينية في مدح الرسول (ﷺ)، ويتولى الإنشاد أكبر الأطفال سناً، ويردد بقية الأطفال ما يقوله المنشد وتقوم الجدة بالتصحيح في حالة الخطأ والإشراف والمتابعة.

والهدف من البرزنجي هو تعليم الأطفال التعاليم الإسلامية وكذلك غرس حب الرسول في قلوبهم وتعويدهم على قراءة القرآن الكريم⁽²⁰⁾.

والمعروف أن التأثير العربي الإسلامي قد هذب عادات المجتمعات الإفريقية وتقاليدهم الدينية في ساحل شرق إفريقيا وكانت عدة معتقدات دينية وثنية سائدة في تلك البقاع قبل قيام الدولة التي أسسها السلطان سعيد بن سلطان

(18) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص 38.

(19) المرجع نفسه، ص 37.

(20) حمادة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 170.

في زنجبار وعلى سبيل المثال لا الحصر، كان الزنجباريون يعتقدون بالجن والأرواح الشريرة التي تسكن أجساد البشر وتسبب الأمراض ويستخدمون علاجاً لها وذلك لحمايتهم وبالرغم من أن الإسلام قد حارب البدع والشعوذة، فإن كثيراً من المعتقدات الإفريقية البالية ظلت تمارس في الأوساط الشعبية ومن ذلك:

الحرز: وهو تعليق تيمية(*) للأطفال الصغار أو تلطيف وجهه وملابسه بالفحم لتفادي نظرة الحاسد له.

الزار: ويقام الزار بحفل خاص بالرجال أو النساء ويستخدم فيه البخور ويغنون به على دقات الدفوف أغاني غير مفهومة وأكثرها طلاس وأسماء سحرية باعتقادهم بأن ذلك سيطرده الأرواح الشريرة من جسد المريض.

ويمجيء الإسلام وانتشاره في زنجبار وساحل شرق إفريقيا يلاحظ أن المؤثرات العربية الإسلامية امتزجت بمؤثرات إفريقية ولجأ بعض المسلمين إلى الاستعانة بالقرآن الكريم في معالجة أمراضهم حتى النفسية وعادة ما تتلى الآيات القرآنية الكريمة مثل: «آية الكرسي والمعوذتين» على رأس المريض، وذلك طلباً للشفاء أو كتابة بعض من الآيات القرآنية الكريمة على أبواب المساكن، حماية من الحسد من الشرور⁽²¹⁾.

ويتضح من العرض السابق أن الوجود العماني وما خلفه من تأثيرات قوية سواء في بعض العادات والتقاليد الاجتماعية أو في الدين واللغة والتعليم، قد ظهرت آثاره الواضحة على الحياة الاجتماعية والثقافية في زنجبار خاصة في الجوانب التي يشكل الدين فيها العنصر الأساسي.

وخلاصة القول إن للوجود العماني أثراً كبيراً لا يمكن إنكاره سواء كان هذا التأثير ثقافياً مادياً أو غير مادي.

(21) حمادة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 175.

(*) التيمية: خرزة أو كتابة لبعض من الطلاس وذلك لطرد الأرواح الشريرة وأيضاً للحسد هذا قبل الإسلام أما بعد انتشار الإسلام فهو كتابة لبعض الآيات القرآنية وتغليف بقطعة من الجلد ويعلق على صدر الطفل.

ويتجلى هذا التأثير العربي الإسلامي بشكل خاص في ازدهار اللغة والأدب السواحيلي وعلى النحو التالي.

اللغة والأدب:

تأثير اللغة العربية في اللغات الإفريقية وظهور اللغة السواحيلية:

نتج عن امتزاج العرب بالإفريقيين ظهور ثقافة مميزة المعالم أخذت من كل الشعبين بنصيب، وصهرت العنصرين، واستقرت السواحيلية لغة قائمة بذاتها مزيجاً من الذي أتى به العرب والذي كان ملكاً خالصاً للإفريقيين⁽²²⁾.

ومن الملاحظ، أن معظم القبائل الإفريقية كانت لها لغات ولهجات لا تكتب بل يتم عن طريقها التخاطب والتفاهم فيما بينهم فقط⁽²³⁾.

اللغة السواحيلية:

انتشرت اللغة السواحيلية انتشاراً عظيماً بفضل الاستقرار الذي حدث في عهد السلطان سعيد بن سلطان، وعم استعمالها جميع الطبقات، وأصبحت اللغة القومية الرسمية على طول الساحل الشرقي للقارة الإفريقية، كما غدت لغة التجارة في المخاطبات بين القبائل في كل أرجاء إفريقية الشرقية وتعتبر السواحيلية (أو كي سواحيلي) من لغات البانتو (بفتح الباء وسكون النون) وتشمل على مفردات ضخمة من اللغة العربية التي تمثل ثلث مفرداتها. كما دخلتها مفردات فارسية وأجنبية من البرتغالية والإنجليزية وتعد السواحيلية من أهم اللغات الأكثر تداولاً⁽²⁴⁾.

والسواحيلية لغة لطيفة تطرب السامع، وقد جاءت حركاتها من اللغة العربية وبها عدة لهجات وأوسع لهجاتها انتشاراً في منطقة منبسة وجزيرة لامو.

واللغة السواحيلية امتزجت بها ألفاظ وتعبيرات عربية وفارسية وهندية

(22) جمال زكريا قاسم: استقرار العرب في شرق إفريقيا، ص 260.

(23) شريفة أحمد الرشيد: المرجع السابق، ص 162.

(24) المرجع السابق، ص 339.

وبرتغالية وغيرها، ولكنه من الملاحظ أن اللهجة السواحلية المنتشرة في جزيرة زنجبار مقر الدولة قد استعربت بدرجة كبيرة حتى أن الناطقين بها كانت لهجتهم عربية صرفة⁽²⁵⁾.

أما بالنسبة لآداب اللغة السواحلية فهي أوفر مادة حيث إنها نهلت من معين اللغة العربية الفصحى والدارجة ودخلتها حكايات وأقاصيص وأشعار عربية مختلفة، وقد انتشرت السواحلية وأصبحت لغة المعاملات التجارية والمالية على طول ساحل شرق إفريقيا، كما انتشرت في منطقة البحيرات الاستوائية ودواخل القارة الإفريقية مثل كينيا وأوغندا ورواندا وبروندي ونيسالاند ومنطقة حوض الكونغو وغيرها⁽²⁶⁾.

ولقد انتشرت اللغة العربية كظاهرة في إفريقيا جنوباً إلى جنب مع انتشار العقيدة الإسلامية ذاتها وتطلبت هذه العقيدة معرفة بأصول اللغة العربية لأداء فروضها، وفهم أصول الإسلام من خلالها⁽²⁷⁾، ولعل من أهم نتائج التواصل العربي - الإفريقي نشأة اللغة السواحلية منذ عدة قرون، حيث واصلت انتشارها بظهور دولة الزنج في القرن العاشر الميلادي وتوطدت في أرجاء ساحل شرق إفريقيا بمجيء القرن الثاني عشر الميلادي⁽²⁸⁾.

وإن كلمة «سواحلي» مشتقة من الكلمة العربية (الساحل) وقد اشتهرت أيام السلطان سعيد بن سلطان بأنها (لغة المليون) بمعنى أن الذين يتحدثون بها يزيدون عن مليون نسمة في ساحل شرق إفريقيا أي من الساحل الجنوبي للصومال حتى موزمبيق⁽²⁹⁾.

(25) Seoudy M.A.: The Impacts of - Contacts Between East Africa and Arabia, Instit of African Studies and Researches, (Cairo: University of Cairo), P. 9.

(26) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص 339.

(27) علي شلش: الأدب الإفريقي (الكويت: عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1993 م، ص 44).

(28) محمود محمد الحويدي: المرجع السابق، ص 45.

(29) Seoudy M.A.: Op. Cit, P. 9.

وتتضمن اللغة السواحلية أكثر من خمس عشرة لهجة وأهمها:

- 1 - كي أنجوجا (Ki - Ungoga) وهي لهجة أهل زنجبار، وتعتبر اللغة الأم أو السواحلية العظمى، حيث أصبحت لغة التخاطب الأولى في شرق إفريقيا.
- 2 - كي مفيتا (Ki - Mufita) وهي لهجة أهل منبسة وغير مكتوبة.
- 3 - كي أمو (Ki - Amo) وهي لهجة أهل كينيا وقد كتبت بها الشعر.
- 4 - كي هاديمو (Ki - Hadimau) وهي لهجة أهل الريف في زنجبار.
- 5 - كي نجوانا (Ki - Ngwana) وهي اللهجة المستعملة في الكونغو⁽³⁰⁾.

ويرى روش (Rusch) أن حوالي 50% من اللغة السواحلية هي في الأصل، كلمات ومفردات عربية⁽³¹⁾ غير أن اللغة العربية أصبحت تمثل الآن - نتيجة لخضوع المنطقة للاستعمار الأوروبي ومعارساته حوالي ثلث مفردات اللغة السواحلية، خاصة تلك المفردات المستخدمة في الشؤون التجارية.

واللغة السواحلية كانت منذ بدايتها ترتبط باللغة العربية والدين الإسلامي ويرجع تاريخ أقدم المخطوطات المكتوبة بالحروف العربية إلى عام 1724 م، ويرى البعض أن 20% من اللغة الشفوية السواحلية هي عربية، وأن 30% منها مكتوبة بأوزان الشعر العربي⁽³²⁾.

ويرى سيودي (Seudy) أن هناك (3006) كلمة في اللغة السواحلية من أصل لغة البانتو، أما بقية كلماتها، فجاءت من مصادر أجنبية وتوزعها كما يبين الجدول الآتي⁽³³⁾:

(30) فاروق عبد الجواد شويقة: دراسات إفريقية، دار النهضة (القاهرة: 1983 م)، ص 136.

(31) Reusch: History of the East Africa, (London: 1954), P. 216.

(32) حمامة خلفان الغيث: المصدر السابق، ص 152.

(33) Seoudy M.A.: Op. Cit, PP. 8 - 9.

الأصل	العدد	النسبة المئوية
العربية	2534	%80.5
الفارسية	160	%2.3
الهندية	105	%3.4
التركية	14	%0.46
البرتغالية	59	%1.9
الإنجليزية	132	%4.4
الألمانية	3	%0.09

ويتضح من الجدول أن 81% تقريباً من المفردات غير البانتوية هي عربية، ومما تقدم يتبين أن السواحيلية ليست لغة بانتوية خالصة وهي تحتوي على هذا الكم من الكلمات المستعارة من اللغة العربية.

ويشير د. ناهرت إلى أن الأدب السواحيلي هو أكثر تأثراً بالأدب العربي من الأدب الإفريقي في مادته وروحه، وفي كتابه (الأساطير في السواحيلي) نجد أن معظم الأفكار والقصص عربية مثل قصص الأنبياء، وكذلك تحتوي على قصص الفكاكة والحكمة بالإضافة إلى قصص أبي نواس والمتنبي، والسندباد وألف ليلة وليلة⁽³⁴⁾.

ولقد تأثرت اللغة السواحيلية باللغة العربية في مجال الضمائر أكثر من غيرها في المجالات الأخرى، حيث نجد أن اللغة السواحيلية تتميز بالضمائر المتصلة والمنفصلة، مثل اللغة العربية⁽³⁵⁾.

ويمكن بيان ذلك كما يلي⁽³⁶⁾:

(34)

Seady, M.A.: Op. Cit, P. 9.

(35) راجية محمد عفت: الثقافة العربية في شرق إفريقيا رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية (جامعة القاهرة، 1980 م)، ص 114.

(36) المرجع نفسه، ص 115.

ضمائر النصب المتصلة	ضمائر الرفع المتصلة
Ni	N Ni
Ku	W أو U
Mu	Tw Tu
Tu	Mu Mu
Wa	Wa

واللغة السواحيلية تشبه اللغة العربية في تقسيم الضمائر إلى حالة المتكلم والمخاطب والغائب ما عدا ضمائر المثني.

المتكلم	أنا	M:M	نحن	Sisi
المخاطب	أنت	Newe	أنتم، أنتن	Minyi
الغائب	هو، هي	Yeye	هم، هن	Wao

وكذلك ضمائر الملكية تشبه إلى حد كبير ضمائر الملكية في اللغة العربية مثل⁽³⁷⁾:

لي	Agu
لك، لك	Ko
له، لها	Kc
لنا	Itu
لكن، لكم	Imu
لهن، لهم	O

أما بالنسبة للضمائر الموصولة، فهناك ضمير للمؤنث وضمير للمذكر «Ye» للمذكر، وأما «Ennye» للمؤنث.

(37) المرجع السابق، ص 117.

ولم تتأثر اللغة السواحيلية في أسلوب النفي، ولكنها أكثر تأثراً في ذلك بلغة الباتو.

بالإضافة إلى ذلك، تشابه اللغة السواحيلية مع اللغة العربية في تقسيم الفعل إلى مضارع وماضي ومستقبل ومثال على ذلك⁽³⁸⁾:

أحب	مضارع	Na	Nina Penda
أحييت	ماضي	Li	Nila Penda
سأحب	مستقبل	Ta	Nita Penda

التأثير العربي في الأدب السواحيلي:

وجد السواحيليون إلهامهم في التراث الأدبي العربي الذي ازدهر في ظل حكم السلطان سعيد بن سلطان، ولم يتوقف هذا عند الكتاب والشعراء الذين ينظمون الشعر باللغة العربية الفصحى بل جاوزوه إلى اللغة السواحيلية، والتي لها أدب محفوظ في مخطوطات بات ومنبسة، وإن كان حجم الأدب المكتوب محدوداً⁽³⁹⁾.

ولقد تأثرت اللغة السواحيلية بالنثر في اللغة العربية حيث يحتوي النثر السواحيلي على مجموعة من الحكم والأمثال والأحاجي والألغاز، كما يحتوي على الخطب التي تلقى في المناسبات الدينية، وبعض المقالات ذات الطابع الإرشادي كالوصايا والقصص.

وقد ترجمت المؤلفات العربية في الشعر والأدب إلى السواحيلية مع نزوح العمانيين وأهل حضرموت إلى ساحل شرق إفريقيا⁽⁴⁰⁾.

(38) المرجع السابق، ص 117.

(39) المرجع نفسه، ص 226 - 227.

(40) حمادة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 157.

وبما أن الشعر ينبع من أحاسيس المجتمع ويعكس ثقافته فلا بد من أن يكون الشعر والأدب السواحيلي متأثراً بالثقافة الإسلامية العربية في مجتمع طابعه الغالب إسلامي عربي. وإذا ما أخذنا في الاعتبار أن العمانيين كانوا بالنسبة للسواحيليين يمثلون طبقة الصفوة فلا غرابة أن يتشبه السواحيليون بهم في كل شيء حتى في طريقة نظم الشعر وتنوع موضوعاته⁽⁴¹⁾.

ولعل من أهم الخصائص التي اكتسبها الشعر السواحيلي من الثقافة العربية ما يلي⁽⁴²⁾:

- 1 - إن أي عمل أدبي، سواء كان نثراً أم شعراً، فإنه يبدأ «بالبسملة» وتكون مقدمة القصيدة عبارة عن ديباجة من الابتهالات الدينية والدعاء، ثم يلي ذلك مدح الرسول وذكر مآثر الصحابة، ثم يبدأ الموضوع وعادة بالإشارة إلى الأصل العربي الذي اقتبس منه القصيدة. فمثلاً نجد الكاتب في قصيدة (Shufeka) يشير إلى أنه استلهم مادة القصيدة من الكتب العربية.
 - 2 - لقد درج الشاعر على بناء قصيدته بناءً تقليدياً إذ جمع بين عدة أغراض - منها الوصف والمدح والحكمة.
 - 3 - التزام الشاعر بوحدة الوزن والقافية بالرغم من طول القصيدة.
 - 4 - اعتمد الشاعر على أن يكون لكللماته جرس صوتي تحسه الأذان كالشعر العربي تماماً.
 - 5 - وزن البيت من القصيدة وتقسيمه إلى مجموعات صوتية يكون بمقدار المقاطع لا التفاعيل.
 - 6 - يتضح الأثر العربي في بعض الكلمات، مثل كلمات قصيدة (Kasida) وبيت (Biete) ومخمس (Mahamasi).
- لقد عمل الاستعمار الأوروبي على إزالة التأثير العربي في اللغة السواحيلية، ومن ذلك أنه استبدل الحرف العربي بالحرف اللاتيني حتى ياعد

(41) راجية محمد عفت: المرجع السابق، ص 236 - 240.

(42) المرجع نفسه، ص 240.

بينهما وبين جذورها العربية، كما جعل بعض الكتاب الأفارقة يتجاهلون الكلمات ذات الأصول العربية في اللغة والأدب السواحلي ويستبدلونها بأخرى من أصل إنجليزي ويأتي ذلك ضمن محاولتهم لتقليل الأثر العربي في الثقافة السواحلية⁽⁴³⁾.

إلا أن تلك المحاولات قد باءت بالفشل، وذلك لعدة اعتبارات منها:

1 - كانت اللغة العربية هي لغة الأسرة الحاكمة، وطبقة رجال الدين، ولغة المثقفين، لهذا فقد أصبحت اللغة الثابتة في زنجبار بعد اللغة السواحلية، مما حدا بالكثير من أفراد الشعب إلى تعلمها⁽⁴⁴⁾.

2 - يرى البعض أن استخدام الحروف العربية في كتابة اللغة السواحلية جعلها أكثر استقراراً، وذلك لأن الكلمات السواحلية المشتقة من مفردات اللغة العربية ما زالت باقية، بينما الجزء المتبقي من اللغة البانتوية قد اندثر في إطار اللغة العربية⁽⁴⁵⁾.

3 - وجود قصور لغوي في استخدام الحروف اللاتينية، حيث إن اللغة اللاتينية تفتقد بعض الحروف مثل: (ح - ط - ع - غ - ض) الموجودة في اللغتين السواحلية والعربية، مما يجعل من اليسير والأفضل كتابتها باللغة العربية⁽⁴⁶⁾.

وبالإضافة إلى كل هذا يلاحظ أن نظام التعليم في دولة السلطان سعيد بن سلطان وملحقاتها الإفريقية كان متأثراً في خطواته بالنظام التعليمي الإسلامي السائد في منطقة الخليج العربي واليمن والحجاز كما سيرد ذكره.

(43) يوسف فضل حسن: الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1984 م)، ص 34.

(44) صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص 14.

(45) Stigand G.H.: The Land of the Zinj, N.Y.: 1913, P. 120.

(46) محمد عبد المطلب هاشم: اللغة السواحلية، محاضرة غير منشورة، (أقيمت بدبي، الإمارات العربية، 1985/12/19 م).

التعليم:

ساعد الازدهار والرخاء التجاري على قيام نهضة علمية وثقافية شامخة في الساحل الشرقي الإفريقي في عهد السلطان سعيد بن سلطان، فقد كثرت الخلاوي، وأصبحت متشرة عبر الساحل وزادت حلقات الدرس والتي كان يقوم بالتدريس فيها علماء نبغوا في علوم اللغة العربية والفقه والتفسير حيث جذبت شهرتهم العلمية طلاباً من أنحاء متفرقة من الساحل⁽⁴⁷⁾.

ولم يقتصر تعلم العلوم الدينية على الرجال، وإنما امتد ليشمل النساء أيضاً، فقد نلن حفظهن من القرآن الكريم والعلوم الدينية واللغة العربية.

وكانت حلقات الدراسة تعقد في المساجد وفي بيوت الفقهاء حيث يأتي الطلاب إليها في حماس شديد⁽⁴⁸⁾.

ويبدأ نظام التعليم بمرحلة الكتاتيب، ثم مرحلة دراسة العلوم العقلية والنقلية، وقد اهتم السلاطين والفقهاء والعلماء بأن يحل الدين الإسلامي وثقافته محل الوثنية وعاداتها ونجحوا في ذلك نجاحاً كبيراً، ولم يكن اهتمامهم منصباً على تعريب السكان لغوياً، بقدر ما كان اهتمامهم بنشر الإسلام وثقافته بين الناس⁽⁴⁹⁾.

وقام المسلمون بتشديد مدارس القرآن الكريم المعروفة باسم (الدوكسي) (*) Dugsi⁽⁵⁰⁾ في كل مكان به تجمع إسلامي واهتم المسلمون بها، وأرسلوا إليها أولادهم لتلقي العلم.

ويبدأ المعلم بتهجئة الحروف العربية ويردد المتعلم وراءه الحروف حتى

(47) سيد أحمد العراقي: معالم الحضارة في ساحل شرق إفريقيا مجلة دراسات إفريقية، 2، (أبريل 1986 م)، ص 30.

(48) المرجع السابق، ص 31.

(49) المرجع نفسه، ص 33.

(50) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج 3 (القاهرة: دار المعارف، 1962 م)، ص 50.

(*) الدوكسي: معناها الخلاوي أو الكتاتيب.

Loox	اللوح
Glim	القلم
Dawaad	الدواة

وكان طالب الكتاب بعد أن يتم حفظ القرآن ينتقل إلى دراسة العلوم النقلة وعندئذ يكون طالب العلم غير مقيد بشيخ معين وله حرية اختيار معلمه أو التنقل من شيخ لآخر ومن حلقة لأخرى.

وكان التدريس يتم في المساجد أو البيوت، وينتقل الشيوخ من مكان لآخر حيث يتلقون طلابهم⁽⁵¹⁾.

وكان الشيخ عادةً يقرأ النص العربي، ويفسره باللغة المحلية، والطريقة المتبعة لدراسة العلوم هي أن يبدأ الطالب بالمختصرات ويتدرج حتى يصل إلى المستوى المقصود، ويدخل حينئذ في سلك العلماء ويقتني أثرهم فيدرس كما كانوا يدرسون⁽⁵²⁾.

وازدهرت الحركة العلمية في عهد السلطان سعيد بن سلطان في مدن زيلع وهرر وأوقات وبربرة ومقديشو وبراة وكلوة وأصبحت مدناً ومراكز علمية مشهورة في أرجاء ساحل شرق إفريقيا فقد إليها طلاب العلم والمعرفة لينهلوا من علمائها الأجلاء⁽⁵³⁾.

ويمنح الطلبة بعد أن يتموا استكمال دراستهم ترخيصاً وإجازة علمية تؤهلهم لتدريس الآخرين، ولم يكن هناك مجالات للتخصص في علم معين بل

(51) المرجع السابق، ص 237.

(52) عبد القادر شيخ عبد الله: تاريخ التعليم في الصومال (مقديشو: 1978 م)، ص 21 - 22.

(53) سيد أحمد العراقي: المرجع السابق، ص 32.

كانوا يتعلمون جميع العلوم الإسلامية وآدابها⁽⁵⁴⁾.

وبرز في كلوة ومنبسة عدد كبير من العلماء منهم الشيخ سميط، والقاضي علي حميد قاضي قضاة كلوة وحسن الشيرازي من علماء الحديث بكلوة⁽⁵⁵⁾.

كما برز الشيخ علي ابن إبراهيم نور الدين المفتي الذي قرأ الفقه والفرائض والحساب، وآدم الجبرتي وهو من علماء اللغة العربية البارزين⁽⁵⁶⁾.

لقد أعطى المجتمع الإسلامي العلم والعلماء منزلة عالية كما اندفع الطلاب إلى الفقهاء والعلماء للتزود منهم وبذل العلماء مجهودات هائلة لأداء رسالتهم العلمية، وتنوعت الحياة الثقافية وركز السلطان سعيد بن سلطان على الالتزام بخلق مجتمع إسلامي صحيح ونتيجة لاهتمام العمانيين بالتعليم في زنجبار فقد ظهر التعليم النظامي مبكراً، إذ بدأ هذا التعليم بمدارس لتحفيظ القرآن الكريم، تولى فيها التدريس القضاة وعلماء الدين، وكانت مدة الدراسة تتراوح من سنة إلى ثلاث سنوات ونظراً للإقبال المتزايد على التعليم، تم افتتاح ثلاث مدارس في جزيرة زنجبار تقوم بتدريس القرآن الكريم وعلومه عام (1820 م) وبدأت بأولاد العمانيين أولاً ثم تبعها بقية أبناء الزنجبارين وخلال ثلاث سنوات أي في عام 1823 م وصلت تلك المدارس إلى حوالي خمس عشرة مدرسة⁽⁵⁷⁾.

والجدير بالذكر أن عبء ازدهار الحياة الثقافية والتعليمية وقع على عاتق علماء عرب ومسلمين أجلاء ساهموا في النهضة الحضارية التي شهدتها المنطقة في ظل السلطان سعيد بن سلطان وخلفائه.

(54) المرجع السابق، ص 33.

(55) أحمد محمد كافي: «العلاقات العربية الإفريقية، بعض المفاهيم والاعتبارات النظرية»، مجلة الدراسات العربية الإفريقية، جامعة الخرطوم، (1991 م)، ص 25.

(56) السخاوي: الضوء اللمع لأهل القرن التاسع، (القاهرة: 1353 هجرية) ج 1، ص 232، ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق أحمد

نجاتي، (القاهرة: 1956 م)، ص 227.

(57) رأفت غنيمي: المرجع السابق، ص 194.

وبالرغم من أن معظم العلماء الذين كان لهم الدور البارز في هذه النهضة الثقافية قد عاشوا بعد الفترة المؤرخ بها فإن نبوغهم يحسب تنويجاً للبيئة الثقافية التي وضع أسسها مؤسس دولة زنجبار الحديثة السلطان سعيد بن سلطان.

العلماء ودورهم في إثراء الحياة العلمية والثقافية في ساحل شرق إفريقيا:

نتج عن اختلاط العرب القادمين من جنوب الجزيرة العربية بالسكان المحليين اندماج الحضارة العربية الإسلامية بالحضارة الإفريقية، واشتهر أبناء الأسر العربية في مجال القضاء والتعليم والثقافة واشتهر بينهم كثير من العلماء الذين نبغوا في عهد السلطان سعيد بن سلطان وخلفائه والذين أسهموا بقسط وافر في بث الحضارة الإسلامية في الساحل الشرقي لإفريقيا ومن أشهر هؤلاء العلماء الشيخ أحمد بن سميطة، والشيخ علي بن عبد الله المزروعى، والشيخ عبد الله بن محمد باكثير، والشيخ عبد الرحمن ابن أحمد الأول شيخ إسلام في منبنة⁽⁵⁸⁾.

والشيخ أحمد بن سميطة من العلماء الحضارمة درس العلوم الدينية على يد العالم العراقي السيد حسين بن علي المرعشي وتدرج حتى وصل لمنصب قاضي، وكان يسافر إلى حضرموت من وقت لآخر لتلقي العلم على يد أشراف الحضارمة وسافر أيضاً إلى اسطنبول وأخذ العلم على يد السيد فضل باشا بن علوي ابن سهل أحد مشاهير علماء الإسلام من الحضارمة، ثم التحق بالأزهر لفترة قصيرة، ثم سافر إلى مكة ثم إلى زنجبار وقضى بقية حياته يعمل في القضاء وتدرّس العلوم الدينية، ضم مجلسه طلاباً من مختلف أنحاء الساحل⁽⁵⁹⁾ وكان يحتل مكانة علمية مرموقة ليس فقط في شرق إفريقيا وإنما كذلك في شبه الجزيرة العربية.

ومن العلماء المشهورين أيضاً في ساحل شرق إفريقيا الشيخ علي بن عبد الله بن نافع المزروعى، والذي تلقى العلم من علماء مكة وكذلك

(58) A.I. Salim: Swahili Speaking Peoples of Kenya's (E.A.P.H. 1973), PP. 141 - 142.

(59) المرجع نفسه، ص 142.

الحضارمة، وعند عودته إلى زنجبار عين قاضياً وكان يقوم بتدريس القرآن الكريم والعلوم الدينية، ومن أشهر تلامذته الشيخ سليمان بن علي المزروعى قاضي منبنة وقاضي قضائها.

وعلى الرغم من أن الشيخ علي من أسرة المزارعة الذين يعتنقون المذهب الإباضي فإنه كمعظم أهل الساحل تحول إلى المذهب الشافعي وكتب كثيراً حول معارضته لبعض التعاليم الإباضية مما حدا بالكثير من المجموعات الإباضية الأخرى أن تحذو حذو الشيخ علي مثل البوسعيدين والمزارعة وغيرهم.

ومن العلماء الذين أسهموا في إثراء الحياة العلمية والثقافية وعملوا على نشر الحضارة الإسلامية في الساحل. الشيخ عبد الله بن محمد باكثير من قبيلة الكندي من حضرموت وعمان تلقى العلم على مشاهير العلماء مثل السيد عبد الرحمن الحسن (سيد منبنة) مؤلف مولد البرزنج باللغة السواحلية قصة مولد الرسول (ﷺ) مستنداً على النسخة العربية للمؤلف الشيخ جعفر البرزنجي. درس أيضاً عند الشيخ أحمد بن سميطة في زنجبار وكذلك بعض علماء مكة.

كذلك قام الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بدور بارز في إثراء الحياة العلمية والدينية في الساحل الكيني، وتلقى العلم على أيدي العلماء العرب والصوماليين.

وقام العلماء الأربعة بدور هام في تاريخ الإسلام والمسلمين في الساحل الشرقي لإفريقيا وكان لمجهوداتهم أثر ملحوظ في المراكز الإسلامية المهمة في الساحل مثل منبنة، زنجبار، لامو وربطها بالعالم الإسلامي كما كان لمجهوداتهم في تدريس العلوم الدينية نتاج طيب في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في الساحل الشرقي لإفريقيا.

ثانياً - العلاقات الاجتماعية:

لقد نقلت دولة السلطان سعيد بن سلطان معها إلى ساحل شرق إفريقيا كثيراً من المظاهر الاجتماعية للحضارة العربية الإسلامية والتي تمثلت في:

المسكن:

حدث تطور كبير في الفن المعماري في دولة السلطان سعيد بن سلطان في ساحل شرق إفريقيا⁽⁶⁰⁾. فقد تأثر الذوق الوطني الإفريقي بفن العمارة العربية الإسلامية الوافد من الجزيرة العربية والذي امتزج به طابع فارسي وهندي وإفريقي محلي مما أعطى في البناء والمسكن في دولة زنجبار الحديثة وملحقاتها طابعاً خاصاً مميزاً⁽⁶¹⁾.

ففي مجال العمارة نجد أن العرب قد نقلوا بعض مظاهر فنون العمارة العربية إلى الساحل الشرقي لإفريقيا وأخضعوها لتناسب البيئة والمناخ الإفريقي الذي يختلف كثيراً عن الطابع الصحراوي لطبيعة الجزيرة العربية⁽⁶²⁾، فنجدهم قد أدخلوا مواد جديدة في البناء مثل استعمال الحجارة والنجارة وحفر الخشب، وإدخال أنواع جديدة من لوازم البناء لم تكن معروفة مثل ماسورة المياه وغيرها من الأشياء التي جاءت أساساً من آسيا⁽⁶³⁾ والأبواب المخروطة والأعمدة ذات الرؤوس والزخارف العربية التي زينوا بها سقوفهم، والمعادن والنقوش التي ركبت على النوافذ والأبواب⁽⁶⁴⁾، ونتج عن هذه النماذج انتشار نوع من الطراز السواحلي في بناء المنازل⁽⁶⁵⁾، حيث انتشر في المدن أكثر منه في الريف، ففي الريف كان الزنجباريون يبنون مساكنهم على شكل أكواخ يأخذ سقفها الشكل

(60) سعاد علي شعبان: الثقافة الإفريقية، المسكن دراسة أنثروبولوجية (القاهرة: كلية الآداب، جامعة المنيا 1988 م)، ص 5.

(61) سبنر ترمينجهام: المرجع السابق، ص 271.

(62) سليمان عبد الغني المالكي: «بحث عن دور العرب وتأثيرهم في شرق إفريقيا»، العرب في إفريقيا: الجذور التاريخية والواقع المعاصر، سمنار التاريخ - كلية الآداب (جامعة القاهرة، 1987 م)، ص 132.

(63) سبنر ترمينجهام: المرجع السابق، ص 271.

(64) يواقيم رزق: «الاستعمار البلجيكي وأثره على الوجود العربي في الكونغو والعلاقات العربية في الكونغو، دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار، معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة: 1977 م)، ص 722.

(65) سبنر ترمينجهام: المرجع السابق، ص 271.

المنحدر، وذلك لتفادي دخول الأمطار إليها⁽⁶⁶⁾، أما في المدن فإن المساكن ذات نمط آخر تميزت بالنوافذ التي يطلق عليها اسم شبك، وهي عبارة عن ألواح من الخشب مغطاة بقطع حديدية طويلة من الخارج ويوجد في معظم مساكن زنجبار مكان يسمى مصلائي (Masalani)، وهو عبارة عن غرفة صغيرة مقسمة إلى قسمين، يستعمل الأول للوضوء والاستحمام والثاني عبارة عن مصطبة مفروشة بالحصى ويخصص للصلاة، كما يوجد في المسكن مكان مخصص للجلوس خارجه وهو عبارة عن مصطبة تقام بجوار المسكن، وتستخدم لجلوس الرجال عليها بعد صلاة العصر وفي صلاة المغرب، حيث يتناقشون ويمضون وقتاً للتسلية والحوار⁽⁶⁷⁾.

وتوجد في بعض المساكن غرفة تسمى (البنجلة) وتستخدم في فصل الصيف، وتكون عادة مرتفعة عن المنزل ومفتوحة من جميع الجهات مما يتيح فرصة للتهوية ومن الأدوات التي بقيت حتى الآن من التأثيرات العمانية (مكيبي)، وهي عبارة عن غطاء مصنوع من سعف نخيل جوز الهند على شكل مثلث مخروطي يستعمل لتغطية الطعام وإضافة إلى ذلك، فإن هناك أداة تستعمل كمروحة في فصل الصيف، وهي عبارة عن عصا في أحد طرفيها جدائل مصنوعة من سعف نخيل جوز الهند، وهناك أيضاً الزير، وهو إناء كبير مصنوع من الفخار ويستخدم لتبريد مياه الشرب، وتستخدم بعض الصناديق الخشبية لحفظ الملابس والأدوات الشخصية، وتصنع هذه الصناديق من خشب التيك ومزخرفة بنقوش جميلة فضية أو نحاسية وربما ترجع إلى أصول هندية، انتشرت صناعتها في عمان وزنجبار⁽⁶⁸⁾.

ويلاحظ أن فن البناء والعمارة العربي العماني قد امتد إلى معظم الأماكن التي بسطت دولة زنجبار الحديثة نفوذها عليها في ساحل شرق إفريقيا مثل منبة وكلوة ولامبو ومالندي وغيرها.

(66) سعاد علي شعبان: المرجع السابق، ص 5.

(67) حمامة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 119.

(68) المرجع نفسه، ص 120.

ولقد لاحظ عالم الآثار (جيرفيس) بعض الحقائق المعمارية في كلوة وذكر بأن عمارتها ترتبط بطراز ينسب إلى أكثر من بلدة في العصر الإسلامي⁽⁶⁹⁾ كما ذكر الدكتور عبد الرحمن زكي أن أسوار حصون ندوجو في شرق إفريقيا تشبه كثيراً تلك الأسوار التي أقيمت في المباني التي شيدت في البلدان العربية⁽⁷⁰⁾ وأن أحواض السباحة الموجودة في حصون كلوة، تشبه من ناحية تخطيطية ذلك الحوض الموجود في صحن جامع حران الكبير، وكذلك الممشى أو الإضافة حول الحوض المذكور يمكن مقابلتها بالمشى الموجود في ضريح قبة الصليبية في سامراء والتي يرجع تاريخها إلى القرن التاسع الميلادي، كما أن أحد القباب الموجودة في حصون كلوة تشبه تلك التي على قبة جامع القيروان الكبير⁽⁷¹⁾.

هذا، وقد تطورت الهندسة المعمارية في مباني مدن كلوة ومقديشو وبروة ويات وزنجبار ومنبسة ومافيا، حيث الأبنية الحجرية وزخارف الأبواب والشبابيك التي صممت على الطراز العربي الإسلامي كما ظهر الفن الفارسي في النقوش والزخرفة لكثير من المباني وتميزت العمارة بروعة الفن العربي الإسلامي من زخرفة البناء والنقوش والكتابة العربية والنحت ما بين غائر وبارز.

وتمثلت في مباني ساحل شرق إفريقيا الطابع العربي في تخطيط المدن، وقد ذكر بعض البحارة بأن منازل مقديشو كانت مبنية من أحجار ذات أشكال رباعية تقريباً⁽⁷²⁾ وذكر بارباروسا (Barbarosa) أن مباني كلوة جميلة ومنازلها من الحجر الصقيل والمونة، ونوافذها كثيرة تشبه ما يصنعه العرب من نوافذ يشد بعضها على بعض شوارع مستقيمة⁽⁷³⁾. كما وصف مدينة منبسة بقوله مدينة جميلة مبانيها من الحجارة وشوارعها منسقة⁽⁷⁴⁾.

(69) المرجع السابق، ص 61.

(70) المرجع نفسه، ص 62.

(71) المرجع نفسه، ص 63.

(72) حمدي السيد: الصومال (القاهرة: د. ت، 1950 م)، ص 355.

(73) المرجع نفسه، ص 355.

(74) المرجع نفسه، ص 356.

وقد أدخل نظام البناء بالحجارة بالإضافة إلى استعمال الإسمنت والرمل والخشب، وقد ظهر الصانع الماهرون في فن النقش والزخرفة وهندسة المباني.

أما في مدينة زنجبار فنجد المباني الجميلة العنينة والمشيدة على الطراز العربي والهندي، وقد أبدع الفنانون في تجميلها وزخرفتها أيما إبداع^(*)، وزينوا المساجد والقصور والتحف الجميلة، كما زينوا الأبواب والشبابيك بالرسومات الجميلة أيضاً⁽⁷⁵⁾.

وفي كلوة تم تشييد القصور الفخمة والمنازل الحديثة⁽⁷⁶⁾ لقد أدخل العرب إلى شرق إفريقيا مظاهر حضارتهم من فن النقش والحفر والنحت، كما أدخلوا الأصول الرئيسية لفن البناء العالي والفسيفساء المتحدة مع الرخام الملون، والرسوم الجميلة، وقد ظهر ذلك جلياً في قصور كلوة ومساجدها⁽⁷⁷⁾ وظهر أقصى درجات هذا التطور والازدهار في مدن زنجبار ومقديشو.

والجدير بالذكر أن هذا الفن المعماري العربي العماني قد تجسد في آثار رائعة خلفها عهد السلطان سعيد بن سلطان في زنجبار والساحل الشرقي الإفريقي ومن القصور التي شيدت بأمره، هي:

أ - قصر المعجائب: ويعتبر من أشهر القصور التي شيدت في جزيرة زنجبار في القرن التاسع عشر الميلادي، وكان مقراً للحكومة، وهو مبني على الطراز العربي العماني، ذو الأبواب الخشبية الكبيرة المزينة بالنقوش والآيات القرآنية والأدعية الدينية⁽⁷⁸⁾ وقد أصبح هذا القصر الفخم، متحفاً للتراث العماني في ساحل شرق إفريقيا⁽⁷⁹⁾.

(75) حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا (القاهرة: 1963 م)، ص 34.

(76) المصدر نفسه، ص 35.

(77) حمدي السيد: المرجع السابق، ص 358.

(78) سعاد علي شعبان: المرجع السابق، ص 5.

(79) حمادة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 119.

(*) انظر الملحق رقم (7) للوقوف على الطابع العماني في زخرفة الأبواب.

ب - قصر المروهي: ويبتعد عدة أميال عن مدينة زنجبار وقد شيده السلطان سعيد بن سلطان عام 1832 م، عندما نقل عاصمة الدولة العمانية من سقط إلى زنجبار، ويمتاز القصر بحدائقه الواسعة التي يكثر فيها أشجار جوز الهند، وتتوسطه نافورة مستديرة وأعمدة على الطراز العربي القديم وما زالت آثاره باقية حتى الآن⁽⁸⁰⁾.

ج - قصر الأميرة الفارسية: (*) وهو عبارة عن ثلاث قباب ويوجد بداخل القصر قاعة تحيط بها جدران منقوش عليها زخارف إسلامية وعلى جوانب الجدران توجد مصطبات للجلوس، ويوجد ممر يؤدي إلى غرف صغيرة تستخدم للاستحمام على الطريقة التركية، وتتصل هذه الغرف بقنوات عميقة مستطيلة تستخدم لتسخين مياه الاستحمام⁽⁸¹⁾.

ومن آثار العرب العمانيين في زنجبار أيضاً «منطقة مالندي» التي يوجد بها السوق القديم، حيث يلتقي التجار العمانيون وعرب الخليج والهند فيها، إذ يجلبون معهم التمر والسكك المجفف والسجاد والحصير لبيعه في هذا السوق بجانب منتجات زنجبار المختلفة⁽⁸²⁾.

الملبس والزينة:

كان للطابع الإسلامي أثر كبير وواضح في الزي السواحلي للرجال والنساء، ففي الوقت الذي قضى فيه على عادة العري السائدة آنذاك بين القبائل الإفريقية أصبح المسلم بدولة زنجبار الحديثة وكذلك الساحل الشرقي الإفريقي متميزاً بملبسه النظيف والأنيق⁽⁸³⁾.

ويذكر سبنسر ترمينجهام أن الرجال بساحل شرق إفريقيا يرتدون الملابس

(80) المرجع السابق، ص 119.

(81) سالمة بنت السيد سعيد: المرجع السابق، ص 56 وما بعدها.

(82) حمادة خلقان الغيث: المرجع السابق، ص 120.

(83) أحمد سويلم العمري: المرجع السابق، ص 39.

(*) وهي شهرزاد زوجة السيد سعيد بن سلطان، وحفيدة نادر شاه امپراطور فارس.

القطنية ذات الأكمام الطويلة أو رداء يسمى (جوهر) ويضع الرجال فوق رأسه عمامة ملونة وفي قدميه صندلاً جلدياً بينما النساء تتكون أرديتهن من قطعتين من القماش تلف إحداهما حول الجسم حتى كعب القدمين أما الثانية فتوضع فوق الرأس والكتفين وعادة ما تشد فتتمدد لتحجب الوجه، كما يوجد نوع آخر من الحجاب ويسمى البرقع وهو نوع من الملابس التي ارتدتها المرأة المسلمة في زنجبار⁽⁸⁴⁾.

كما ذكر بارباروسا (Barbarosa) أن السكان في سفالة كانوا يلبسون نصفهم الأسفل بالأقمشة القطنية والحريية ويصنعون الدثار على أكتافهم والعمائم على رؤوسهم وفي كلوة يلبسون ثياباً فاخرة مزينة بخيوط الذهب⁽⁸⁵⁾.

أ - ملابس الرجال:

الدشداشة: وتسمى (الدرزي) وهي عبارة عن ثوب من القماش القطني الأبيض، تميل إلى الوسع قليلاً وبها تطريز في وسط فتحة الرقبة يصل منتصف البطن، ويكون بألوان قاتمة، ويتخللها اللون الأبيض وبغزارة، وابتداء فتحة الصدر يكون بها خياطة بشكل مثلث مقلوب من الأمام والخلف، وتقفل بأزرار من القماش القطني، وتسمى (كيواني)⁽⁸⁶⁾.

الكمة: وهي عبارة عن طاقية منقوشة بخيوط حريية دقيقة وتلبس فوق الرأس منفردة.

مصر: وهي عبارة عن قطعة من القماش القطني أو الصوف وتلبس فوق الكمة⁽⁸⁷⁾.

العباءة: تلبس فوق الدشداشة، وتكون من الصوف الأسود ومطرزة

(84) سبنسر ترمينجهام: المرجع السابق، ص 130.

(85) سليمان عبد الغني مالكي: المرجع السابق، ص 70.

(86) حمادة خلقان الغيث: المرجع السابق، ص 122.

(87) المرجع نفسه، ص 122.

بخيوط فضية، وتسمى (بشتى) وغالباً ما تلبس في المناسبات السعيدة، كالزواج والأعياد^(٩٠).

الآزار: عبارة عن قطعة من القماش القطني، تصل إلى ثلاثة أمتار، يلف به الرجل وسطه، تلبس تحت الدشدشة، أما الصيادون فإنهم يكتفون بلبس الآزار فقط، وذلك لسهولة الحركة أثناء العمل.

فيتو مقبال: وهو عبارة عن صندل مصنوع من الجلد^(٨٨).

ب - سلاح الرجل وزينته في زنجبار:

الخنجر: يحمل الرجل في زنجبار السيف أو الخنجر، ويصنع من الفضة ويطعم بالذهب، ويشده في وسطه بحزام جلد.

المصا: مصنوعة من الخشب وتكون غليظة وقصيرة، ولها مقبض، مزخرف عند نهايتها، وتكون أحياناً مزخرفة، وتسمى في زنجبار (بكورا)، وقد اقتصر الآن في استعمالها على كبار السن.

ويقوم الرجل في عمان بوضع الحناء في يديه ورجليه بدون نقوش، خاصة في مناسبات الأفراح والأعياد، وكذلك يضع الكحل في عينيه، والهدف من ذلك هو تقوية النظر، أما الحناء باعتبارها سنة عن الرسول ﷺ^(٨٩).

ج - ملابس النساء:

العباءة السوداء: المصنوعة من الحرير وتسمى (بوي بوي) وتغطي الرأس حتى تحت الركبتين، وتربط عند العنق، ويتدلى منها قطعة سوداء لتغطية الوجه.

الثوب: وهو جلباب من القماش له أكمام طويلة ذو ألوان زاهية، ويتم تطريزه عند العنق واليدين وعند نهاية الثوب بالخيوط الفضية أو الذهبية، ولا

(٨٨) سبسر ترمنجهام: المرجع السابق، ص 122.

(٨٩) سالمة بنت سعيد: المرجع السابق، ص 136.

(٩٠) انظر الملحق رقم (٨) يوضح الزي العربي بزنجبار.

يخضع لشكل معين وكل ما يشترط فيه أن لا يكون طويلاً فيغطي الوشى المذهبة على السروال^(٩٠).

غطاء الرأس: وهو من القماش ذو الألوان، ويسمى «كانجا».

السروال: قماش في أغلب الأحيان يكون من نفس لون الثوب، وغالباً ما يكون طويلاً ومطرزاً بالخيوط الفضية أو الذهبية عند الكعبين^(٩١)، وتعمل المرأة على أن لا يغطي السروال بريق الخلخال الذهبي أو الفضي الذي يحيط بالساق والذي تتدلى به أجراس ذهبية صغيرة تبعث رنات في كل خطوة تخطوها ربة الدار^(٩٢).

فيتو فاميتي: حذاء خشبي كبير يمسك بأصبع القدم^(٩٣).

البرقع: وهو غطاء للوجه كله عدا العينين والوقاية وهو قطعة طويلة من القطن أو الموسلين تلف حول الرأس لتشمل ما تحت الذقن وتترك نهاياتها متدلّيتين، والعمامة النسائية ويطلقون عليها في عدن (الديسمال) وهي منديل للرأس ملون يستعمل كحجاب وتستعمله نساء الطبقة العليا.

الشرع: وهو ظلالة كبيرة يحملها الأتباع ويشدونها لكي تغطي المرأة وتحجبها عن الناس^(٩٤).

ويأتي الاختلاف بين أزياء النساء في جودة القماش وحسن الذوق في اختيار الألوان وتناسقها^(٩٥). ويختلف كل ذلك حسب الوضع الاجتماعي ودرجة الثراء.

د - زينة المرأة في زنجبار: تهتم المرأة في زنجبار بشعرها وتجعله على

(٩٠) المرجع السابق، ص 136.

(٩١) حمادة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 124.

(٩٢) سالمة بنت السيد سعيد: المرجع السابق، ص 136.

(٩٣) حمادة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 125.

(٩٤) سبسر ترمنجهام: المرجع السابق، ص 273.

(٩٥) سالمة بنت السيد سعيد: المرجع السابق، ص 136.

شكل صفائر صغيرة على الجانبين، وتستخدم زيت جوز الهند في تدليكه ويسمى (بهيداني)، وتضع المرأة في زنجبار الحناء في يديها وقدميها دون نقوش، وتستخدم أحياناً الحناء في الشعر بهدف العناية به، وكانت تدلك جبهتها بالزعفران الذي يترك الجلد معطراً برائحة طيبة، وتستخدم العطور مثل المسك والعنبر وتترك ثيابها في الماء المعطر لمدة يوم أو يومين، لتعطي الثياب رائحة طيبة، كما تستخدم المرأة في زنجبار الكحل الطبيعي ويسمى (وانجا أو مانجا) وتعني الكحل العماني⁽⁹⁶⁾.

وتحلى المرأة في زنجبار بالأساور الذهبية أو الفضية على شكل أشواك وتسمى «كيني» وتضع في أنفها حلقة من الفضة وتلبس في أذنيها حلقات من الذهب أو الفضة وتلبس في رجليها الخللخال⁽⁹⁷⁾.

الطعام والشراب وآدابهما:

بالرغم من اختلاف المناخ والطبيعة الجغرافية بين عمان وزنجبار، وكذلك من اختلاف المحاصيل الزراعية والحيوانية، فإن التأثير العماني في المأكول والمشرب في ساحل شرق إفريقيا أصبح ملحوظاً بدرجة كبيرة. وقد تأثر أهل ساحل شرق إفريقيا بالذوق العماني في هذا المضمار.

ومن أهم الأطعمة التي تواجدت في زنجبار وذات أصول عمانية هي:

أ - الحلوى العربية العمانية: وقد أخذت التسمية من عمان لأنها اشتهرت وانتشرت في زنجبار حتى أصبحت من الأصناف الرئيسية التي تقدم للضيوف مع القهوة العربية، وتتكون من النشا والسكر والزعفران والهيل^(*) والمكسرات مثل الجوز واللوز وأيضاً السمن الحيواني ونادراً ما تصنع هذه الحلوى في المنازل، واختص بعملها أشخاص معينون توارثوا هذه الصنعة عن آبائهم.

ب - القهوة العربية: وتسمى أحياناً بالقهوة المرة لعدم وجود السكر فيها

(96) حمامة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 136.

(97) المرجع نفسه، ص 136.

(*) الهيل: الحبهان.

ولتخفيف حدة مذاقها يوضع بها الزعفران والهيل وحبات من القرنفل، وتمتاز بأنها خفيفة الكثافة، وتشرب في فنجانين خاصين بها، ولها تقاليد خاصة في تقديمها.

ج - الخبز: ويسمى خبز الخال، ويصنع من القمح الأبيض.

د - التمر: يعتبر التمر الغذاء الرئيسي في زنجبار بالرغم من أنه ليس من المحاصيل التي تنمو فيها، ويتناول التمر عادة أثناء شرب القهوة.

هـ - السمك: يعتبر السمك من الأكلات الرئيسية في زنجبار ويفضل أكله مع الأرز دائماً، إما مشوياً أو مقلياً.

و - الفالودة: وهي نوع من الحلوى تصنع في المنازل، وتتكون من النشا والحليب والسكر والهيل، وتقدم باردة بعد الطعام⁽⁹⁸⁾.

وانتقل كذلك إلى زنجبار من عمان آداب الطعام والشراب وعاداته ونذكر منها:

- عادة انفصال الرجال عن النساء عند تناول الطعام خاصة في حالة وجود ضيوف أجانب عن الأسرة.

- تناول الطعام عادة بالأيدي. ويذكر اسم الله (البسملة) عند البدء في الطعام وكذلك يذكر (الحمد لله) عند الانتهاء من الطعام، تخلفاً بالآداب الإسلامية.

- شرب القهوة بعد تناول التمر أو بعض الحلوى ويبدأ الساقى بتقديمها إلى الشخص الذي عن يمينه، حتى آخر الجالسين عن شماله.

ومن عادات شرب القهوة أن لا يملأ الفنجان على آخره، بل يوضع فيه مقدار رشفتين، وينبغي على الشارب أن يهز الفنجان عند الاكتفاء من شربها⁽⁹⁹⁾ وهي عادة متبعة حتى وقتنا هذا في عمان ومنطقة الخليج العربي.

(98) المرجع السابق، ص 129.

(99) المرجع نفسه، ص 125 - 130.

أ - عادات الولادة والتنشئة الاجتماعية: بعد أن تتم عملية الولادة، يغسل الطفل بالماء الفاتر ويرش عنقه وتحت إبطيه وما بين فخذه بمسحوق عشبي معطر ويوضع الطفل في الفراش وتوضع ذراعه ورجلاه بصورة مستقيمة ثم يشد جسمه كله برباط قوي من قدميه وحتى كتفيه وتلف أطرافه كلها مع جذعه ويسمى ذلك «القماط» ويبقى الطفل في القماط أربعين يوماً لا يخرج منه إلا عند الاستحمام فقط، والقصد من ذلك أن يكون للطفل قوام مستقيم⁽¹⁰⁰⁾.

وتتولى الأم رعاية طفلها بنفسها وإن كثر عدد الخدم عندها وإذا كان الوليد بنتاً خُرمت أذناها في اليوم السابع بأبرة حادة، ووضعت فيها خيوط حريرية ترفع بعد أسبوعين لتحل محلها الأقراط التي تبقى معلقة طول حياتها⁽¹⁰¹⁾.

وعند بلوغ الطفل أربعين يوماً يجري له احتفال فريد، وهو الاحتفال بحلاقة شعر الرأس، وتتم عملية الحلاقة وفق مراسم معينة، حيث تتم في جو من روائح البخور الهندي، ولا يجوز أن يحرق أو يرمى هذا الشعر بل يجب دفنه في مكان معين في التراب أو شق من شقوق جدران المنزل⁽¹⁰²⁾ وذلك بعد أن يتم وزنه بما يعادله من ذهب أو فضة ثم توزع قيمتها على الفقراء كصدقة⁽¹⁰³⁾.

وعند بلوغ الطفل أربعين يوماً يفك القماط ويلبس الملابس الحريرية أو القطنية ويلبس فوق رأسه كوفية، أما إذا كانت أنثى فتشرب أذناها منذ اليوم السابع لتوضع بها الخيوط ثم ترفع بعد أسبوعين لتحل محلها الأقراط، كما تستعمل الحجاب أو التمام لحماية الطفل من الحسد أو العين الشريرة ويسمى «الحرز» وهو بالنسبة للطبقة الفقيرة أو الوسطى عبارة عن كيس صغير الحجم من

(100) سالمة بنت سعيد: المرجع السابق، ص 118.

(101) المرجع نفسه، ص 118.

(102) المرجع نفسه، ص 119.

(103) حمامة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 141.

الجلد يوضع على ذراع الطفل الأيسر ويدخله بصلة وثومة وعظمة أو صدقة، ويكون الحجاب عادة بالنسبة لأبناء الطبقة الغنية مشتملاً على آيات قرآنية منقوشة على قطعة من الذهب أو الفضة.

ويرضع الطفل من ثدي الأم بجانب الحليب الحيواني، حيث يغلى مع الأرز المطحون والسكر ويصب في أكواب ذات مصب رفيع ويأخذ الطفل ما يشاء إلى أن تبدأ أسنانه في الظهور⁽¹⁰⁴⁾.

ويقام للطفل احتفال عند محاولته الجلوس لأول مرة حيث يدعى مجموعة من الأطفال، ويلبس الطفل الملابس الزاهية ويوضع على عربة متوسطة الحجم مفروشة بوسائد، ثم تثر عليه الذرة المحمصة المخلوطة بقطع النقود، ويقوم الأطفال بجمع ما تيسر لهم.

ولا يلبس الأطفال في السنة الأولى من ميلادهم أحذية في أرجلهم، ولا يحدد لهم وقت معين للنوم أو مكان مخصص لذلك.

والعطر يستعمل بكثرة في زنجبار. فجميع ملابس الطفل ومناشفه وقراشه وثيابه تعطر بدهن الياسمين المنعش ثم بالمسك والعنبر قبل أن يستعملها، ثم يرش عليها بعدئذ عطر الورد⁽¹⁰⁵⁾.

ويهتم المجتمع في زنجبار خاصة بتربية الفتاة، وتوجد رقصة تسمى «طحن القمح» وتسمى بالسواحيلي «أوناجو» والهدف من هذه الرقصة تعليم الفتيات الصغيرات شؤون المنزل وتربية الأطفال ورعاية الزوج من خلال حركات إيقاعية معينة، على نغمات دقات الطبول المصحوب بالغناء، وتقوم بهذه الرقصة النساء بالاشتراك مع الفتيات الصغيرات، ويحظر على الرجال حضورها.

وإذ بلغ الطفل سنّاً معينة اهتم بتدريبه على أعمال الفروسية وركوب الخيل

(104) سالمة بنت السيد سعيد: المرجع السابق، ص 120.

(105) المرجع نفسه، ص 120.

والقفز من حصان إلى آخر، والقفز العالي بالحصان، والسباحة، وهي هواية شائعة أخرى ويتعلمها الأطفال من تلقاء أنفسهم، والتدريب على السلاح والرماية يقبل عليها بكل حماس.

ب - الزواج: أصبح التقيد بتعاليم الدين الإسلامي اسمه الزواج بزنجبار حيث ساوى بين جميع الطوائف في المجتمع. فبعد أن كانت عادة المصاهرة بين العناصر العربية وبين العناصر الزنجية نادرة جداً وفي نطاق ضيق، تلاشت هذه العادة منذ عهد السلطان سعيد بن سلطان، حيث كثر الاختلاط والتمازج بين أصحاب الأصول العربية والزنجية في دولة زنجبار الحديثة، وفي الماضي كان يسمح للعربي الزواج من فتاة زنجية. غير أن السلطان سعيد أصبح يشجع المساواة في الزواج بين الجنسين حتى لا يتخذ الطابع العنصري.

وقد كان الزواج في الماضي يتم من داخل الأسرة، حيث كانت الفتاة لا تزوج إلا ابن عمها أو أحد أقاربها، وهذا للحفاظ على نقاء العنصر العربي، وكذلك للحفاظ على الحياة والثروة الخاصة بالأسرة⁽¹⁰⁶⁾.

1 - الخطبة: يأتي اختيار العروس كأول مرحلة من مراحل الزواج إذ تتم الخطبة عن طريق إرسال أحد رجال الأسرة من كبار السن إلى أسرة الفتاة، وفي حالة عدم التعارف بين أهل العروس فإنهم يطلبون فترة للتفكير تتراوح بين أسبوع أو أكثر، وذلك حتى يتسنى لهم استشارة بعض أفراد العائلة كالعم والأم، وأيضاً لمعرفة نسب العريس وأخلاقه. وبعد أن يتم الموافقة على العريس، فإنهم يعلنون الزواج، ويحددون قيمة المهر⁽¹⁰⁷⁾.

2 - عقد القران: تتم مراسم عقد القران مساء في بيت أحد العروسين ويقوم بها قاضي المدينة أو من ينوب عنه أحد رجال الدين أو من عرف في الجماعة بالورع والتقوى، ولا تظهر العروس وإنما تنيب عنها أباه أو أخاها أو قريباً من أقاربها فإن لم يكن لها أحد منهم حضرت بنفسها ملتفة بعباءتها بحيث

(106) حمامة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 138.

(107) المرجع نفسه، ص 140.

لا يرى منها شيء البتة إلى غرفة خالية ثم يدخل عليها القاضي والعريس وبعض الشهود وبعد أن تجيب بما يفيد قبولها بالزواج يخرج القاضي ومن معه من الغرفة ليتيحوا للعروسة مجال الخروج منها والعودة إلى غرفتها، في حين يحيي الرجال تلك الليلة في حفلة عشاء ضخمة يقيمها العريس بهذه المناسبة⁽¹⁰⁸⁾.

وفي اليوم الأول يقيم أهل العروس حفلاً للأهل والأصدقاء توزع فيها قطع الحلوى والقهوة العربية، أما النساء فيقمن بالرقص والغناء ويؤديون رقصة (اللبوا) حيث تلبس النساء المشاركات في الرقص الملابس التكرية المختلفة، التي تخص بعض الدول الإفريقية وكذلك الملابس العمانية أو الهندية⁽¹⁰⁹⁾.

ثم تقوم بعض النساء بطلاء وجوههن بألوان مختلفة وتحمل في أيديهن قطعاً من العاج أو الحديد فيقمن بضربها بعضاً على البعض لتحدث أصواتاً تتناغم مع أصوات الطبول والمزمار التي يعزفها الرجال الجالسون وسط الدائرة.

ومن المعلوم أن النساء في الماضي كن يرقصن هذه الرقصة قبل الوجود العماني حيث كن يطلين وجوههن بالأصباغ ذات الألوان الزاهية ويخططن حواجبهن من الصدغ حتى الصدغ ويقمن بعمل دوائر باللون الأسود لأعينهن ويسرن حافيات الأقدام ويحملن في أيديهن قطعاً من العاج لتحدث أصواتاً أثناء الرقص.

وأما الرجال فقد كانوا شبه عراة ويحملون في أيديهم السهام والأقواس ويرقصون كما لو كانوا في معارك حربية⁽¹¹⁰⁾.

3 - ليلة الزفاف: احتفالاً بليلة الزفاف أو الزواج فإن أب العريس يفتح أبواب بيته في دعوة عامة يحضرها الأهل والأقارب والأصدقاء والمعارف بل وكثير من الغرباء أيضاً ويحتفل بهم جميعاً على قدم المساواة وتستمر الأفراح

(108) سالمة بنت السيد سعيد: المرجع السابق، ص 211 - 212.

(109) حمامة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 139.

(110) المرجع السابق، ص 140.

Maziko	الجنائزة
Matanga	الحداد
Arbaini	نهاية الأربعين

أ - الجنائزة Maziko: يتم تغسيل الموتى طبقاً للشرعة الإسلامية، وعلى يد المغسل Mwosha والذي يساعده عادة مساعدان. وبعد الغسل يسجى الجثمان فوق حصير Mkeka - يرسل بعد ذلك إلى المسجد لاستخدامه في الصلاة. ويلف بإزار ثم يوضع في النعش، ويتم قبل ذلك تبخير النعش والكفن، ويشارك الرجال فقط في الجنائزة، التي تتوقف أمام أحد المساجد للصلاة على الميت Talgin، ويقوم الرجال بتريد التهليل والتكبير، وفي المدافن يوارى الجثمان في القبر المخصص له وهو مستور بالأقمشة، بعد ذلك تغطى فوهة القبر بفروع الأشجار أو بواسطة لوح خشبي ثم يمال التراب عليه وعندما يتنهون من ذلك تفتح فجوة عند الرأس يصب فيها الماء مع تلاوة بعض الأدعية والصلوات لإعلان أن المتوفى كان مسلماً ويسمى هذا الماء «ماء الشهادة» Magiya Saahada.

ب - الحداد Matanga: ومدته ثلاثة أيام، حيث يقوم أقرباء الميت برفع المقاعد وتعد حصر كبيرة فوق الأرض يجلسون ويأكلون ويرقدون فوقها علامة الحداد، وكلمة ماتانجا (Matanga) تشير إلى تلك الحصر وهم يتلقون العزاء خلال هذه الأيام الثلاثة، ويقول المعزون عند دخولهم Makiwa أي البقاء لله ويرد أهل المتوفى Yamepita أي شكر الله سعيكم.

ويجهز الطعام ويرسل إلى الفقراء بانتظام، وفي كل ليلة من الليالي الثلاث بعد صلاة العشاء يختم «القرآن الكريم» (*) (Kusoma Hitima) وذلك بأن تقوم كل مجموعة من الحاضرين بتلاوة جزء من القرآن الكريم على روح الميت

(*) قراءة القرآن كله.

والليالي أياماً وقد تطول إلى الأسبوعين⁽¹¹¹⁾ حيث تقدم الأنواع المختلفة من الأرز واللحم المطبوخ وتوزع الحلوى والقهوة العربية⁽¹¹²⁾.

وفي ليلة الزفاف تحلى العروس بأحلى زيتتها وأكمل حليها ثم يأتي أهل العريس من رجال ونساء ليزفوها إلى بيتها الجديد الذي تحرك إليه في حاشية من نساء قومها في حوالي الساعة التاسعة أو العاشرة مساءً.

وحين تصل إلى بيت الزوجية الجديد يستقبلها العريس وأهلها وينشرون بين قدميها النقود والحلويات ثم يأخذونها إلى غرفتها الخاصة، وبعد أن تستقر هناك تستأذن النسوة منها بالانصراف ليذهبن إلى صالون البيت حيث تجري ليالي الأفراح⁽¹¹³⁾.

وبعد انصراف النسوة يدخل العريس الغرفة على عروسه وتقضي الأصول أن تنهض الفتاة لاستقباله ويبدأ الرجل بالتحية والكلام، ويرفع عن وجهها البرقع السميك الثمين الذي يغطي وجهها، ليتسنى له أن يرى ذلك الوجه وربما لأول مرة وإظهاراً لإعجابه بوجه العروس وترضية لها عن دفع برقعها فيقوم بتقديم هدية بهذه المناسبة. سواء أكانت بضع دربهات عند الفقراء أو حفنات كبيرة من الذهب والفضة عند الأغنياء⁽¹¹⁴⁾.

4 - الموت والحداد: عندما يشرف شخص على الموت، ويصبح على شفا منه، يقوم أهل باستدعاء شيخ لتلاوة القرآن الكريم (سورتي يس والرعد)⁽¹¹⁵⁾ وتمثل الشعائر في تأدية صلاة الجنائزة والحداد ونهاية الأربعين وعرفت باللغة السواحلية كما يلي:

(111) سالمة بنت السيد سعيد: المرجع السابق، ص 212.

(112) حمامة خلفان الغيث: المرجع السابق، ص 140.

(113) سالمة بنت السيد سعيد: المرجع السابق، ص 212.

(114) المرجع نفسه، ص 212.

(115) مبنتر ترمينجهام: المرجع السابق، ص 238.

ج - الأربعين Orbaini: وهي إجمالي فترة الحداد والتي تستمر أربعين يوماً وتنتهي أيضاً بقراءة الخاتمة مرة أخرى، ويوليمة تسمى «وليمة الأربعين» وهم يزورون المقبرة في هذا اليوم ويتركون الهبات بجواره Vunga Funcu. ولا يسمح لأرملة المتوفى بالزواج إلا بعد فترة انقضاء العدة كما هو محدد في الشريعة الإسلامية⁽¹¹⁷⁾.

وتلك المظاهر الاجتماعية الإسلامية هي ناتج الحضارة العربية والثقافية الإسلامية التي صنع بها عصر السلطان سعيد بن سلطان المجتمع الإفريقي بدولة زنجبار الحديثة والساحل الشرقي لإفريقيا.

ومجمل القول، إن معظم أهالي سكان ساحل شرق إفريقيا قد تأثروا بالناحيتين الثقافية والاجتماعية اللتين غرسهما العرب العمانيون تأثراً واضحاً، لقد لقيت العادات والتقاليد والاعتقادات العربية اهتماماً خاصاً لدى الوطنيين الأفارقة، غير أن التدخل الأوروبي في ساحل شرق إفريقيا الشرقية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، حاول أن يتبع وسائل خبيثة للنيل من العروبة والإسلام من خلال استغلال بعض المظاهر الاجتماعية المنكرة التي تخالف العقل والعقيدة الإسلامية والتي حاول المصلحون المسلمون شجبها ومحاربتها.

وعندما فرضت بريطانيا هيمنتها على زنجبار في عام 1890 م عملت على إحكام سيطرتها على ساحل شرق إفريقيا، وبدأت تحاصر روافد المؤثرات العربية الإسلامية حتى أفل نجمها تدريجياً فانهى بذلك العصر الذهبي للآثار الإسلامية والعربية التي ترعرعت وازدهرت في ساحل شرق إفريقيا في كنف دولة زنجبار الحديثة لا سيما في عصر مؤسسها السلطان سعيد بن سلطان.

(116) سبسر ترمينجهام: المرجع السابق، ص 241.

(117) المرجع نفسه، ص 243.

الخاتمة

يتضح من عرضنا لدولة زنجبار الحديثة في عهد السلطان سعيد بن سلطان (1806 - 1856 م)، أن هذه الدولة تفاعلت بصورة إيجابية مع الإرث الحضاري للاتصال العربي الإفريقي الذي امتد عبر قرون طويلة والذي ترك آثاراً واضحة في العلاقات العربية الإفريقية في ساحل شرق إفريقيا. كما ساهمت بأدوار فعالة في تطور العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بأحداث تحول حاسم في تاريخ العرب والإسلام في تلك المنطقة.

ومن النتائج التي توصلت إليها والتي تتعرض لطبيعة وأبعاد العلاقات العربية الإفريقية في دولة زنجبار الحديثة في الفترة المؤرخ لها وما نتج عنها من توسع لدائرة المؤثرات العربية الإسلامية على ساحل شرق إفريقيا، ما يلي:

1 - بالرغم من أن الاختلاط السكاني والحضاري والتمازج العرقي قد وصل بين العرب الوافدين وبين الوطنيين الأفارقة في ساحل شرق إفريقيا إلى درجة الانصهار في دولة زنجبار الحديثة في عهد السلطان سعيد بن سلطان (1806 - 1856 م)، فإن ثمة عوامل جغرافية وسياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية تضافرت منذ فترة ترجع إلى ما قبل ظهور الإسلام حتى قبيل تأسيس هذه الدولة المعنية، حيث تم وضع الأساس المتيّن للعلاقات الطيبة بين العرب والأفارقة والتي اهتدى بخطاها السلطان سعيد بن سلطان في مسار جاد أثرى به مجالات التعاون العربي الإفريقي المتنوعة في تلك البقاع.

2- لم يأت دور دولة زنجبار الحديثة في إثراء المؤثرات العربية الإسلامية ونشرها في ساحل شرق إفريقيا وما ورائه من فراغ، بل إن بواكير الاتصال العربي الإفريقي قد تم منذ مطلع التاريخ الميلادي وظل يتصاعد مداه بعد ظهور الإسلام حتى وصل ذروته في ظل دولة زنجبار الحديثة ويلاحظ أن هذا الاتصال قد مر بمراحل أربع، وتمثل المرحلة الأولى استفادة عرب جنوب شبه الجزيرة العربية من أهل عمان واليمن وحضرموت من حركة الرياح الموسمية منذ أقدم العصور واتصالهم تجارياً بالوطنيين الأفارقة المقيمين في ساحل شرق إفريقيا، حيث أصبحوا أكثر معرفة بأحوال هؤلاء الأفارقة قبل غيرهم من الأمم الأخرى، مما مكنتهم من السيطرة على التجارة الشرقية.

أما المرحلة الثانية، فظهرت بمجيء الإسلام في القرن السابع الميلادي وقيام الدولة العربية الإسلامية، وقد أدت الثورات والفتن والصراع على السلطة بعد الخلافة الراشدة وكذلك الظروف المناخية كالقحط والجفاف إلى ازدياد الهجرات العربية إلى ساحل شرق إفريقيا واستقرارها هناك، وقد كان معظم هذه الهجرات العربية من عمان واليمن وحضرموت، إذ تمكنت هذه الهجرات من إحداث تأثيرات جوهرية في حياة الوطنيين الأفارقة في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، كما أنشأ العرب المهاجرون سلطنات وإمارات ومدناً على طول الساحل الشرقي الإفريقي، بيد أن الحكام العرب في هذا الساحل لم يعملوا - بصورة مثمرة - على نشر الإسلام والعروبة في المنطقة بل حصروا جل وقتهم في المنافسات التجارية والصراعات على السلطة، الأمر الذي مهد الطريق للبرتغاليين لبسط نفوذهم على هذا الساحل لقرنين من الزمان.

وتجيء المرحلة الثالثة، بظهور البرتغاليين في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وتطلعهم إلى الاستيلاء على الممتلكات العربية في ساحل شرق إفريقيا لضمان أمنهم الاستراتيجي في المحيط الهندي توطئة

لاحتكارهم التجارة الشرقية وتهديدهم للحرمين الشريفين مواصلة لحربهم الصليبية، وتعد المرحلة البرتغالية مرحلة انحسار للحضارة العربية الإسلامية في ساحل شرق إفريقيا، وذلك لأنهم عملوا على نشر المسيحية وإثارة الفتن بين زعماء الساحل وجلبهم من العرب المسلمين.

وبالنسبة للمرحلة الرابعة، فتتمثل في السيطرة العمانية على ساحل شرق إفريقيا سواء في ظل حكم البعارة أو البوسعيد. فبعد أن تمكن البعارة من طرد البرتغاليين من مسقط بقيادة الإمام سلطان بن سيف في عام 1658 م، استطاع خليفته الإمام سيف بن سلطان من انتزاع مدينة منبسة في 1696/12/14 م من أيدي البرتغاليين وهكذا، خلص هذا الساحل الإفريقي لنفوذ العمانيين.

هذا، فقد كان قيام دولة البوسعيد وتوسعها على ساحل شرق إفريقيا ازدهاراً للاتصال العربي الإفريقي.

ففي عام 1471 م، انتقلت الإمامة الإباضية من أسرة البعارة إلى أسرة البوسعيد، نتيجة للصراع الداخلي في عمان بين الأسرتين العمانيتين وقد كان السلطان سعيد بن سلطان (1806 - 1856 م) أشهر حكام هذه الأسرة الأخيرة على الإطلاق، حيث سعى إلى الارتقاء بدولة زنجبار الحديثة في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

3- وإنني أرى أن قرار السلطان سعيد بن سلطان نقل عاصمة حكمه من مسقط إلى جزيرة زنجبار وإعلان قيام دولة زنجبار الحديثة في عام 1832 م قرار حكيم للاعتبارات الموضوعية التالية:

أ - حاول السلطان سعيد بن سلطان تجنب الدخول في صراعات وصدامات مع السعوديين والقواسم وكذلك مع أبناء عمومته خشية أن تستنزف إمكانات البلاد البشرية والمادية، لا سيما وأن دولته قد خرجت منهكة بعد انتصارها على البعارة.

ب- ضرب القحط والجفاف مسقط وعمان، الأمر الذي أدى إلى شح الموارد الاقتصادية تجارية كانت أم زراعية، وقد رأى أن هذا الوضع الاقتصادي المتردي لا يرضي طموحاته الرامية لإنشاء امبراطورية مترامية الأطراف، فضلاً عن ضمان تلبية متطلبات الدولة الحديثة.

ج- بعد دراسته لأحوال ساحل شرق إفريقيا، تبين له أن هذه المنطقة وفيرة الخيرات وخصبة التربة وغزيرة الأمطار، مما يساعد على الزراعة المتنوعة والإيرادات المختلفة المجزية.

د- الموقع الاستراتيجي لجزيرة زنجبار والذي يجعلها في منأى من اعتداءات القبائل الإفريقية المناوئة.

هـ- تمتع ساحل جزيرة زنجبار بعمق مياهه الإقليمية التي تساعد على رسو السفن التجارية الضخمة والتي تتيح - بذلك - فرصة للانتعاش الاقتصادي نتيجة للمساهمة في التجارة الدولية.

4- رسم السلطان سعيد بن سلطان علاقاته السياسية في شقين متوازيين أي علاقات داخلية وعلاقات خارجية، وتشمل العلاقات الداخلية نظم الحكم إدارة وقضاء وكذلك تتعرض إلى امتداد نفوذ الدولة لما وراء الساحل وأبعاده، أما العلاقات الخارجية، فتشمل صلاته بكل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.

وبالنسبة لعلاقات دولة زنجبار الداخلية، يلاحظ أن السلطان سعيد ابن سلطان حرص على ضمان المساواة بين جميع رعاياه وعدم التعصب لأية فئة وخلق مناخ مناسب للانصهار العرقي، كما تفاعل مع الأوضاع المحلية حينما عهد بمهمة الإدارة إلى زعماء القبائل المحلية لفض نزاعاتهم وفقاً للعرف والعادة، وقد ساعد - كل ذلك - على امتداد رقعة الدولة لما وراء الساحل.

وقد اعتدت دولة زنجبار الحديثة بالتشريع الإسلامي للحكم بين الرعايا المسلمين، وأدت سماحة الإسلام إلى اعتناق عدد كبير من القبائل الإفريقية الإسلام وأثر ذلك على نظام الأسرة والميراث، وخاصة نظام الوراثة عن طريق الأمومة الغالب على كثير من الشعوب الإفريقية.

وعلى الصعيد الداخلي، حقق السلطان سعيد بن سلطان نفوذاً سياسياً كبيراً على طول ساحل شرق إفريقيا من الصومال حتى مدغشقر، بيد أنه لم يحقق نفوذاً فيما وراء الساحل الكيني الذي لم يحظ فيه الإسلام بتقدم ملموس، وربما يرجع ذلك للموقف العدائي لقبائل الماساي وغيرها من القبائل الأخرى.

ومن هنا، نخلص إلى القول بأن العلاقات الداخلية في عهد السلطان سعيد بن سلطان تمت بصورة هادئة وفي جو من الوفاق يسمح بالأخذ والعطاء بين العرب الوافدين وبين الوطنيين الأفارقة.

ومن ناحية أخرى، فقد اتسمت علاقات السلطان سعيد بن سلطان الخارجية بالحرص على خلق تعاون وثيق مع الرحالة الأوروبيين وكذلك مع القوى الخارجية الكبرى.

وقد استفاد الرحالة الأوروبيون من الجهود التي بذلها العرب العمانيون في إنشاء المحطات التجارية التي سهلت مهمة الاستكشافات الجغرافية والتي كانت تمهيداً للسيطرة الاستعمارية في وقت لاحق على تلك المناطق.

وقد حظيت بريطانيا، بأول ارتباط قوي مع السلطان سعيد بن سلطان الذي حاول استثمار هذه العلاقة في صراعه مع منافسيه حكام منبسة المزارعة وأمراء الساحل، ولكن بريطانيا انتهزت حاجة دولة زنجبار الحديثة لمساندتها، فعملت على بسط نفوذها السياسي والاقتصادي في ساحل شرق إفريقيا تدريجياً واستخدمت ستار إلغاء تجارة الرق

ومعاهدة مورسي التي عقدتها مع السلطان سعيد بن سلطان في 1822/9/22 م ليكونا منفذاً للتدخل في شؤون دولة زنجبار الحديثة، وتوجت ذلك بعقد معاهدة تجارية في 1839/5/13 م مع السلطان سعيد ابن سلطان، وفي نهاية المطاف تحولت زنجبار إلى محمية بريطانية عام 1890 م.

هذا، وقد تصاعد التدخل الأوروبي في شؤون دولة زنجبار الحديثة في عهد السلطان سعيد بن سلطان، حينما حاولت فرنسا تضيق الخناق على هذه الدولة وإرغامها على الموافقة على تأسيس قاعدة فرنسية في براوة ومقديشو وإنشاء قنصلية فرنسية غير أن السلطان سعيد بن سلطان تردد في تلبية المطالب الفرنسية خشية أن تسوء علاقته مع بريطانيا وانتهى الأمر بإبرام معاهدة مع فرنسا في عام 1844 م تتعلق بامتيازات تجارية وقضائية ونص تعديلها في عام 1846 م بتأسيس قنصلية فرنسية في زنجبار ولذا، لم تستطع فرنسا تحقيق ما تصبو إليه نتيجة لأن بريطانيا كانت تترقب بها وتجهض محاولات توسعها.

وبالرغم من أن الولايات المتحدة لم تكن حريصة على الدخول في منافسة مع بريطانيا وفرنسا حول ساحل شرق إفريقيا، فإن السلطان سعيد بن سلطان بادر بتحسين الفرصة لإبرام معاهدة ودية وصداقة وتجارة مع واشنطن، وقد تم ذلك بموجب معاهدة 1835 م وتعيين قنصل فخري أمريكي من قبل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في مدينة زنجبار، ويبدو أن مبادرة السلطان سعيد بن سلطان هذه كانت من منطلق الإضفاء على نفسه صورة الشخصية البارزة في المجتمع الدولي.

5 - لقد استثمر السلطان سعيد بن سلطان موقع جزيرة زنجبار وخيرات دولته الوفيرة في علاقاته الاقتصادية المتنوعة وبفضل جهوده ازدهرت الزراعة ومنها زراعة القرنفل والبن والصمغ وجوز الهند (الترجيل) والفلفل

والسمسم وغيرها وكذلك عمل على تنمية الثروة الحيوانية واستغلال الحيوانات التي لم تكن موجودة من قبل مثل الإبل وأصبحت صناعة الجلود ومنتجاتها من أهم صادرات هذه الدولة.

وفي عهده، توسعت دائرة نشاط العرب التجاري عبر طرق القوافل العديدة حيث أنشأوا عدداً من المحطات التجارية التي امتد حتى منطقة البحيرات الاستوائية وحوض الكنفو.

والمعروف أن نفوذ العرب التجاري لم يرق على احتلال عسكري أو سيطرة سياسية، بل كان نابعاً من علاقات سلمية ودية مع الوطنيين الأفارقة.

وكان الأسطول الكبير الذي أنشأه السلطان سعيد بن سلطان إنجازاً اقتصادياً ضخماً، فقد استخدم في دعم تجارة دولة زنجبار الخارجية التي امتد مداها شرقاً إلى الهند وغرباً حتى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد كان هاجس السلطان سعيد بن سلطان من بناء هذا الأسطول هو تكوين امبراطورية عربية مترامية الأطراف، لا سيما وأن دولته هي الوحيدة الخارجية عن نفوذ الدولة العثمانية في المشرق العربي بجانب أن عمان كانت مشهورة ببناء السفن الحربية والتجارية منذ قرون مضت.

6 - لقد أدى التمازج والانصهار العربي الإفريقي اللذان وجدا تشجيعاً من دولة زنجبار الحديثة في عهد السلطان سعيد بن سلطان إلى ازدهار الثقافة العربية الإسلامية، وقد أصبح الدين الإسلامي بقوة فعاليته وحسن تكيفه مع الظروف الإفريقية تأثيراً وتأثراً عاملاً موحداً للشعوب التي تدين به ومعلماً حضارياً إيجابياً.

وقامت هذه الدولة بالاهتمام بالتعليم والعمل على انتشار الكتابات والمدارس، كما شجعت إرسال الطلاب النجباء لينهلوا من معين المراكز الإسلامية في الحجاز واليمن ومصر وغيرها وبالإضافة إلى ذلك، غلب

الحرف العربي على مناطق لم تكن تعرف الكتابة من قبل بفضل جهود العلماء ورجال الطرق الصوفية والمعلمين.

وفي ظل دولة زنجبار الحديثة تطورت اللغة السواحلية التي توسعت دائرة نفوذها نتيجة لتدفق الهجرات العربية من عمان وحضرموت، وقد ازدهرت اللغة السواحلية نتيجة لتمازج الأثرين الحضرمي ولغة البانتو الإفريقية وغلبت على لسان كثير من أهالي ساحل شرق إفريقيا والمناطق الداخلية وهي اللغة المنتشرة حالياً في تنزانيا وكينيا ويوغندا ورواندا وبيروندي ومناطق من زائير.

7- وتمثل غلبة المؤثرات الإسلامية وانتشارها في ساحل شرق إفريقيا في عهد دولة زنجبار الحديثة في التحولات الاجتماعية، لا سيما في المسكن والملبس والمأكل والعادات الاجتماعية الأخرى.

وقد تطور الفن المعماري في المدن الإفريقية على النمط السائد في عمان وبقية المدن الإسلامية مع تكيفه ليناسب البيئة والمناخ الإفريقي، ومن عجائب الفن المعماري الإسلامي في جزيرة زنجبار قصر العجائب والمرهوي وقصر الأميرة الفارسية والتي شيدها السلطان سعيد بن سلطان، وهي قصور ما تزال آثارها باقية إلى يومنا هذا.

أما الملبس، فقد تأثر بالزّي الإسلامي العربي العماني حتى أن الوطنيين الأفارقة تخلوا عن عادة العري وعمل بعضهم على التشبه بالمسلمين، كما تأثر أهالي الساحل الإفريقي بالطعام وطرق إعدادة وآداب المائدة بما هو سائد في عمان.

8- وقد لاحظت أن بعض المستشرقين الأوروبيين حاولوا اتهام العرب العمانيين بجرم ممارسة تجارة الرقيق في ساحل شرق إفريقيا وقد نسوا أو تناسوا دورهم فيما اقترفوه من إثم كبير بالإتجار في هذه التجارة غير الإنسانية، يكفي أن الغربيين أنفسهم نقلوا للعالم الجديد من غرب إفريقيا

وحدها عشرات الملايين من البشر فالرق لم يكن وفقاً على العرب أو الإفريقيين، بل شمل كافة شعوب الأرض.

ولعل من محامد العمانيين في شرق إفريقيا أن العلاقات بينهم وبين رقيقهم كانت إنسانية بدرجة كبيرة، فضلاً عن أن دولة زنجبار الحديثة في ظل السلطان سعيد بن سلطان عملت على محاربة الرق وعلى انصهار الرقيق في المجتمع العماني بدرجة أنهت نظام الفصل العنصري في دولة زنجبار الحديثة وملحقاتها.

9- وأخيراً، أرى أن دولة زنجبار الحديثة قد ساعدت بصورة فعالة في نشر المؤثرات العربية الإسلامية في ساحل شرق إفريقيا، مما أدى إلى توسيع فرص التعاون العربي الإفريقي الذي قام التدخل الأوروبي الاستعماري بالعمل على خنقه وانحسار نفوذه، ولذا أؤكد - أيضاً - أنه لا بد من أن يتصدى الباحثون المهتمون بالقضايا العربية الإفريقية إلى ضرورة إبراز الحقائق والتعريف بالواقع الحضاري «العربي الإفريقي» بطريقة علمية جادة تدحض مزاعم الحاقدين المستشرقين والكتاب الذين يسعون للئيل من العروبة والإسلام.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

المصادر العربية:

- 1 - ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد: تحفة النظار في غرائب الأمصار (بيروت: دار صادر، 1964 م).
- 2 - ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق أحمد نجاتي، الجزء الأول (القاهرة: 1956 م).
- 3 - ابن حوقل، أبو القاسم محمد عبد الله: كتاب صورة الأرض (بيروت: مكتبة الحياة، د. ت).
- 4 - الإدريسي، أبو عبد الله: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر دوزي ودي غوبة (لندن: 1966 م).
- 5 - الحميمي، الحسن بن أحمد: سيرة الحبشة حديقة النظر وبهجة الفكر في عجائب السفر، تحقيق مراد كامل (القاهرة: د. ن)، 1958 م.
- 6 - الحموي، ياقوت: معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، 1979 م).
- 7 - رزيق، حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين، تحقيق عبد المنعم عامر، ومحمد مرسي عبد الله (عمان: وزارة الثقافة والتراث القومي، 1977 م).
- 8 - زين العابدين: تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين (لشبونة، 1898 م).
- 9 - السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (القاهرة: 1353 هجرية).
- 10 - السعدي، عبد الرحمن: تاريخ السودان، طبعة (هوداس، 1898 م).
- 11 - سلطان، سالمة بنت سعيد بن سلطان: مذكرات أميرة عربية، ترجمة عبد المجيد القيسي، ط 5 (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1983 م).

12 - المسعودي، علي بن الحسن: مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت: دار الأندلس، 1984 م).

المراجع العربية:

- 13 - أبو ياسين، سمير محمد: العلاقات العمانية البريطانية 1798 م - 1856 م (البصرة: مركز دراسات الخليج العربي جامعة البصرة، 1981 م).
- 14 - أسبر، أمين: إفريقيا والعرب (القاهرة: دار الحقائق، 1980 م).
- 15 - استودارد، لوثرروب: حاضرم العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، تعليق شكيب أرسلان (القاهرة: د. ن، 1343 هـ).
- 16 - أمين، أحمد: ضحى الإسلام (القاهرة: مكتبة دار المعارف، 1962 م).
- 17 - أمين، محمد محمد: تطور العلاقات العربية الإفريقية في العصور الوسطى (القاهرة: د. ن، 1977 م).
- 18 - أمين، محمد مختار: أضواء حول إفريقيا (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت).
- 19 - أوليفر، رولاند وجون فيج: موجز تاريخ إفريقيا، ترجمة دولت أحمد صادق (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت).
- 20 - باسل، دافيد: إفريقيا تكتشف من جديد، ترجمة نبيل بدر محمود وآخرين (القاهرة، ب. ت).
- 21 - بولم، دنيز: الحضارات الإفريقية، ترجمة نسيم نصر، ط 2 (بيروت: دار عويدات، 1978 م).
- 22 - ترمجهام، سينسر: الإسلام في شرق إفريقيا، ترجمة وتعليق عاطف النواوي. مراجعة فؤاد محمد شبل (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1973 م).
- 23 - الجمل، شوقي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1960 م).
- 24 - الجمل، شوقي: تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، ط 2 (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1980 م).
- 25 - الجمل، شوقي: دور العرب الحضاري في إفريقيا (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت).
- 26 - جوليآن، شارل أندريه: تاريخ إفريقيا، ترجمة طلعت عوض أباطلة، مراجعة

عبد المنعم ماجد، (القاهرة: دار المعارف، 1968 م).

- 27 - جيان، شارل: وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن شرق إفريقيا، عربها ملخصاً الأمير يوسف كمال (القاهرة، د. ت، 1927 م).
- 28 - حراز، السيد رجب: إفريقيا الشرقية والاحتلال الأوروبي (القاهرة: دار النهضة المصرية، 1968 م).
- 29 - حسن، إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى غربي القارة الإفريقية وشرقها، ط 2 (القاهرة: معهد الدراسات العربية، 1957 م).
- 30 - حسن، يوسف فضل: الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1984 م).
- 31 - حوراني، جورج فضل: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر مراجعة يحيى الخشاب، (القاهرة: د. ن، 1958 م).
- 32 - الحويري، محمود محمد: ساحل شرق إفريقيا من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي، (القاهرة: دار المعارف، 1986 م).
- 33 - الخشاب، وفيق وإبراهيم المشداني: إفريقيا جنوب الصحراء (بغداد: وزارة التعليم والبحث العلمي، 1978 م).
- 34 - خلف الله، عبد الغني: مستقبل إفريقيا السياسي (تاريخ شعوب القارة الحديثة وأوجه التطور المحتملة فيه)، ط 2 (القاهرة: مؤسسة المطبوعات الحديثة، 1961 م).
- 35 - دافيدسون، بازل: إفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال أحمد، (بيروت: د. ن، 1965 م).
- 36 - رزق، يواقيم: الاستعمار البلجيكي وأثره على الوجود العربي في الكونغو (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1977 م).
- 37 - الرفاعي، عبد العزيز: الحركة القومية في إفريقيا: أصولها - نشأتها - تطورها (القاهرة: المكتبة العالمية، 1962 م).
- 38 - الرشيد، شريفة: المؤثرات الحضارية الآسيوية في شرق إفريقيا، رسالة ماجستير غير منشورة (القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1975 م).

- 39 - روكز، يوسف: إفريقيا السوداء سياسة وحضارة (بيروت: مكتبة بيريت، 1986 م).
- 40 - زكي، عبد الرحمن: الإسلام والحضارة العربية في شرق إفريقيا، (القاهرة: المجلة التاريخية المصرية، 1974 م) المجلد 21.
- 41 - زكي، عبد الرحمن: الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا، (القاهرة: معهد الدراسات الإسلامية، 1965 م).
- 42 - سعودي، محمد عبد الغني: إفريقيا دراسة في شخصية القارة وشخصية الأقاليم، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1983 م).
- 43 - العلاقات العربية الإفريقية: دراسة في أبعادها المختلفة، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1975 م).
- 44 - ستقو، شعبان: وجهات نظر التبشير المسيحي (بغداد: المنظمة العربية للتربية والثقافة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1985 م).
- 45 - السيد، حمدي: الصومال (القاهرة: د. ت، 1950 م).
- 46 - شركة، الزيت العربية الأمريكية: عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي، (القاهرة: إدارة العلاقات - شعبة البحث، 1952 م).
- 47 - شعبان، سعاد علي: الثقافة الإفريقية، المسكن دراسة أنتروبولوجية (القاهرة: كلية الآداب جامعة المنيا، 1988 م).
- 48 - شلش، علي: الأدب الإفريقي (الكويت: عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1993 م).
- 49 - شويقة، فاروق عبد الجواد: الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا، رسالة دبلوم غير منشورة (القاهرة: كلية الآداب - معهد الدراسات الإفريقية، 1960 م).
- 50 - شويقة، فاروق عبد الجواد: دراسات إفريقية، دار النهضة (القاهرة: 1983 م).
- 51 - شهاب، حسن صالح: أضواء على تاريخ اليمن البحري (بيروت: دار العودة، 1981 م).
- 52 - عبد الله، عبد القادر شيخ: تاريخ التعليم في الصومال (مقديشو: 1978 م).
- 53 - العراقي، سيد أحمد: معالم الحضارة في ساحل شرق إفريقيا (مجلة دراسات إفريقية، 2، (أبريل: 1986 م).
- 54 - هفت، راجية محمد: الثقافة العربية في شرق إفريقيا، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية (جامعة القاهرة: 1980 م).

- 55 - العقاد، صلاح: الاستعمار في الخليج الفارسي (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1963 م).
- 56 - العقاد، صلاح وجمال زكريا قاسم: زنجبار، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1959 م).
- 57 - العمري، أحمد سويلم: الإفريقيون والعرب، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1967 م).
- 58 - غنيمي، رأفت: دور عمان في بناء حضارة إفريقيا، ندوة الدراسات العمانية (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1980 م).
- 59 - الغيث، حمادة خلفان: التأثيرات العمانية في زنجبار، رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية، غير منشورة (القاهرة: كلية الآداب، معهد الدراسات الإفريقية، 1988 م).
- 60 - الفارسي، عبد الله بن صالح: البوسعيديون حكام زنجبار، ترجمة محمد أمين عبد الله (عمان: وزارة الثقافة والتراث القومي، ط 2، 1982 م).
- 61 - فيلبس، ونديل: تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبد الله (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1981 م).
- 62 - قاسم، جمال زكريا: استقرار العرب في شرق إفريقيا، مجلة كلية الآداب، جامعة عين شمس، 10، (1967 م).
- 63 - قاسم، جمال زكريا: لأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1975 م).
- 64 - قاسم، جمال زكريا: تاريخ العرب في شرق إفريقيا سبيل للتقارب أم للتباعد، سمنار التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة، (القاهرة: دار الثقافة العربية، 1978 م).
- 65 - قاسم، جمال زكريا: الخليج العربي (دراسة لتاريخ الإمارات العربية 1840 م - 1904 م)، (القاهرة: مطبعة عين شمس، 1961 م).
- 66 - قاسم، جمال زكريا: دولة بوسعيد في عمان وشرق إفريقيا 1741 - 1861 م، (القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1976 م).
- 67 - قاسم، جمال زكريا: الدولة العمانية في شرق إفريقيا، ندوة الدراسات العمانية (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1980 م).
- 68 - قاسم، جمال زكريا: المصادر العربية لتاريخ شرق إفريقيا (مجلة الجمعية التاريخية المصرية (القاهرة: 14، 1986 م).

- 69 - كام، جوزفين: المستكشفون في إفريقيا، ترجمة يوسف نصر (القاهرة: دار المعارف، 1983 م).
- 70 - كافي، أحمد محمد: العلاقات العربية الإفريقية بعض المفاهيم والاعتبارات النظرية، مجلة الدراسات العربية الإفريقية (جامعة الخرطوم، 1991 م).
- 71 - كراتشكوفسكي، أغناطوس: تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب، ترجمة صلاح الدين هاشم، (القاهرة: جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية، 1963 م).
- 72 - كيلي، جون ب.: بريطانيا والخليج (1795 - 1870 م)، ترجمة محمد أمين عبد الله (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1979 م).
- 73 - لاندن، روبرت جيران: عمان منذ (1856) مسيراً ومصيراً، ترجمة محمد أمين عبد الله (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1970 م).
- 74 - مالكي، سليمان: بحث عن دور العرب وتأثيرهم في شرق إفريقيا، ضمن كتاب العرب في إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر سمنار التاريخ - كلية الآداب (جامعة القاهرة، 1987 م).
- 75 - محمود، حسن: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا (القاهرة: 1963 م).
- 76 - مصيلحي، محي الدين محمد: النشاط التجاري العربي في شرق إفريقيا في القرن التاسع عشر حتى بداية السيطرة الأوروبية على المنطقة، العرب في إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر، إشراف: رؤوف عباس حامد سمنار التاريخ، جامعة القاهرة، (القاهرة: دار الثقافة العربية، 1987 م).
- 77 - المعمري، أحمد حمود: عمان وشرق إفريقيا، ترجمة محمد أمين عبد الله (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1980 م).
- 78 - المغيري، سعيد علي: جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق عبد المجيد القيسي (عمان: وزارة الثقافة والتراث القومي، 1983 م).
- 79 - مكرم، محمد مختار أمين: أضواء حول إفريقيا (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت).
- 80 - مناع، محمد عبد الرزاق: جولة في إفريقيا (الجمهورية: دار الفكر، 1974 م).
- 81 - المنجد، صلاح الدين: مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، (القاهرة: د. ت).
- 82 - ميزون، كوليت جراند: هجرات الحرث إلى أواسط القارة الإفريقية (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، 1984 م).

- 83 - نصوح، حسن: النصوصية في أصول الممالك الأرضية، (زنجبار: دار الوثائق، د. ت).
- 84 - هاشم، محمد عبد المطلب: اللغة السواحلية، محاضرة غير منشورة، (القيت بدبي، الإمارات العربية: 1985/12/19 م).
- 85 - هولتجزوورت، ل. د.: زنجبار (1890 - 1913 م)، ترجمة وتعليق حسن حبشي (القاهرة: دار المعارف، 1968 م).
- 86 - وايدنر، دونالد: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة علي أحمد فخري، شوقي عطا الله الجمل (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، 1976 م).
- 87 - وزارة التراث القومي والثقافة: عمان وتاريخها البحري، (عمان: 1979 م).

المصادر الأجنبية:

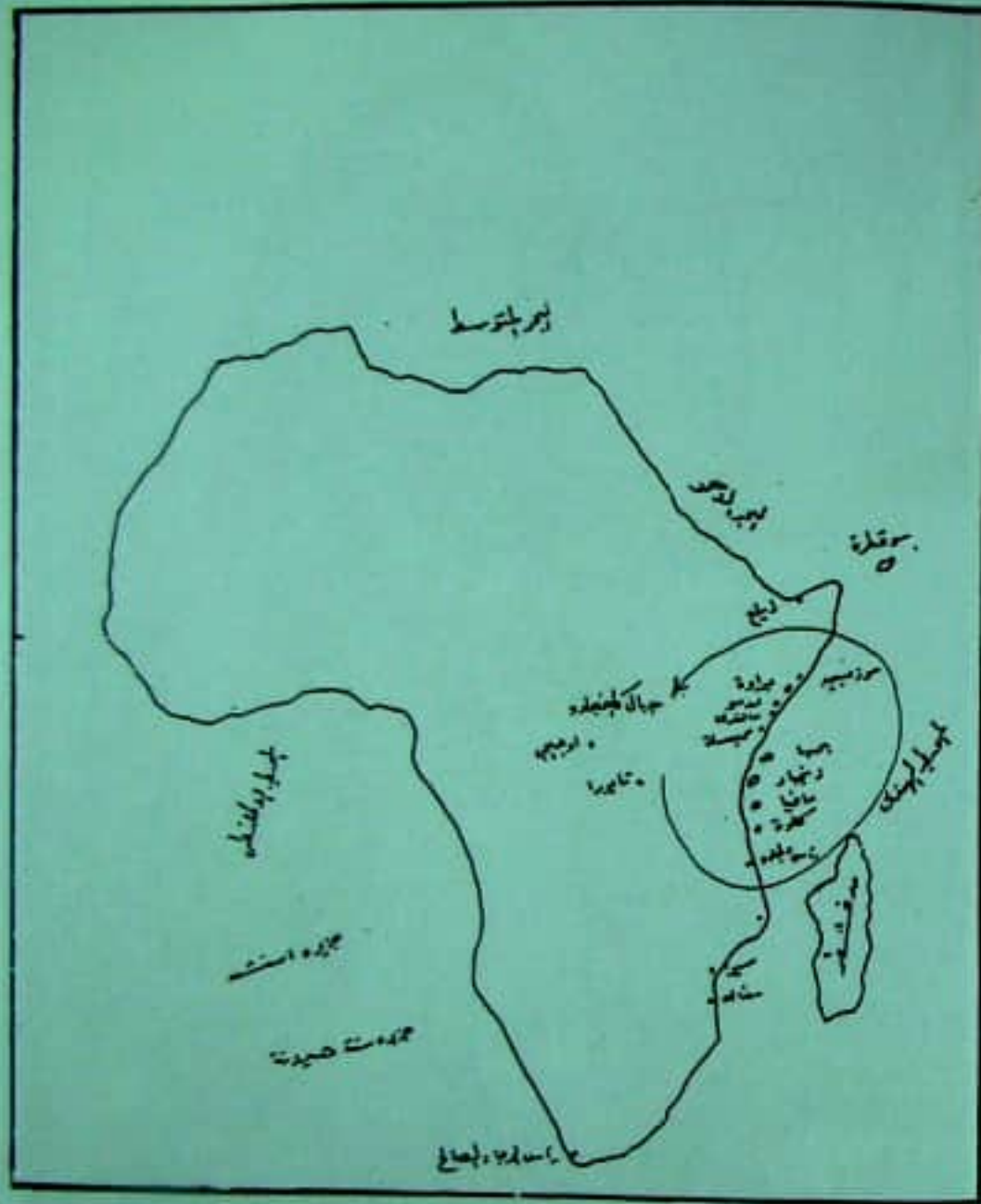
- 88 - Badger, George P. History of the Imams And Seyyids of Oman, by Salil bin Razik (From A.D. 661 - 1856). Translated from the Original Arabic, and edited with appendices and an Introduction continuing the History down to 1870, (London: 1871).
- 89 - Buttner, Thea: Afrika Von den Anfängen bis zur Aufteilung Afrikas - Koln 1979.
- 90 - Burton, Richard: The Lake Regions of Central Africa (London: 1960) Vol (2).
- 91 - Krapf, Lewis: Travels, Research and Missionary Labours during Eighteen years Residence in Eastern Africa (London: 1860).
- 92 - Nieubuhur, Carsten: Nieubuhurs Travels Through Arabia and other Countries in the East. Translated by Robert Heren 2 Vols. (Edinbargh: 1992).

المراجع الأجنبية:

- 93 - Vambery, A: The Travels and Adventures of the Turkish Admiral Sidi Ali Reis in India, Afghanistan, Central Asia, and persia during the years 1553 - 1555 Translated From the Turkish with notes, (London: 1899).
- 94 - Abbas, Farouhy: The Bahrin Island's (750 - 1951) Acontribution to the study of power, politics in the persian gulf. (New York: 1951).
- 95 - Brooks, G.S.: New England Merchants In Africa, A History Through Documents, (1820 - 1856) (Boston: 1965).
- 96 - Beachey, R.W.: The Arms Trade in The Late 19th Century Journal of African History Vol. 3, No. 3, 1962.
- 97 - Colomp, R.N.: Slave Catching in the Indian Ocean A Record of naval Experience, (London: 1873).

الملاحق

- 98 - Coupland, Reginald: East Africa and it's Invaders (From the earliest times to the death of Sayyid in 1856) (Oxford: 1938).
- 99 - The Exploitation of East Africa (London: 1939).
- 100 - Cravinh Pollay of Zanzibar: Nationalism Whither Zanzibar, Publical Education, Series, Pamphle No. 2.
- 101 - Eliot, Charles: East Africa Protectorate (London: 1905).
- 102 - Foreign Office London: No. 67 «The Formation of The Portuguese Colonial Empire».
- 103 - Foster, William: England's Quest of Eastern Trade (London: 1933).
- 104 - F.P. 54113, Hammerton to Plmerston'y, Jan 3 RD 1894.
- 105 - Guillain: Documents sur L'Histoire, Geographie et le Commerce de l'Afrique Orientale (Paris: 1856).
- 106 - Hofer, M.F.: L'Univers, Histoire et description de tous les peuples (Afrique Orientale, centvale et Australia (Paris: 1848).
- 107 - Hitchinson, Edward: The Slave Trade of East Africa, (London: 1974).
- 108 - Ingham, K.: A History of East Africa (London: 1967).
- 109 - John, L. Lifi: A modern History of Tanganyika (London: 1977).
- 110 - Kimambo & Agema: A History of Tanzania (London: 1969).
- 111 - East Africa Through Contemporary Records (Cambridge: 1961).
- 112 - Mcmillan, Mona: Introducing East Africa (London: 1945).
- 113 - Micheal, Lofchie: Zanzibar Background Revolution (London: Oxford, University: 1965).
- 114 - Oliver, Roland & Gervase Mothew: History of East Africa (Oxford: 1963), Vol. I.
- 115 - Ogot, B.A.: Population Movements Between East Africa Thern of Africa and The Neighring Countries, in (Unesco) The Africa Slave Trade From the 15th Century to the 19th Century U.N. 19 (London: 1980).
- 116 - Pearce, F.B.: Zanzibar, The Island Metropolis Eastern Arfica, (London: 1920).
- 117 - Reusch: History of the East Africa, London: 1945.
- 118 - Ruete, Rudolf, Said: Said Bin Sultan Ruler of Oman and East Africa, 1791 - 1856, (London: 1929).
- 119 - Salim, A.I.: Swahili Speaking Peoples of Kenya's (E.A.P.H.: 1973).
- 120 - Sanger, Richard H.: The Arabian Peninsula (New York: 1954).
- 121 - Seoudy, M.A.: The Lmpacts of Contacts Between East Africa and Arabia, Instit of African Studies and Researches, (Cairo: University of Cairo).
- 122 - Stigand, G.H.: The Land of the Zing, (N.Y.: 1913).
- 123 - Younghusband, Ethel: Glimpses of East Africa and Zanzibar, (London: 1908).
- 124 - Zwanenberg, R.M. Van and Anne King: An Economic History of Kenya and Uganda (1800 - 1970), (London: 1970).



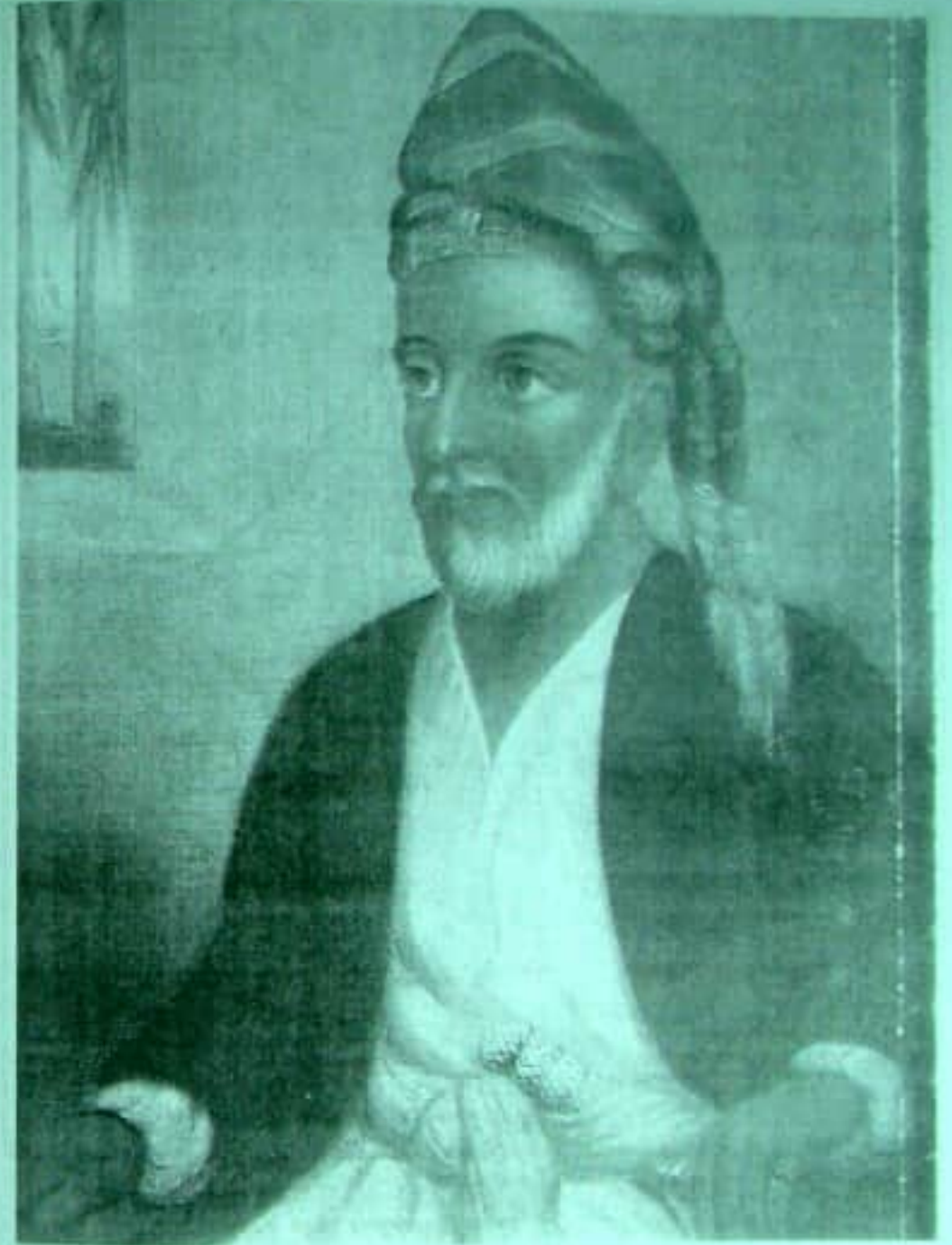
امتداد دولة زنجبار في الساحل الشرقي الإفريقي

ملحق رقم (1)

عن خريطة

(*) محمد مختار أمين: أضواء حول إفريقيا (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية

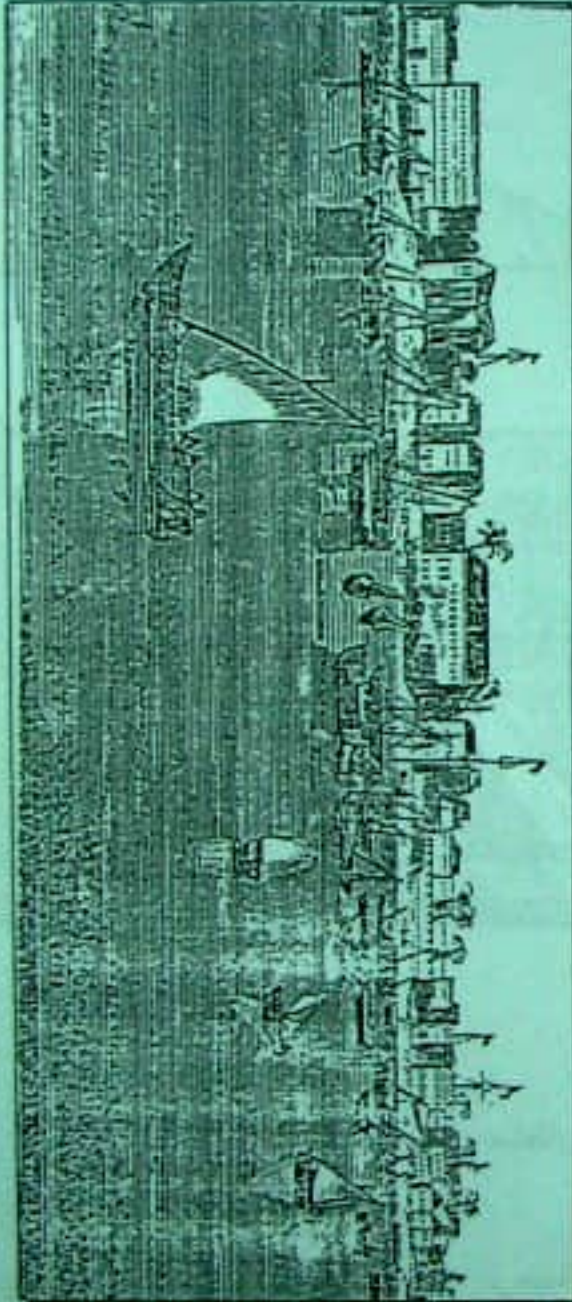
د. ت) ص 20.



السلطان سعيد بن سلطان

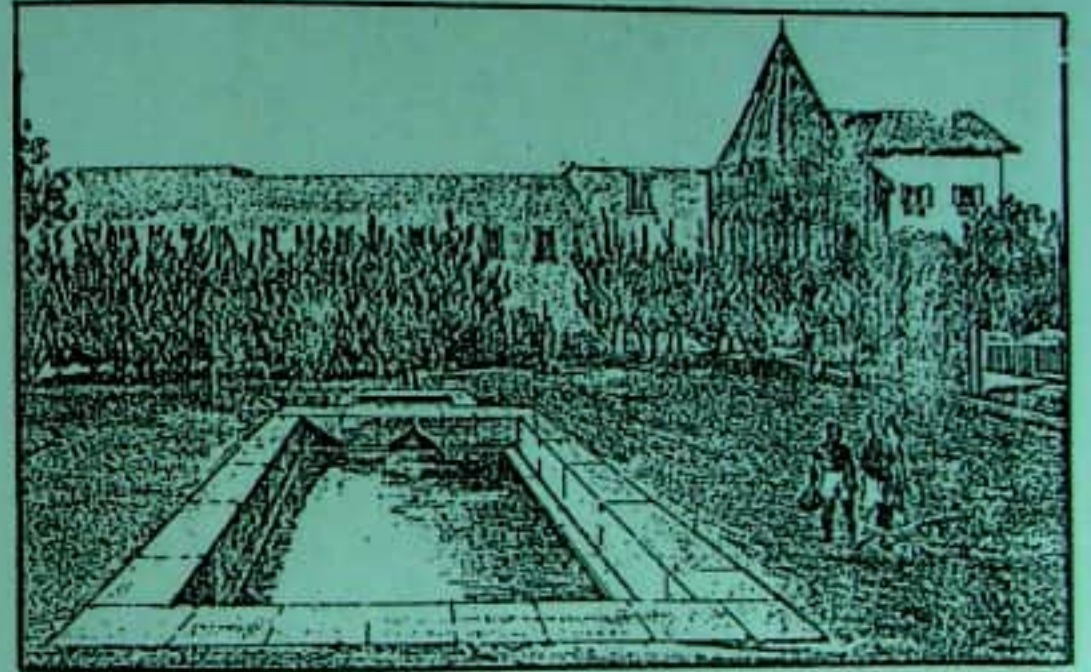
ملحق رقم (2)

(*) وزارة التراث القومي: عمان وتاريخها البحري (عمان: 1979 م) ص 178.



مدينة زنجبار ملحق رقم (3)

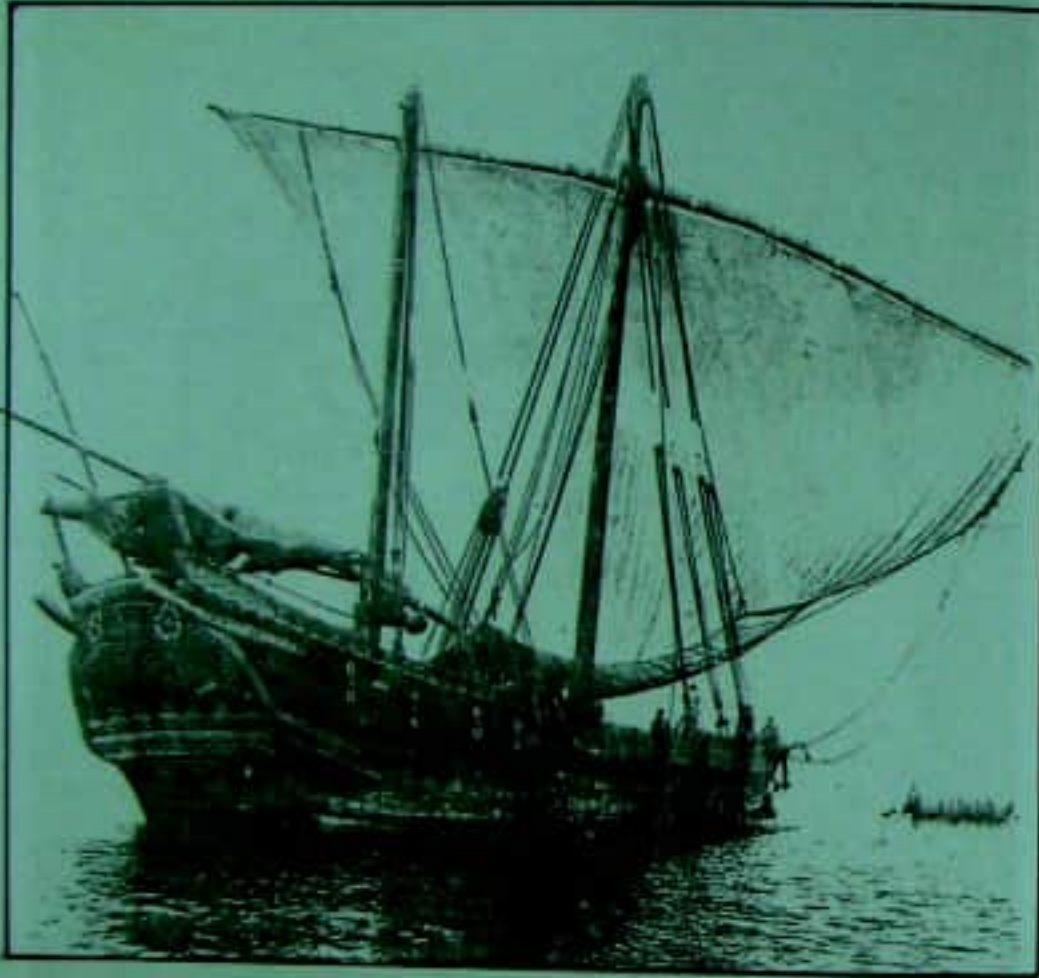
(*) وزارة التراث القومي: عمان وتاريخها البحري (عمان: 1979 م) ص 76.



بيت الموتى بزنجبار مقر سكن السلطان سعيد بن سلطان

ملحق رقم (4)

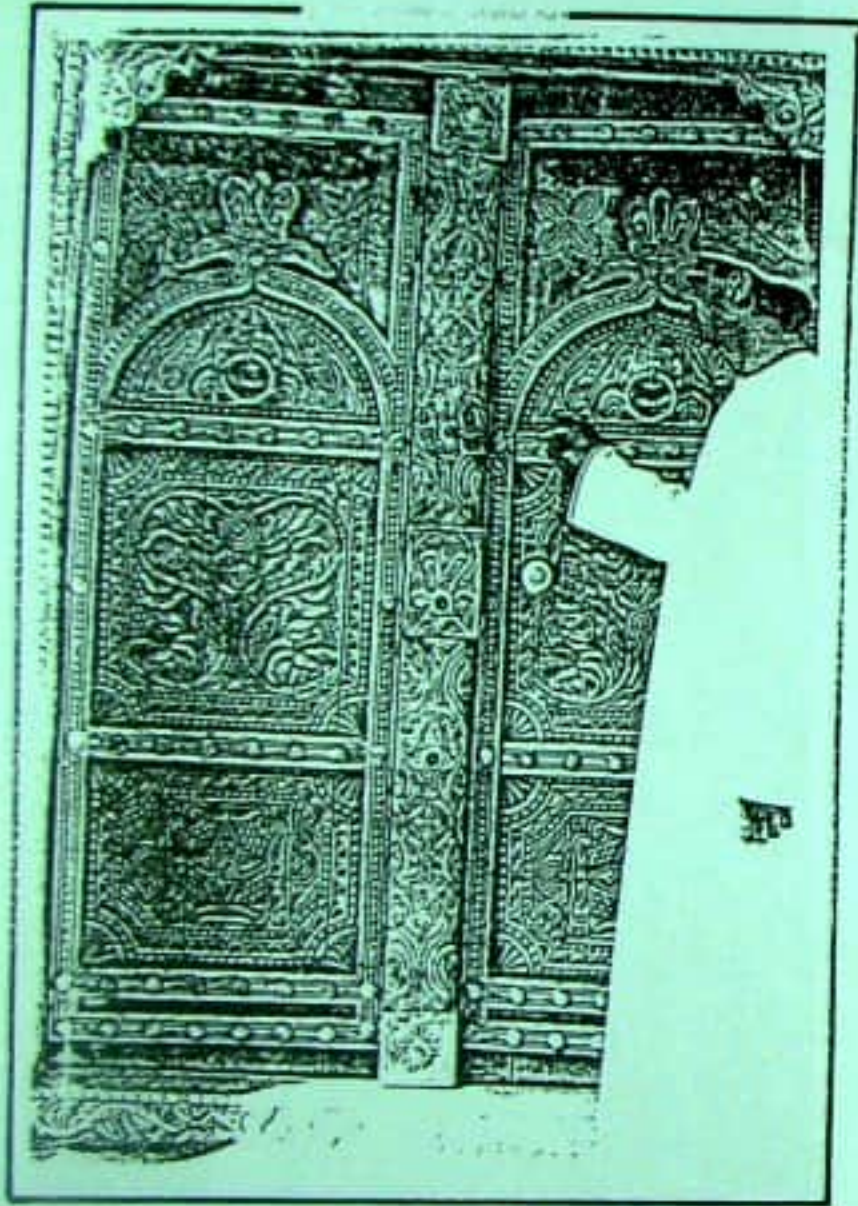
(*) سالمة بنت سعيد بن سلطان: مذكرات أميرة عربية، ترجمة عبد المجيد القيسي، ط 5 (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1979 م) ص 179.



مركب بغلة تجاه الساحل الشرقي الإفريقي

ملحق رقم (5)

(*) وزارة التراث القومي والثقافة: عمان وتاريخها البحري (عمان: 1979 م) ص 119.



الزخارف العربية العمانية على الأبواب بمدينة زنجبار

ملحق رقم (7)

(*) حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ط 2 (بيروت: دار العودة، 1981 م) ص 58.



الوزير أحمد نعمان الكعبي

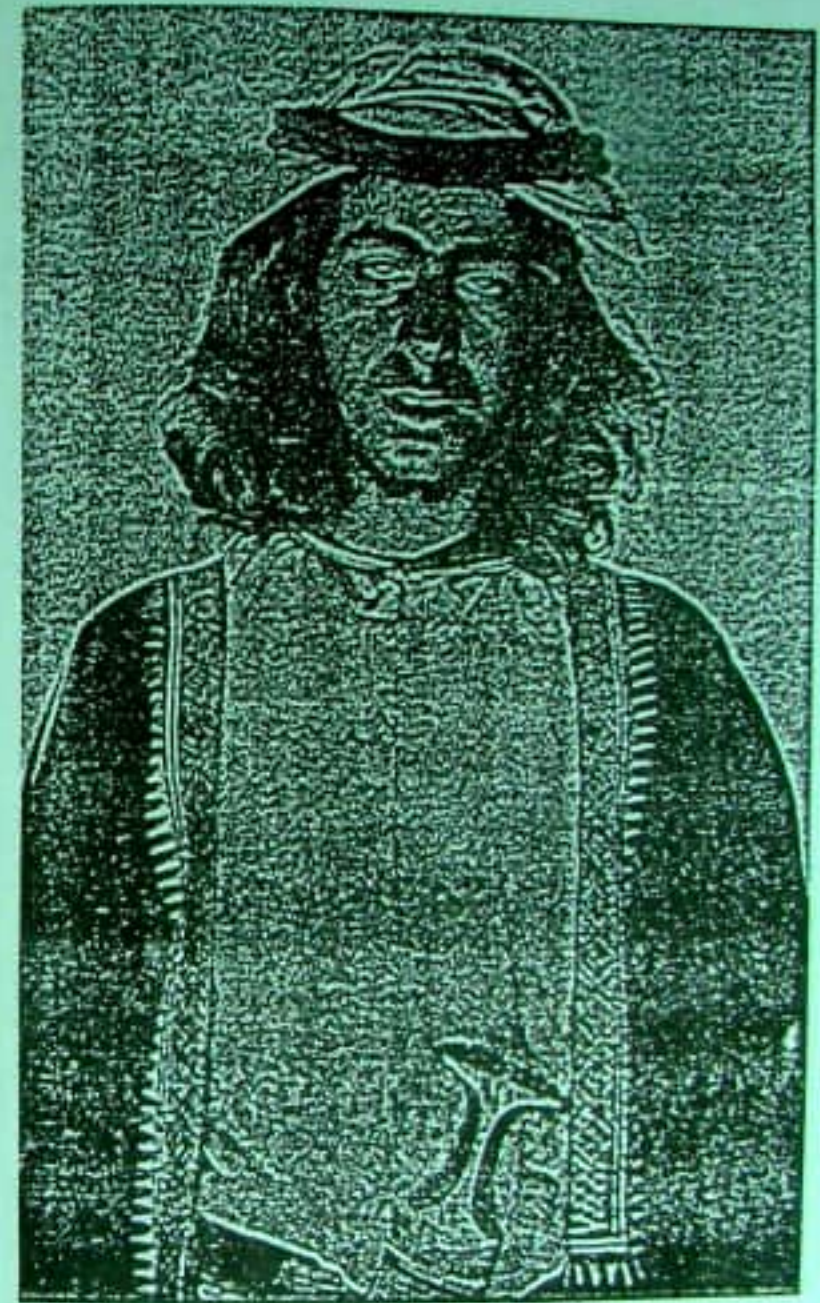
ملحق رقم (6)

(*) وزارة التراث القومي والثقافة: عمان وتاريخها البحري (عمان: 1979 م) ص 182.



ملحق رقم (9)

(*) رحلات السفينتين سلطنة، كارولان من زنجبار إلى الولايات المتحدة وجنوب شرق آسيا.



رجل عماني عربي في الساحل الشرقي الإفريقي

ملحق رقم (8)

(*) سالمة بنت سعيد بن سلطان: مذكرات أميرة عربية، ترجمة عبد المجيد القيسي، ط 5 (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة) ص 144.

الفهارس العامة

- 1 - فهرس الأعلام
- 2 - الفرق والجماعات والقبائل والدول
- 3 - الأماكن والمواقع



ملحق رقم (10)
(*) الأميرة سالمة بنت السلطان سعيد بن سلطان.

1 - فهرس الأعلام

أ -

- آدم الجبرتي : 137.
 إبراهيم المشهداني : 27.
 ابن بطوطة (أبو عبدالله محمد) : 18، 30، 31، 32.
 ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن) : 32، 137.
 ابن خرداذبة : 27.
 ابن سعيد (المؤلف الجغرافي) : 30، 31.
 أبو زيد السيرافي : 28، 29.
 أبو علي بن رسته : 27.
 أبو القاسم بن حوقل : 29.
 أبو نواس : 130.
 أثل يونغوسباند : 57.
 أجيما : 95.
 أحمد أمين : 135.
 أحمد بن سعيد : 49، 50.
 أحمد بن سميح : 137، 139.
 أحمد حمود المعمري : 19، 57، 109، 111.
 أحمد سويلم العمري : 37، 144.
 أحمد محمد كافي : 137.
 أحمد نجاني : 137.
 أحمد نعمان الكعبي (قبطان) : 104، 105، 106.
 الإدريسي (أبو عبدالله) : 18، 29، 30، 31.
 آدموند روبرتس : 87.
 إدوارد هنشسون : 110.
 أرنولد ويلسون : 111.
 إسحاق (حاكم بات) : 40.
 أغناطوس كراتشكوفسكي : 27.
 أمين أسبر : 41.
 أندري جاكسون : 87.
 أنطوني أنمور : 96، 98.
 أ. سليم : 138.
 أ. قميري : 42.
 بارباروسا (بحار) : 142، 145.
 بارلكس لونكتس : 105، 106.

ب -

بازل دافيدسون: 27, 30.
بالمريستان (وزير خارجية بريطانيا): 84.
بلد بن سيف بن أحمد: 51, 52, 53.
بطليموس: 30.
بطليموس الثالث: 36.
بنت تيودور: 43.
بوتر: 101.
بيرتون ريشارد: 20, 53.
بيري بك (تبطان): 43.
ب. أغوت: 94.
- ت -
توماس كوتيهنو: 44.
- ج -
جرفاز موث: 36.
جعفر اليرزنجي: 139.
جمال أحمد: 27.
جمال زكريا قاسم: 19, 28, 29, 31.
33, 37, 38, 39, 40, 43, 45, 46.
48, 50, 52, 53, 54, 55, 66.
67, 68, 69, 70, 71, 72, 74, 76.
78, 79, 80, 81, 82, 83, 84, 85.
87, 93, 96, 97, 98, 99, 100.
101, 109, 110, 112, 127, 134.
جورج بادجر: 46, 53.
جورج فضل حوراني: 36.
جوزفين كام: 77, 78.

جون فيج: 93.

جون بن كيلبي: 111.

جيرفيس (عالم آثار): 142.

ج. بيوسي بادجر: 70.

ج. سيجاند: 134.

- ح -

حشيسوت (الملكة): 35.

الحجاج بن يوسف الثقفي: 38.

حسن إبراهيم حسن: 41, 125, 128.

الحسن بن أحمد الحميمي: 37.

حسن بن علي الجنبي السوري: 54.

الحسن بن علي الشيرازي: 40, 137.

حسن جشي: 49.

حسن صالح شهاب: 41.

حسن محمود: 143.

حسن نصوح: 50.

حسين بن علي المرعشي: 138.

حمادة خلفان الغيث: 35, 50, 76.

95, 104, 105, 108, 112, 125.

126, 129, 132, 141, 143, 144.

145, 147, 148, 150, 152, 153.

154.

حمد بن أحمد البوسعيد: 54.

حمدي السيد: 142, 143.

حمود بن سيف: 51.

حميد بن محمد بن زريق: 51.

- خ -

خالد بن سعيد: 82.

- د -

دافيد باسل: 113.

دافيدس: 111.

دولت أحمد صادق: 93.

دونالد وايدندر: 107.

د. نابرت: 130.

- ر -

راجية محمد عفت: 130, 133.

راشد بن سليمان: 56.

رافت غنيمي: 103, 137.

رؤوف عباس حامد: 95.

الرسول (النبي): 38, 125, 133, 139.

146.

روبرت جيران لاندن: 51.

روبرت كوجاب: 81.

روش: 129.

رودولف سعيد رويت: 20, 47, 48.

86.

رولاند أوليفر: 36, 93, 94.

ريجنالد كويلاند: 32, 34, 40, 41, 42.

47, 65, 84, 95.

ريشارد بيرتون: 67, 68, 69, 73, 74.

78, 82, 87, 111, 123.

ريشارد سنجر: 87.

ريشارد واترز: 87.

رون - كولومب: 54.

- ز -

زجرام (تاجر): 105.

زكريا محمد القزويني: 31.

زند أفريك شاه (ملك الصومال): 36.

زو مارتش: 38.

زيد بن علي زين العابدين: 39.

زين العابدين: 42, 43.

- س -

ساحورع: 35.

سالم (حاكم منية): 55.

سالم بن سلطان: 51.

سالم بنت سعيد بن سلطان: 18, 49.

52, 58.

سينر ترمينجهام: 20, 121, 122.

124, 140, 144, 145, 146, 147.

150, 151, 153, 154.

السخاوي: 137.

سعاد علي شعبان: 140, 141, 143.

سعيد بن أحمد: 50.

سعيد بن عباد الجلندي: 38, 91.

سعيد بن حمد بن عبدالله: 105.

سعيد بن خلفان بن حمد: 105.

سعيد بن علي المغيري: 51, 53, 93.

105.

سلطان بن أحمد البوسعيد: 50، 51، 52.

السلطان بن سعيد: تكرر في معظم الصفحات.

سلطان بن سيف: 26، 46، 47، 159.

سلطان بن مرشد: 49.

سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني: 40.

سليمان بن عباد: 38، 91.

سليمان بن علي المزروعى: 139.

سليمان بن محمد: 66.

سليمان التاجر: 27.

سليمان عبد الغني المالكي: 40، 140، 145.

سمير محمد أبو ياسين: 33.

سنائي بن عامر: 68، 99.

سيد أحمد العراقي: 135، 136.

سيدي علي الرايس (قبطان): 43.

سيف بن سلطان: 47، 48، 159.

سيف بن سلطان الثاني العربي: 49.

- ش -

شارل إليوت: 43.

شارل أندريه جوليان: 35.

شارل جيان: 30، 31، 47، 72.

شريعة أحمد الرشيد: 120، 127.

شعبان ستقو: 108.

شكيب أرسلان: 31.

شهرزاد (زوجة السلطان سعيد الفارسية): 144، 59.

شوقي عطا الله الجمل: 33، 34، 107، 120.

- ص -

صالح بن حرميل العبري: 58.

صلاح الدين المنجد: 28.

صلاح الدين هاشم: 27.

صلاح العقاد: 19، 33، 57، 69، 70.

71، 72، 80، 83، 85، 87، 96، 97، 99.

101، 102، 134.

- ط -

طلعت عوض أباطة: 35.

- ع -

عاطف التواوي: 121.

عباد الجلندي: 38.

عبد الرحمن بن أحمد الأول: 138.

139.

عبد الرحمن الحسن (سيد منسب):

139.

عبد الرحمن السعدي: 121.

عبد الرشيد بن صالح اليعقوبي: 31.

عبد الغني خلف الله: 27.

عبد القادر شيخ عبدالله: 136.

عبدالله بن أحمد المزروعى: 54.

عبدالله بن جمة عمر: 66.

عبدالله بن محمد باكثير: 138، 139.

عبدالله بن صالح الفارسي: 18، 51، 52.

54، 55، 58، 59، 66، 73، 99.

عبد المجيد القيسي: 49، 51.

عبد الملك بن مروان: 38، 91.

عبد المنعم عامر: 51.

عبد المنعم ماجد: 35.

عثمان بن عفان: 38.

عجاج نويهض: 31.

علي أحمد فخري: 107.

علي بك (قائد عثماني): 44.

علي بن إبراهيم نور الدين المفتي:

137.

علي بن عثمان المزروعى: 50.

علي بن عبدالله المزروعى: 138.

علي بن علي بن ناصر: 106.

علي بن ناصر: 81.

علي جليبي (قبطان): 43.

علي حميد (قاضي قضاة كلوة): 137.

علي شلش: 128.

- غ -

غنى بنت سيف: 51.

غوريز (حاكم بريطاني): 105.

- ف -

فاروق عباس: 44.

فاروق عبد الجواد شويقة: 34، 129.

فاطمة بنت يوسف: 58.

فؤاد محمد شبل: 121.

فضل باشا بن علوي بن سهل: 138.

فومولوتي بن يوانا مادي: 54.

فيكتوريا (الملكة): 73، 81، 82، 106.

ف. بيرس: 48، 53، 57، 74، 75، 76.

77، 79.

قيس (حاكم صحار): 53.

- ك -

كرستن نهبير: 43.

كمويري (معاصر للسلطان سعيد): 71.

كوليت جرائد ميزون: 98، 99، 100.

102.

كيامبو: 95.

- ل -

لوثرول استودارد: 31.

اللورد أبردين: 106.

لويس كرايف: 43، 44، 45، 48، 71.

78.

ليفتنانتون: 99.

ليوبولد الثاني (ملك بلجيكا): 113.

ل. د. هولنجزورت: 49، 57.

- م -

- المتني : 130.
محمد أمين عبدالله : 51, 57, 75, 111.
محمد بن إبراهيم بن حسن : 105.
محمد بن عثمان المزروعى : 48.
محمد بن سعد المعمورى : 48.
محمد بن شرف : 105.
محمد البوسعيدى : 50.
محمد عبد الرزاق متاع : 56.
محمد عبد الغنى سعودى : 34, 113.
محمد عبد المطلب هاشم : 134.
محمد محمد أمين : 35.
محمد مختار أمين مكرم : 37, 109.
محمود محمد الحويرى : 19, 36, 122, 124.
محمود مرسي عبدالله : 51.
محيي الدين محمد مصيلحي : 95, 97, 102.
مراد كامل : 37.
المسعودي (علي بن الحسن) : 18, 28, 29, 31, 39.
المقدسي : 29.
المقرئزي : 32.
موزة بنت الإمام أحمد : 52, 53.
مونا مكيلا : 77.
موني (رسام أمريكي) : 106.
ميشيل لوفتشي : 94.

ميكيجن (تاجر) : 105.

م. أ. سيودي : 128, 129.

م. ن. هوفر : 47.

- ن -

نادر شاه (أميراطور فارسي) : 144.

ناصر بن مرشد : 45, 46.

نبيل بدر محمود : 113.

نرسي (ملك) : 36.

نسيم نصر : 36.

نمر بن سلطان الحبشي : 66.

- ه -

هارث (قبطان) : 52, 86.

هبالوس (بحار) : 36.

هلال بن سعيد : 83.

همرتون (قنصل بريطاني) : 72, 77, 82.

83, 111.

- و -

وفيق الخشاب : 27.

وليام فوستر : 45.

وليم أوين : 80, 81.

وندل ميليس : 75.

ونيز بولم : 36.

- ي -

ياقوت بن عنبر الحبشي : 66.

ياقوت الحموي : 30.

يحيى الخشاب : 36.

يعقوب بكر : 36.

يوافيم رزق : 140.

يوسف روكر : 108.

يوسف فضل حسن : 134.

يوسف كمال (الأمير) : 30.

يوسف نصر : 78.

يوهانس ريمان (مبشر) : 77.

يوهان لودفيغ كرايف (مبشر) : 77, 78.

86.

2- الفرق والجماعات والقبائل والدول

أ- 1-

- الأحباش: 36.
الإسماعيلية: 76.
الأفارقة: 26, 37, 108, 109, 117, 165.
الأمريكيون (الولايات المتحدة الأمريكية): 19, 85, 87, 103.
الإنجليز (بريطانيا = البريطانيون): 16, 17, 44, 78, 79, 80, 84, 86, 107.
الأمويون (بنو أمية = الدولة الأموية = الخلافة الأموية): 25, 37, 38, 39, 119.
أهل الحجاز: 39.
أهل حضرموت (الحضارمة): 119, 122, 132, 138, 139, 158.
أهل كينيا: 129.
أهل عمان = العمانيون تتكرر في معظم الصفحات.
أهل المدينة: 39.
أهل مسقط: 65.
أهل مكة: 39.
- أهل منبسة: 46, 98, 129.
أهل اليمن (اليمنيون): 119, 158.
الأوروبيون: 33, 42, 74, 93, 107, 109, 111, 112.
الباتيان القرمة (مندوبو الضرائب): 66, 76, 97.
البرتغاليون (البرتغال): 19, 23, 26, 33, 41, 42, 43, 44, 45, 46, 47, 48, 49, 158.
البعثات الأوروبية التبشيرية: 19, 63, 64, 77.
بعثة اسمي واسميث: 80.
بعثة بيفر: 80.
البلوش: 55, 66, 69, 74, 77.
العبا: 64, 75.
البنادقة: 42.
البوسعديون (أسرة البوسعيد = دولة البوسعيد): 16, 18, 23, 49, 50, 51, 65, 139, 159.

ت- 1-

- التمباتو: 64, 75.
التيجانية: 123, 124.
جامعة الدول العربية: 27.
جغرافيو العرب: 26, 27, 41.
جماعة الأزد العمانية (قبيلة الأزد): 38, 39, 91.
الجمعية الجغرافية الملكية: 20.

د- 1-

- دولة الزنج: 40.
دولة زنجبار: تتكرر في معظم الصفحات.
الدولة العباسية (الخلافة العباسية): 25, 37, 119.
الدولة العثمانية (الأتراك = المعاليك): 42, 44, 85, 86, 163.
دولة اليعاربة (أسرة اليعاربة): 45, 46, 48, 49, 159.

ر- 1-

- الرحالة الأوروبيون: 161.
الرحالة العرب: 27.
الرعايا الأمريكيون: 67, 86.
الرعايا الإنجليز (الرعايا البريطانيون):

- 67, 81, 82, 85, 86, 87, 88, 98.
الرعايا الفرنسيون: 67.

ز- 1-

- الزيجلوس: 66.

س- 1-

- السبيون: 36.
السواحيليون (الشعب السواحلي = البربر): 30, 34, 41, 133.
السعوديون: 58, 159.

ش- 1-

- الشاذلية: 123, 124.
الشيرازيون: 65, 75.
الشيعة: 123.
شيوخ العراف الصوفية: 112.

ص- 1-

- الصليبية: 43.
الصوماليون (الصومال): 71, 72.

ط- 1-

- طائفة الزيديين: 39.

ع- 1-

- العرب (الإسلام): تتكرر في معظم الصفحات.
عرب الإحصاء: 40.

عرب جنوب شبه الجزيرة العربية: 148.
عرب جزيرة القمر: 76, 75.
عرب الحضارمة: 75.
عرب الساحل: 76, 75.
عرب عمان الأباضيون: 76.
العروبة: 15, 16, 20, 41, 92, 156, 158, 165.
العمانيون (عمان): تتكرر في معظم الصفحات.
الفرس: 34, 36, 43, 46, 74, 107.
الفرنسيون: 78, 80, 83, 84, 88.
قبائل البانتو: 67.
قبائل الوانكا: 71.
القادرية: 123, 124.
قبيلة باو: 108.
قبيلة الكندي: 139.
قبيلة كوافي: 71.
قبيلة العاساي: 108, 125, 161.
قبيلة ميزاي: 71.
قبيلة واجو جو: 108.
قبيلة وانيا موزا: 108.
القواسم: 51, 58, 159.
كفار الزنوج: 28, 32.
الكيكويو: 71.

- ل -

اللواتية: 76.
مؤرخو العرب: 26, 27.
المجوس: 66.
المذهب الأباضي (الأباضيون): 63, 66.
122, 123, 139, 159.
المذهب الحنبلي: 122.
المذهب الحنفي: 63, 122.
مذهب السنة: 76, 122.
المذهب الشافعي: 18, 122, 123, 139.
المزاريع المزروعون = أسرة المزروعي = المزارعة): 54, 55, 56, 89, 139.
المسترقون: 29.
المستكشفون الأوربيون: 19, 77.
المصريون: 35.
المماليك: 33, 42.
مملكة مالي: 28.
النيهانيون: 48, 54.
النصحية: 50.
الهاديمو: 64, 75.
الهاشميون: 39.

- ه -

الهندوس: 74, 76.
الهنود: 34, 66, 77, 86, 98, 107, 122, 144.
الهولنديون: 44, 80.

- و -

الوثنيون (الوثنية): 78, 135.

الواكبا: 71.
الوطنيون الأفارقة: 16, 20, 74, 75.
76, 91, 100, 119, 156, 157.
158, 161, 163, 164.
الوهايون: 122.

3- الأماكن والمواقع

- أ -

106, 112, 113, 160, 162, 163

الأندلس : 39

أندونيسيا : 93

أوجيجي : 67, 68, 99

أوروبا : 33, 42, 103, 104, 112

أوزانجا : 68

أوزمبارا : 71

أوغندا (إقليم أوغندا - يوغندا) : 17, 33

40, 68, 99, 100, 120, 128

164

أوقات : 136

إيران : 75

- ب -

بات (جزيرة بات) : 38, 40, 44, 47

48, 49, 50, 54, 70, 132, 142

باريس : 47

الباكستان : 76

بجمايو : 68

بجمويو : 99

آسيا : 33, 103, 140

أجيما : 95

الإحساء : 41

أدنبرغ : 43

أرخيل لامو = لامو

الأزهر : 138

إسبانيا : 44

إسطنبول : 138

إفريقيا : 33, 38, 40, 56, 68, 79

113

إقليم شكشك : 54

إقليم المانيما : 67, 100

أكسفورد : 32, 36, 42, 94

ألمانيا : 88

إمارات الخليج العربي : 51, 134

أمريكا (الولايات المتحدة الأمريكية) :

61, 64, 66, 74, 80, 81, 83, 85

87, 88, 93, 101, 103, 104

بحار الهند : 45

البحر الأحمر : 16, 31, 33, 35, 39

42, 43, 76, 110

البحر الأرثري : 36

البحرين : 40

البحيرات الاستوائية : 92, 98, 99

100, 103, 128, 163

البحيرات العظمى : 67

بحيرة تنجانيقا : 67, 100

بحيرة فكتوريا : 99

بحيرة نياسا : 99

بساوة : 39, 43, 50, 72, 83, 136

142, 162

بربرة : 136

البرتغال : 44, 45

بروندي : 17, 33, 128, 164

بريطانيا (إنجلترا) : 61, 64, 66, 69

78, 79, 81, 82, 83, 84, 88, 93

100, 103, 104, 109, 110, 111

113, 156, 160, 161

بريمن : 101

بغداد : 27, 42, 108

بلاد الجالا : 77

البلوش : 74

بلوختان : 55, 77

بمبا (جزيرة بمبا) : 33, 34, 40, 46

54, 74, 93, 96

بمباي : 73, 101, 103, 104, 105

البنادر : 71, 72

بنجاني : 92

بندر عباس (ميناء بندر عباس) : 55

87

بوشهر : 110

بونيورو : 68

بيت الساحل : 58

بيت الموتى : 58

بيت واتورو : 59

بيروت : 27, 28, 29, 36, 108, 134

- ت -

تنجانيقا : 34, 40, 108, 120

تنزانيا : 17, 33, 164

تونس : 42

- ج -

جازانيا : 68

جامعة البصرة : 33

جامعة الخرطوم : 137

جامعة عين شمس : 29, 37

جامعة القاهرة : 95, 120, 128, 130

140

جامعة النيا : 140

الجيب : 30

جبال كليمنجارو : 77

جزر الكومور : 72, 76, 80

جزيرة تميانو : 74

جزيرة زنجبار (زنجبار): تتكرر في معظم الصفحات.

الجزيرة العربية (شبه الجزيرة العربية): 34, 36, 37, 38, 48, 110, 138, 140.

جزيرة القمر (جزر): 31, 76.

جزيرة قبلو: 28, 29.

جزيرة موريس: 80, 84, 93.

جزيرة نوسبي: 83.

جزيرة هرمز: 43, 45.

جنوب إفريقيا: 113.

جنوب الجزيرة العربية = جنوب شبه الجزيرة العربية: 16, 91, 117, 119, 138.

- ح -

الحبشة: 37, 38, 40, 74.

الحجاز: 33, 42, 118, 134, 163.

حدابو: 38.

الحرمان الشريفان: 158.

حصن هرموز: 45.

حصون كلوة: 142.

حصون ندوجو: 142.

حضر موت: 41, 75, 95, 118, 138.

139, 158, 164.

حوض الكونغو: 17, 67, 92, 103.

128, 163.

- خ -

الخليج العربي: 16, 25, 33, 34, 42.

43, 45, 46, 48, 50, 76, 77, 79.

80, 91, 100, 110, 134, 149.

الخليج الفارسي: 49, 57.

خليج دلجادو: 69.

- د -

دبي: 134.

الدير البحري (معبد): 35.

- ر -

رأس جاردافوي: 36.

رأس جردفون: 69, 98.

رأس حفون: 69.

رأس الخيمة (جلفار): 46, 51.

رأس دلجادو: 47, 48, 98.

رأس الرجاء الصالح: 26, 42, 80, 105.

رستاق: 53, 91.

رواندا: 17, 33, 68, 128, 164.

- ز -

زائير: 164.

زامبيا: 120.

زيلع: 31, 32, 136.

- س -

ساحل بلوختستان: 109.

ساحل بنادر: 39.

ساحل تنجانيقا: 69, 71, 99.

ساحل شرق إفريقيا: تتكرر في معظم الصفحات.

ساحل الصومال: 69, 72.

الساحل الكيني: 125, 139, 161.

ساحل شنجاها: 39.

سامراء: 142.

سفالة (إقليم سفالة): 28, 29, 30, 40.

145.

سمائل: 51.

السند: 66.

سواكن: 31.

سوقطرة (سقطرة): 30, 47, 69, 109.

- ش -

الشام: 42.

شبه القارة الهندية: 37, 101, 103.

الشحر: 75.

الشرق الأقصى: 34.

شيراز (إمارة شيراز): 39, 74.

- ص -

صحار: 46, 49, 53.

الصحراء الكبرى: 41.

صحن جامع حران: 142.

الصومال: 36, 74, 128, 136, 142.

161.

الصين: 74.

- ط -

طابورة: 67, 68, 99.

طنجة: 71.

- ع -

عدن: 29, 104, 147.

العراق: 33.

عمان: تتكرر في معظم الصفحات.

- غ -

الغيرة: 51.

- ف -

فارس: 37, 44, 55, 87, 144.

فرنسا: 61, 64, 66, 83, 84, 88.

100, 103, 160.

فيكتوريا نياز: 68.

- ق -

القارة الإفريقية: 20, 21, 27.

القاهرة: 19, 27, 28, 30, 31, 33, 34.

35, 36, 37, 40, 41, 42, 43, 45.

46, 49, 50, 52, 65, 78, 93, 95.

107, 109, 113, 120, 121, 128.

129, 135, 137, 140, 142, 143.

قبة جامع القيروان: 142.

قبة الصليبية (سامراء): 142.

القرن الإفريقي: 28, 41, 119.

لندن: 20, 43, 44, 45, 46, 47, 48,
51, 54, 57, 67, 81, 82, 94, 95,
106, 110,
الولالابا: 68, 100,
لوبيك: 101,
ليدن: 29.

- م -

مافيا: 54, 142,
مالندي = ماليندا: 29, 30, 31, 40,
141, 143,
المحيط الأطلنطي: 112,
المحيط الهندي: 27, 28, 29, 33, 34,
36, 39, 55, 67, 79, 80, 85, 97,
100, 101, 104, 158,
مدغشقر (جزيرة مدغشقر): 31, 40,
69, 83, 161,
مرتفعات كليمنجاروا: 99,
مرسيليا: 83,
مرفأ سانت هيلانة: 105,
مركة: 30,
مساجد كلوة: 143,
مسجد سيو: 124,
مسجد كيزيمكازي: 124,
مسقط: 19, 23, 43, 46, 51, 55, 56,
57, 58, 73, 79, 80, 81, 83, 85,
87, 91, 94, 97, 99, 105, 143,
159, 160.

قصر الأميرة الفارسية: 143, 164,
قصر بيت المتوني: 93,
قصر المجائب (زنجار): 143, 164,
قصر المرومي: 143, 164,
قصور كلوة: 145,
قلعة يسوع: 55.

- ك -

كلكتا: 101, 103,
كلوة (جزيرة كلوة): 18, 29, 30, 31,
32, 40, 43, 47, 50, 54, 69, 71,
80, 99, 102, 136, 137, 141,
142, 143, 145,
كمبالا: 68,
كمبريدج: 96,
كوشين: 73,
الكومور: 69,
الكونغو: 68, 74, 113, 120, 129,
140,
الكونغو الحرة: 113,
الكويت: 128,
كيامبو: 95,
كينيا: 17, 33, 34, 69, 70, 120,
128, 164.

- ل -

لامو (جزيرة لامو): 18, 32, 38, 44,
50, 70, 77, 127, 139, 141,
لشبونة: 42, 44.

المشرق العربي: 85, 163,
مصر: 25, 32, 33, 42, 74, 104,
118, 163,
مطرح: 46,
المغرب: 30,
مقاطعة السبليني: 59,
مقاطعة كيجيتشي: 59,
مقاطعة كيزيمباني: 59,
مقاطعة منبة: 53,
مقاطعة نخل: 53,
مقبرة البوسعيديين: 58.

مقديشو (إمارة مقدشو): 18, 30, 31,
32, 39, 40, 44, 48, 50, 72, 83,
136, 142, 143, 162,
مكة المكرمة: 138,
المكلا: 75,
منبة: 18, 26, 29, 30, 31, 32, 38,
39, 40, 43, 44, 47, 48, 50, 54,
55, 56, 69, 71, 127, 129, 132,
137, 138, 139, 141, 142, 159,
161.

منخفض زائير: 34,
منطقة بركاء: 52,
منطقة كاتنجا: 98,
منطقة العريمة: 81, 86,
مويو: 71,
موزمبيق: 28, 43, 80, 100, 112,
128.

ميناء تانجا: 99.

- ن -

نهر بنجالي: 69, 71,
نهر الزمبيزي: 119,
نهر الفرات: 43,
نهر الموتني: 58,
النوبة: 74,
نياسلاند: 40, 128,
نيويورك: 46, 103, 105.

- ه -

هامبورج: 101,
هرر: 136,
هضبة إفريقيا: 34,
هضبة البحيرات الاستوائية: 67, 68,
الهند: 42, 43, 46, 73, 74, 76, 81,
83, 84, 93, 97, 163,
هوداس: 121.

- و -

وادي سمائل: 51,
واشنطن: 162,
الوطن العربي: 17, 91.

- ي -

اليمن: 25, 31, 36, 39, 42, 49, 75,
117, 134, 158, 163.

ردمك 8-022-23-9959 ISBN (رقم السلسلة)
ردمك 9-027-23-9959 ISBN (رقم الكتاب)